

تأليف

شيخ الإسلام تقي الدين أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية
٦٦١ - ٧٢٨هـ

راجع نصوصه وخرج أحاديثه وعلق عليه

الدكتور عبد العلي عبد الحميد حامد

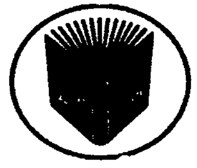
الدار السلفية
بومباي . الهند

الطبعة الأولى

١٤٠٦ هـ ـ ١٩٨٦ م

الدار السلفية

٦/٨ - اے حضرت تيريس
شارع شيخ حفيظ الدين
بومباى ٨ ٤٠٠٠٠ . الهند
هاتف : ٣٧٧٧٧٥٥ / ٣٩٦٦٧٤٧
تلكس : ٧٦٨٣٢ - ١١. سلف ان
برقيا « السلفية »



AL-DARUSSALAFIAH

6/8-A, HAZRAT TERRACE ANNEXE,
SHAIKH HAFIZUDDIN ROAD,
BYCULLA BRIDGE, BOMBAY 400008.
TELEX : 01176832 SALF IN.
GRAM : ALSALAFIAH MANDVI, BOMBAY 3.

الاهـــداء

الى العلامة الجليل والداعية الكبير الشيخ المحترم عبدالعزيز ابن عبدالله بن باز - تولاه الله بحفظه ورعايته - الرئيس العام لادارات البحوث العلمية والافتاء والدعوة والارشاد ، بالمملكة العربية السعودية - والموجه الديني للحركة السلفية في العالم ،تتشرف الدارالسلفية باهداء هذا الكتاب - الذي هو اول منشوراتها بعد التطوير - تقديرا لجهوده المباركة في نشر تعاليم الاسلام الصحيحة وتوعية عامة المسلمين في امور الدين ، وتعبيرا عن امتناننا البالغ وشكرنا الخالص على تعاونه المستمر وتعاطفه الدائم مع الدارالسلفية ، وتشجيعه لاصحابها القيمة في مجال خدمة العلم واحياء التراث . فجزاه الله احسن الجزاء ، ووفقه لمزيد من الاعمال النافعة للاسلام والمسلمين ، وجعلها خالصة لوجه الكريم . انه على كل شيئ قدير - آمين .

الدارالسلفية

الدارالسلفية في سطور

١:ـ اسست في مدينة بومبائي في عام ١٩٧٥ م واكتسبت شهرة عالمية في فترة قصيرة .

٢:ـ وهي اول دار للطباعة والنشر في الهند مجهزة باحدث الالات والماكينات للطباعة العربية .

٣:ـ دعوتها الاساسية الرجوع الى الكتاب والسنة والتخلى عن العصبية المذهبية واتباع الاهواء والاراء الشخصية .

٤:ـ هي اول مؤسسة للطباعة والنشر في الهند عكفت على نشر التراث الاسلامي بالتحقيق العلمي، واحياء السنة النبوية واخماد البدع الشيطانية. كما انها تعمل دوما على ترويج الفكرة السلفية، وتحرير العقول والاذهان من رواسب العقائد الوثنية والعادات والتقاليد الجاهلية .

٥:ـ صدر منها اكثر من ٧٠ كتابا باللغات المختلفة، ومن اهم مطبوعاتها باللغة العربيية :

١ ـ **المصنف في الاحاديث والاثار** لابي بكر بن ابي شيبة العبسي (م ٢٣٥ هـ) في ١٥ جزأ .

٢ ـ **فهارس المصنف** في جزءين .

٣ ـ **التبصرة في القراءات السبع** لمكي بن حموش (م ٤٣٧ هـ) .

٤ ـ **كتاب الامثال (في الحديث)** لأبي الشيخ الاصبهاني (م ٣٦٩ هـ).

٥ ـ **امثال الحديث** لابي محمد الرامهرمزي (م ٣٦٠ هـ) .

٦ ـ كتاب فيه ذكر الدنيا والزهد فيها لابي بكر بن ابي عاصم النبيل (م ٢٨٨ هـ) .

٧ ـ رسالة في الرد على الرافضة لابي حامد المقدسي (م٨٨٨ هـ).

٨ ـ مناسبات تراجم ابواب البخاري لابن جماعة (م٧٣٣ هـ).

وغير ذلك .

٦:ـ يجري العمل حاليا في تحقيق الجامع المصنف في شعب الايمان للامام ابي بكر احمد بن الحسين البيهقي (م ٤٥٨ هـ) ؛ وسيصدر الجزء الاول منه قريبا انشاءالله .



كلمة الناشر

يسر الدار السلفية ان تقدم للقراء كتاب « **تفسير سورة اخلاص** » لشيخ الاسلام ، اوحد الانام ، علم الاعلام تقى الدين ، ابى العباس احمد بن عبد الحليم بن عبد السلام ، ابن تيمية ، الحرانى الدمشقى المتوفى سنة ٧٢٨ هـ ، فى سلسلة احياء التراث الاسلامى ، اسهاما فى نشر الثقافة الاسلامية الصحيحة ، وخدمة الدين الاسلامى ، وسبق ان اصدرت الدار عددا من كتب التراث الاسلامى تم طبعها لأول مرة ، ولكن عدم توفر الوسائل الحديثة للطباعة حال دون اخراج هذه الكتب بالطريقة التى ترضى القراء ، وتوافق رغبة المسئولين فى الدار ، وكانت امنية الحصول على المطابع الحديثة تراود افكارهم ، وتجول فى خواطرهم منذ فترة ، ولم يكن من السهل تحقيقها ، ولكن الله تعالى سهلها للنيات الصادقة والرغبات الخالصة التى كانت وراء الحصول عليها . ولما توفرت الوسائل ، وكان العمل مستمرا على قدم وساق فى تحقيق السفر الجليل « **الجامع المصنف فى شعب الايمان** » لخاتمة المحدثين الامام ابى بكر احمد بن الحسين البيهقى ، المتوفى سنة ٤٥٨ هـ ، اتفقت آراء المسئولين على ان يتم بدء العمل فى المطبعة الجديدة بكتاب الله العزيز ، ثم يبدأ بطبع « **الجامع المصنف** » . وتم اختيار « **تفسير سورة الاخلاص** » لشيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى حيث انه يتضمن الكلام على السورة التى تحتوى على زبدة ما قرره القرآن فى التوحيد ولذلك « عدلت بثلث القرآن » والدار السلفية تصرف عنايتها الى

تقرير مبدأ التوحيد ، وأصدرت مؤلفات عديدة فى هذا المجال ايمانا من اصحابها بانه اساس الدين وعموده الجذرى ، فالاخلال بهذا المبدأ يودى بكل ما يعمله المرء من اعمال حسنة كما اشار اليه النبي ﷺ حينما سألته عائشة عن ابن جدعان الذى كان يقوم باعمال الخير والبر للناس هل ينفعه ذلك ؟ فقال : عليه الصلاة والسلام : لا ، لأنه لم يقل يوما قط ، رب اغفرلى خطيئتى يوم الدين .

اى انه لم يقر بالتوحيد ، ولم يعترف بالوهية الاله الواحد القهار ، ويتوجه اليه مخلصا لوجهه الدين ، وسأله المغفرة .

كما لاحظنا ان مبدأ الاخلال بالتوحيد فى كثير من الاحيان ــ بخاصة عند الطوائف التى تدعى الايمان بالله وبرسوله ــ هو عدم فهم هذا الركن الاساسى من الدين . ووجدنا ان خير من يقرر هذا المبدأ ويشرحه احسن تفسير ، بالاعتماد على الكتاب والسنة الصحيحة ، هو زعيم المنهج السلفى ، شيخ الاسلام ابن تيمية ، الذى نادى بضرورة أخذ مبادى الدين الاساسية من الكتاب والسنة الصحيحة ، وعدم الخوض فى المسائل الكلامية على طريقة المتكلمين . فالقرآن والسنة يشتملان على قواعد واضحة ، ومبادئ قيمة لما يجب على المرء فى مجال العقيدة والعبادات والمعاملات وغير ذلك من جوانب الحياة .

ولذلك قررنا ان تكون بداية اعمالنا بعد تطوير وسائل الطباعة برسالة شيخ الاسلام فى تفسير سورة الاخلاص .

وكان هذا القرار تاكيدا لمنهجنا الذى نتمسك به فى دعوتنا وهو منهج السلف الصالح من الرجوع الى الكتاب والسنة فى كل ما يعرض الامة من مشاكل واحداث ، واللجوء الى الاجتهاد ــ فى حالة عدم وجود نص صريح قاطع فيهما ــ واختيار احسن وانسب الاقوال ، وترك ما سواه ، بناء على قول مالك ــ رضى لله عنه ــ كل واحد يوخذ من قوله ويترك الا صاحب هذا القبر ، واشار الى قبر النبي ﷺ .

لهذه الاسباب كان اختيارنا لهذه الرسالة النافعة لكى تكون اول مطبوعاتنا بعد التطوير ، والاعمال بالنيات ، كما قال الصادق والمصدوق ﷺ « انما الاعمال بالنيات ، وانما لكل امرئ ما نوى » .

ونرجو من اخواننا القراء واساتذة الجامعات ان لا يضنوا بما لديهم من الاقتراحات او الملاحظات ، بل يفيدوننا بها لكى نتمكن من اصلاح ما يمكن ان صدر منا من الأخطاء ، وتسديد مناهجنا وتغيير برامجنا حسب الضروة . كما نريد ان نؤكد باننا نحاول ــ اقصى ما يمكن ــ ان نقدم الى المكتبة الاسلامية من كتب التراث ما يزيدها ثراء وغنى . وهدفنا هو خدمة العلم والمشتغلين به .

وندعو الله عزوجل ان يوفقنا ، ويسدد خطانا ، ويسلك بنا الصراط المستقيم ، ويجعل اعمالنا خالصة لوجهه الكريم ، وينفع بها الامة الاسلامية ، ويجعلها وسيلة النجاة يوم لا ينفع مال ولا بنون ، الا من اتى الله بقلب سليم .

وآخر دعوانا ان الحمد لله رب العالمين ، وصلى الله على النبيّ الكريم .



مختار احمد الندوى
الرئيس العام للدار السلفية
بومباى ــ الهند

١/ شعبان سنة ١٤٠٦ هـ
الموافق ١١/ابريل سنة ١٩٨٦م

ترجمة المؤلف

هواحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله ، ابن تيمية ، الحرّانى ، الدمشقى ، شيخ الاسلام ، تقى الدين ، ابو العباس . الامام ، علم الاعلام ، المجاهد ، القدوة ، اوحد زمانه فى العلم والاطلاع ، ومعرفة الاحكام ، واستنباط المسائل مع الزهد فى الدنيا ، والعكوف على العبادة ، والتوكل على الله ، والاهتمام باصلاح المجتمع .

ولد فى سنة احدى وستين وستمائة فى حرّان ، وانتقل به ابوه الى دمشق سنة ٦٦٧ هـ بعد استيلاء التتر على حرّان . وكانت سنّه اذ ذاك ست سنوات . وتركت هذه الحادثة وما جرى فيها من اغتصاب اراضى المسلمين ، وسفك الدماء ، وهتك الاعراض ، آثارا سيئة ، وذكريات مفجعة فى نفس ابن تيمية الطفل ، ولعله قضى سنوات فى قلق واضطراب لمعرفة الاسباب التى ادّت الى ضعف كيان الامة الاسلامية ، وتوهين قواها ، ولما شب وترعرع ، وقرأوتعلم ، وشاهد ماكان يجرى فى البلاد الاسلامية ، وماكان عليه المسلمون من الفساد السياسى ، والخلقى والدينى ، ادرك ان السبب الرئيسى فى تخلف المسلمين ، وعجزهم عن التصدى لأعدائهم والدفاع عن بلادهم ، هو انحرافهم عن الصراط المستقيم الذى تركهم عليه رسول الله ﷺ . فعزم على الجهاد والكفاح ضدّ المنحرفين والمبتدعين وكشف دسائسهم واباطيلهم التى بها كانوا يسيطرون على عقول عامة الناس ، وصمم فى الوقت نفسه ــ على اعداد العدة للوقوف فى وجه تيار الزحف التترى ، الذى كان يكتسح البلاد الاسلامية فى ذلك الوقت . وكان له فى ذلك مواقف بطولية ياتى ذكرها فيا بعد .

توسع شيخ الاسلام ابن تيمية فى تحصيل العلوم ــ العقلية والنقلية ــ حتى بلغ فيها مبلغا لا يدرك شأوه ، واصبح بحرا لا يدرك قعره . عكف على قراءة القرآن ومعرفة معانيه ، حتى بلغ فيه الغاية ؛ ونقل عنه انه قال : « انى وقفت على مائة وعشرين تفسيرا ، استحضر من الجميع الصحيح الذى فيها » .

وهذا مكنه من الكلام على آراء المفسرين ، ونقد اقوالهم حيث يرى انها لا توافق ماجاء فى القرآن الكريم والحديث الصحيح . وكان آية من آيات الله فى التفسير والتوسع فيه ، لم يكن يعرف له نظير ، يستمر فى تفسير آية واحدة يومين او اكثر ، ياتى بمعانى بديعة ، ويستخرج دقائق خفية ، ونكات بارعة لم تخطر على بال أحد ، كل ذلك بعبارة حلوة سهلة ، واسلوب مقنع مفحم . وكان يرجع فى اثبات رائه ــ اولا ــ الى القرآن ، يسرد منه آية بعد آية فى الاستشهاد للمسئلة التى يوردها ، لم يكن احد اسرع منه فى انتزاع الآيات القرآنية والاستدلال بها . ونجد امثله من ذلك فى هذا الكتاب .

وبقيت علاقته القوية بكتاب الله الى آخر عمره . يقول : وهو فى السجن الذى توفى فيه :

« قد فتح الله علىّ فى هذا الحصن فى هذه المرة من معانى القرآن ، ومن اصول العلم اشياء كان كثير من العلماء يتمنونها ، وندمتُ على تضييع اكثر اوقاتى فى غير معانى القرآن » .

ولم يمكن علمه بالحديث بأقل من معرفته للقرآن ، فقد حفظ من المتون ما يعجز عنه اكثر العلماء ، يستحضر الاحاديث وقت المناقشة ويعزوكل حديث الى مخرجه ، ويبيّن درجته من الصحة والضعف ، وبلغ فى ذلك درجة لم يبلغها احد فى عصره بحيث يصدق عليه ان يقال :

« كل حديث لايعرفه ابن تيمية فليس بحديث »

وكذلك علمه بالفقه ومعرفته بمذاهب الفقهاء ، لم يكن يجاريه فى ذلك احد من علماء عصره ، ولكنه لم يكن ملتزما بمذهب معين ــ كعادة العلماء فى ذلك الوقت ــ بل كان يتبع ما يقوم عليه دليل صحيح من الكتاب والسنة ويفتى به ، لايخاف فى ذلك لومة لائم .

واماأصول الدين ، ومعرفة اقوال الفرق الضالة من الخوارج ، والروافض ، والمعتزلة ، والمبتدعة ، ووجوه الرد عليها ، فكان لايشق فيها غباره .

هذا مع ما كان يتمتع من خلق حسن وسيرة طيبة من الكرم البالغ ، والشجاعة المفرطة ، والزهد فى الدنيا .

وصفه الذهبي فقال :

« كان قوّالا بالحق ، نهّاءً عن المنكر ، ذاسطوة ، واقدام ، وعدم مداراة » .

ويقول ــ معترفا بالعجز عن استيعاب سيرته :

« وهو اكبر من ان ينبّه على سيرته مثلى . فلو حلفت بين الركن والمقام لحلفت : انى ما رأيت بعينى مثله ، وانه ما رأى مثل نفسه » .

وافاد الناس بكل ما علم وتعلم ، وادرك وحصّل ، والف كتبا ورسائل مفيدة نافعة . ولم يقتصر نشاطه فى مجال العلم والفتيا والتاليف والتصنيف ، بل شارك فعلا فى الجهاد ضد التتر ، وشجع الامراء والسلاطين على الحرب ضدهم ، والدفاع عن حمى الاسلام ، وسافر لأجل ذلك من دمشق الى مصر ، وكلم السلطان بجرأة نادرة ، وقال له انه اذا تخاذل عن نصر رعاياه فى دمشق فسوف يستبدل به الله رجلا آخر يؤدى هذه الفريضة ، لأن الله اعلن فى كتابه :

﴿ وَإِنْ تَتَوَلَّوا يَسْتَبْدِلْ قَومًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لاَيَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ ﴾ .

وكان من نتيجة وعظه ان تقدم السلطان بجيشه الى دمشق . وقد حيّرت تلك الجرأة علماء مصر ــ ومنهم الشيخ ابن دقيق العيد . ولكنه الايمان الكامل بالله ، والتوكل عليه . فالذين يخافون الله لا يخافون غيره .

ومن مظاهرة قوة ايمانه انه ذهب ليقابل ملك التتر ــ ذلك الرجل الذى كان يخاف من اسمه سلاطين العصر ــ وكلّمه كلاما شديدا ووعظه موعظة بليغة ، وامره بالنصح للمسلمين ، والكفّ عن اذاهم . وكان لذلك تاثير حسن فى نفس الملك

وكان فى ايام القتال مع المجاهدين ، يتلو عليهم آيات من الذكر الحكيم لرفع معنوياتهم ، ويلقى عليهم موعظة بليغة للحض على الجهاد .

ومن امثلة اعلانه بالحق دون خوف انه سئل فى كيفية قتال التتر من اى قبيل هو ؟ فانهم يظهرون الاسلام ، وليسوا بغاة على الامام ، فانهم لم يكونوا فى طاعته فى وقت ثم خالفوه .

فاجاب : هؤلاء من جنس الخوارج الذين خرجوا على عليّ ومعاوية ورأوا انهم احق بالامر منهما ، وهؤلاء يزعمون انهم احق باقامة الحق من المسلمين ، ويعيبون على المسلمين ماهم متلبسون به من المعاصى والظلم ، وهم متلبسون بما هو اعظم منه باضعاف مضاعفة .
وكان يقول للناس :

« اذا رأيتمونى من ذلك الجانب ، وعلى راسى مصحف فاقتلونى » .

واما دفاعه عن الاسلام ضدا هواء المخرفين وضلالات المبتدعين فقد ضرب فيه مثلا رائعا ، وترك نموذجا مثاليا يجب ان يقتدى به كل من تحدثه نفسه بالاصلاح الدينى . فقد شنّ هجوما عنيفا — لاهوادة فيه — على المبتدعين من الصوفية والقبوريين الذين شوّهوا تعاليم الاسلام ، وحرّفوا الكلم عن مواضعه للمنفعة العاجلة ، والمصالح الشخصية فقام شيخ الاسلام ضدّهم ، وردّ على دعاويهم ومفترياتهم ، ودكّ حصونهم ومعاقلهم ، فلما لم يجدوا منفذا ، ورأوا ان دسائسهم قد انكشفت ، ومحاولاتهم لخداع الناس قد ظهرت ، لجأوا الى الحكام والسلاطين ، وأغروهم ضده ، فلاقى منهم اذى كبيرا ، وأوذى ، وسجن عدة مرات فى دمشق وفى القاهرة لكن ذلك لم يوثر فى نشاطه ، ولم يمنعه من الجهر بالحق .

ساومه الفقراء الاحمدية ، وسألوا نائب السلطنة فى دمشق بحضرة الامراء ان يكفّ الشيخ امارته عنهم ، وان يسلم لهم حالهم فقال لهم الشيخ :

« هذا ما يمكن . لابد لكل احد ان يدخل تحت الكتاب والسنة قولا وفعلا . ومن خرج عنهما وجب الانكار عليه » .

وهؤلاء كلما وجدوا فرصة ، تجمعوا ضده ، وآلبوا العامة والخاصة عليه ، ودبروا له مكايد ، وحاولوا قتله ، اما هو فكان يتأسى بأكرم الناس واحلم الناس ، سيد الأنبياء محمد ﷺ . فكلما غلب عليهم وقدر . عفا وصفح وغفر . طلب منه الملك الناصر ان يفتى فى قتل القضاة الذين تكلموا فيه ، واغراه قائلا :

« انهم قاموا عليك ، وآذوك » .

لكن الشيخ منعه من ذلك وقال :

« اذا قتلت هؤلاء لاتجد بعدهم مثلهم » .

فقال الملك :

« انهم آذوك ، وارادوا قتلك مرارا » .

فقال : « من آذانى فهو فى حل . ومن آذى الله ورسوله فالله ينتقم منه وانا لا انتصر لنفسى » .

ومازال بالسلطان حتى حلم عنهم وصفح .

وهذا الموقف المثالى دفع القاضى ابن مخلوف المالكى ــ وهو احد اعدائه ــ الى ان يقول :

« ما رأينا مثل ابن تيمية ، حرضنا عليه فلم نقدر عليه ، وقدر علينا فصفح عنا وحاجج عنا » .

هذا اعتراف بعلوّ شان الشيخ وكمال درجته فى الحلم والعفو عند المقدرة ، اعترف به احد العلماء فى مصر ، ولكن قرناءه فى دمشق لم يتعلموا من ذلك ، فاستمروا فى تدبير المكيدة له ، والوشاية ضده لدى السلطان . فسجن ، واستمر فى جهاده من داخل السجن يكتب ويفتى ، ويطلق قنابل على رؤوس المبتدعين ، حتى منعوه من الكتابة وانتزعوا منه ماكان لديه من وسائل الكتابة وبقى فى السجن الى ان توفى سنة ٧٢٨ هـ . رحمه الله تعالى وارضاه ، واسكنه دار رضوانه .

وكانت جنازته اكبر شاهد على صدقه وامانته ، فلم ير مثل ذلك الجمع على رجل قبله ، وحضر الصلاة عليه اصحاب القرى المجاورة ولم ير احد الا باكيا وناعيا . وصدق احمد بن حنبل حين قال :

« قولوا لأهل البدع : بيننا وبينكم الجنائز » .

فالبدعيّ يموت وربما لا يشعر بموته احد . اما المجاهد فى سبيل احياء السنة ، فموته يحدث ضجة فى العالم .

وقال ابن القيم سمعت شيخنا شيخ الاسلام ابن تيمية يقول :

« ما يصنع اعدائى بى ؟ انا جنتى وبستانى فى صدرى . اين رحتُ فهى معى ، لا تفارقنى . انا حبسى خلوة ، وقتلى شهادة ، واخراجى من بلدى سياحة » .

قال ابن القيم : وعلم الله ما رأيت احدا اطيب عيشا منه ، ومع ماكان فيه من الحبس والتهديد والارجاف . وهو مع ذلك اطيب الناس عيشا ، واشرحهم صدرا ، واقواهم قلبا ، واسرّهم نفسا ،تلوح نضرة النعيم على وجهه . وكنا اذا اشتد بنا الخوف ، وساءت بنا الظنون ، وضاقت بنا الارض ، اتيناه . فما هو الا ان نراه ونسمع كلامه فيذهب عنا ذلك كله ، وينقلب انشراحا ، وقوة ، ويقينا ، وطمانينة .

صدق الله العظيم .

﴿ أَلاَ إِنَّ أَوْلِيَآءَ اللهِ لاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَ لاَهُمْ يَحْزَنُوْنَ . اَلَّذِيْنَ آمَنُواْ وَ كَانُواْ يَتَّقُوْنَ . لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَ فِى الآخِرَةِ لاَ تَبْدِيْلَ لِكَلِمَاتِ اللهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيْمُ ﴾ .



اهم المصادر لترجمة ابن تيميّة

١ ـ **تذكرة الحفاظ للذهبي (١٤٩٦/٤) :**
حيدر آباد ١٩٧٠ م .

٢ ـ **الوافي بالوفيات للصفدي (١٥/٧ ـ ٣٣) :**
فيسبادن ١٩٨٢ م .

٣ ـ **فوات الوفيات لابن شاكر الكتبي (٧٤/١ ـ ٨٠) :**
دار صادر / بيروت ١٩٧٣ م .

٤ ـ **البداية والنهاية لابن كثير (١٣٥/١٤ ـ ١٣٩) :**
مكتبة المعارف / بيروت ١٩٧٧ م .

٥ ـ **ذيل طبقات الحنابلة لابن رجب (٣٨٧/٢ ـ ٤٠٨) :**
طبعة مصوّرة من طبعة مطبعة السنة المحمدية ١٣٧٢ م .

٦ ـ **العقود الدرية من مناقب شيخ الاسلام احمد بن تيمية لابن عبد الهادي الحنبلي :**
مطبعة المدني ١٩٨٣ م .

٧ ـ **الاعلام العلية في مناقب شيخ الاسلام ابن تيمية للحافظ ابي حفص البزار .**

✡ ✡ ✡

تفسير سورة الاخلاص

هذا الكتاب الذي نقدّمه للقرّاء هو تفسير سورة الاخلاص من اهم مؤلفات شيخ الاسلام ابن تيميّة . وهو خير دليل على سعة علمه . وكثرة اطلاعه ، وتبحُّره فى العلوم النقليّة والعقليّة ؛ تتجلّى فيه خصائصه التي ينفرد بها من كثرة الاستشهاد بالكتاب والسنة ، وتفنيد مزاعم الفلاسفة والمتكلمين بنفس الطرق التي يستدلّون بها .

استخلصنا هذا الكتاب من **مجموع فتاوى شيخ الاسلام احمد بن تيميّة** جمع وترتيب عبدالرحمن بن محمد بن قاسم العاصمي النجدي الحنبلي ، وابنه محمد رحمها الله تعالى ـــ ويتقدم التفسير ردٌّ على سؤال يتعلق بفضائل « قل هو الله احد » ومعنى كونها تعدل ثلث القرآن .

ولشيخ اللاسلام رسالة مستقلة في هذا الموضوع سمّاها **جواب اهل العلم والايمان في ان «قل هو الله احد» تعدل ثلث القرآن** ـــ موجودة في مجموع فتاواه ، وطبعت مستقلة باسم كتاب **جواب اهل الايمان بتحقيق ما اخبر به رسول الرحمن من ان قل هو الله احد تعدل ثلث القرآن** في مطبعة التقدم بمصر في سنة ١٣٢٢هـ من نسخة الشيخ محمود شكري الآلوسي .

بدأ المؤلف تفسيره بالكلام على معنى « الصمد » ونقل الاثار المروية في ذلك من تفسيرَي ابي جعفر محمدبن جرير الطبري وابي محمد عبدالرحمن بن ابي حاتم الرازي . كما استشهد باقوال اللغويين المعروفين . ثم دخل في البحث لاثبات « صمدية » الله تعالى و « احديته » ، وعدم تماثله لاحد من المخلوقات بوجه من الوجوه .

والكتاب وإن كان أُلف في تفسير « قل هو الله احد » ، جاء كتابا مستقلا في التوحيد ، وما يجب ان يثبت لله تعالى من الصفات ، وما يجب ان ينزه ـــ

سبحانه وتعالى ــ عنه . وقد جرى فيه المؤلف على طريقة السلف : وهي ان نطلق على البارئ ــ جلّ وعزّ ــ من الاسماء والصفات ما وصف هو به نفسه او ما ثبت في كلام رسوله المصطفى ﷺ . اما الالفاظ المستحدثة عند الفلاسفة والمتكلمين من « الجوهر » و« العرض » و« الجسم »و« المتحيّز » و« المركب » وما الى ذلك مّما لم يرد ذكره في الكتاب والسنة ولافي كلام الصحابة والتابعين لهم باحسان فنحن في غنى عن اثباته له ، اونفيه عنه . ويؤكّد المؤلف أثناء نقاشه ان « سورة الاخلاص » تتضمن من معاني التوحيد ما لايمكن التعبير عنه بعبارات اخرى . وفصّل الكلام في معنى كونه تعالى « احداً » و « صمداً » وكونه « لم يلد ولم يولد » وبين انه يتضمن الرد على جميع انواع الشرك المعروفة لدى الامم .

واستطرد في نقاشه الى بيان خطأالعلماء المسلمين الذين انحرفوا عن المنهج السويّ وذهبوا يلتمسون الحق في غير القرآن والحديث ، كما قام بالهجوم على المبتدعين الذين يرتكبون جريمة الاشراك بالله بالتوسل والاستغاثة بالشيوخ والاولياء . وبيّن كيف ان الشيطان يلعب بعقولهم ويُغويهم حتى يجرّهم الى الشرك وهم لايشعرون . ووضّح في هذا الصدد الفرق بين المساجد والمشاهد ، حيث ان الاولى ممّا امر الله تعالى ونبيّه ﷺ ان تعظّم وتطهّر من كل افعال الشرك ولذلك يجب ان لا تتخذ القبور مساجد ولا ان تُبنىَ المساجد على القبور ، فقد حذّرالنبيّ ﷺ من ذلك .

اما المشاهد فلم يرد ذكرها في القرآن ولا في السنة ، ولا عُرف من الصحابة والتابعين لهم باحسان انهم كانوا يعظّمونها ويقدّسونها ، ويتوجّهون اليها . بل الاسلام يحرّم شدّ الرحال الا الى ثلاثة مساجد : المسجدالحرام ، والمسجدالاقصى ، ومسجدالنبيّ ﷺ الذي بالمدينة . يقول المؤلف :

> «اما زيارة قبورالانبياء والصالحين لآجل طلب الحاجات منهم ، او دعائهم ،او الاقسام بهم على الله ، او ظن ان الدعاء او الصلاة عند قبورهم افضل منه في المساجد والبيوت فهذا ضلال و شرك وبدعة باتفاق المسلمين » .

وقد تناول شيخ الاسلام قضيّة اخرى هامّة في هذا الكتاب وهي :ـ

هل في القرآن آيات لايعلم تفسيرها ومعناها الا الله ، لاالرسول ولاالملائكة ولاالصحابة ولاالعلماء ؟

وهذا استدرجه الى البحث في معنى « التاويل » ☆ في قوله تعالى:

فَأَمَّا ٱلَّذِيْنَ فِي قُلُوْبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُوْنَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَاءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَاءَ تَأْوِيْلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيْلَهُ إِلاَّ ٱللهُ وَٱلرَّاسِخُوْنَ فِي ٱلْعِلْمِ يَقُوْلُوْنَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلاَّ أُوْلُوْا ٱلأَلْبَابِ .(٧/٣)

فذكر اختلاف العلماء على وجوب الوقوف على قوله تعالى « إلاالله ». ثم تناول كلمة « التاويل » بالبحث والتحقيق.

وملخّص كلامه ان « التاويل » له معنيان فقط عند السلف.

١:ـ الحقيقة الموجودة في الخارج التي يؤول اليها الكلام وهي عين المخبر به اذا وقع. وقد تكرّرت كلمة « التاويل » في القرآن في هذا المعنى، كقوله تعالى:

« هَلْ يَنْظُرُوْنَ إِلاَّتَأْوِيْلَهُ يَوْمَ يَاتِيْ تَاوِيْلُهُ يَقُوْلُ ٱلَّذِينَ نَسُوْهُ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَآءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلْحَقِّ ».(٥٣/٧)

فوقوع هذه الاخبار يوم القيامة هو تاويل ما اخبر به القران من الوعد والوعيد ، والجنة والنار ، ومايؤول اليه امر هؤلاء.

وتاويل اخبار القران منه ما مضى كأخبار الامم الماضية ، ومنه ما سياتي كاحوال القيامة والبعث

٢:ـ التفسير والبيان .

☆ انظر كتاب «الامام ابن تيمية و موقفه من قضية التاويل» الدكتور محمد السيد الجليند . القاهرة ١٩٧٣ م

وهناك معنى ثالث لكلمة « التاويل » يستعملها فيه المتاخرون من الفقهاء والمفسّرين والاصوليين، وهو: صرف اللفظ عن المعنى الراجح الى المرجوح لقرينة تقتضي ذلك.

ويرد شيخ الاسلام هذا المعنى الاخير لانه لم يكن معروفا لدى السلف ويعتمد على المعنيين الاوّلين، وينتهي الى القول بان معنى التاويل في الاية المذكورة هو: عواقب الامور، والحقيقة الموجودة في الخارج من مدلول اللفظ، وهذه لايعرفها الا الله، ولذلك يجب الوقف على لفظ الجلالة.

اما مايروي منّ ان بعض السلف وقفوا على « الراسخون في العلم » فمعنى « التاويل » عندهم يكون: التفسير والبيان، لانه من المكابرة الظاهرة ان يقال ان في القران ايآت لم يكن جبريل، ولاالرسول ولااحد من الصحابة والتابعين لهم باحسان يعرف معناه. فالرسول ﷺ كانت وظيفته الأساسيّة التبليغ والبيان، وكيف يبلّغ ويبيّن اذا لم يكن هو نفسه يعرف معاني الايات التي انزلت عليه؟ وهناك دلائل قويّة واثار ثابتة تدل على انه ليس في القران آية الا وتعرّض السلف لبيان معناها .

هذه بعض اهم مباحث هذا الكتاب القيم، وسيجد القاري فيه امثلة اخرى من البحث النفيس القائم على الأسس الصحيحة.

★ ★ ★

استخرجنا هذا الكتاب — كما ذكرنا — من مجموع فتاوى شيخ الاسلام احمد بن تيميّة وجاء في الجزء السابع عشر منه من ص ٢١٤ - ٥٠٣ و قبله جواب على سؤال يتعلق بفضيلة قل هو الله احد يقع في سبع صفحات من ٢٠٦ الى ٢١٣، احببنا ادراجه في الكتاب لفائدته.

و تفسير سورة الاخلاص طبع مرات - طبع لاول مرة في المطبعة الحسينيّة المصرية في سنة ١٣٢٣هـ من نسخة « قرئت على الاستاذ الفاضل مرجع اهل العراق على الاطلاق آلوسي زاده السيد محمود شكري افندي متع الله بحياته

ـــ وعني بتصحيحه السيد محمد بدرالدين ابوفراس النعساني الحلبي »كما هو مثبت على الغلاف. ثم اعاد الشيخ محمد منير الدمشقي ـ صاحب ادارة الطباعة المنيرية ـ طبعه عام ١٣٥٢هـ وجاء على غلافه:

« صححه وراجع اصوله للمرة الاولى سنة ١٣٥٢هـ »

والواقع انه لم يصححه، ولم يراجع اصوله، بل اعتمد على طبعة المطبعة الحسينية المذكورة، واعادها حرفا بحرف، باخطائها وسقطاتها.

وظهرت منه طبعات اخرى متعددة، لم استطع الاطلاع عليها، منها طبعة صدرت باعتناء الشيخ محمد حامد الفقي رئيس انصار السنة المحمدية، بلغني انه تصرّف فيها بالاختصار والتهذيب، والله اعلم.

وقد ذكر الشيخ محمد ابوزهره في كتابه عن ابن تيمية الطبعتين المذكورتين فقط.

ولم يكن اخراج هذا الكتاب من برامجنا، ولكن الله ـ جلّ وعلا ـ اذ حقق رغبات اصحاب الدارالسلفية ـ الشيخ مختار احمد الندوي السلفي واولاده ـ حفظهم الله تعالى ـ في الحصول على احدث الالات الطباعة العربية، و كانوا من قبل يستغيثون الله ان يحقق آمالهم في اخراج الكتب الدينية في صورة انيقة وطباعة جيدة ـ قرروا، اداءً لواجب الشكر واعترافا لنعمته تعالى ان يبدأواالعمل بها في طبع كتاب يتعلق بالتوحيد ـ الركن الاساسي للدين الاسلامي ـ ووقع الاختيار على **تفسير سورة الاخلاص** لابن تيمية ـ رحمه الله ـ حيث ان هذه السورة تحتوي على اهم معانى التوحيد ولذلك عدلت بثلث القران. ومؤلف التفسير شيخ الاسلام ابن تيمية هو رائد الفكرة السلفية وحامل راية الدعوة بالرجوع الى الكتاب والسنة في عصور التقليد والجمود الفكري. فاختيار كتابه للطبع اعلان عن المبدأالذيتتمسك به الدارالسلفية : وهو تحكيم الكتاب والسنة في كافة شئون الحياة دون اتباع للاهواء والاراءالشخصية.

ولما تقرر اختيار الكتاب ولم يكن عندنا الا **مجموع الفتاوى**، قررنا اخذ التفسير منه، وبعد ان تم اعداده، وصل السيد اكرم مختار ـ عضو الدارالسلفية ـ

الطالب بالدراسات العليا بكلية دارالعلوم، جامعة القاهرة بالنسختين المذكورتين، و قابلنا مسوّدتنا بها، ووجدنا ان ما اعددناه اصحّ و اكمل من النسختين المطبوعتين. وبما ان الكتاب كان تم تصفيف حروفه للطباعة، اضطررنا الى اثبات الفروق بين النسخ في **استدراكات وتصويبات** في اخر الكتاب.

ولانستطيع ان ندعي ان هذه طبعة محققة تحقيقا علميا، لان تحقيق كتاب لشيخ الاسلام ابن تيمية يحتاج الى وقت طويل لما في مؤلفاته من مناقشات علمية متنوعة، وبحوث متشابكة، ولم يتوفر لنا مثل هذه الفرصة . ولكننا نستطيع ان نقول ان ما نقدمه للقراء هو اصح ماطبع من هذا الكتاب حتى الان. بذلنا اقصى جهودنا في اقامة النص وكانت النسخ المطبوعة تحتوي على اخطاء في الايات القرانية ايضا، فقمنا بتصحيحها واشرنا الى الاخطاء في الهامش. كما اشرنا الى مواضع الايات ورقمها في السورة. ومنهجنا في ذلك ان نذكر السورة ورقمها ورقم الاية المذكور.

وقمنا بتخريج الاحاديث والاثار مع بيان درجتها من الصحة والضعف وترجمة من احتاج الى التعريف من الرواة. ولم نستوعب تخريج الاحاديث النبوية بل اكتفينا - في الغالب - بعزوها الى الصحاح الست ومسند احمد، اذا وجد الحديث فيها او في احدها.

ويلاحظ القاري ان شيخ الاسلام قلما يشير - في كتابه هذا - الى درجة الحديث اوالاثر، واورد في مواضع احاديث ضعيفة، بل منها ما عدّه بعض العلماء من الموضوعات. كما انه لم يلتزم الدقة في سرد المتون فيعزو الحديث الى الصحيحين ويميل منها الى مسند الامام احمد فيسرد لفظه. و قد اشرنا الى هذا في تعليقاتنا .

ويجد القاري احيانا كلمة **الاصل** في التعليقات. والمراد منه « مجموع الفتاوى » الطبعة الاولى الصادرة من الرياض في سنة ١٣٨٢ هـ ، حيث انه هو الاصل الذي اعتمدنا عليه في بداية الامر.

واود ان اشكر كل الاخوة والاصدقاء الذين ساهموا في اعداد الكتاب وطبعه واخص بالذكر من بينهم السيد اسلم مختار - المدير العام - للدارالسلفية والسيد خورشيد انور اللذين قاما باعداد الكتاب بالتصفيف على الكومبيوتر، وتصحيح الاخطاء الموجودة في المسوّدة . فجزاهما الله احسن الجزاء .

وندعوا الله عزّ وجلّ ان يقبل عملنا هذا، وينفع به المسلمين، ويجعله خالصا لوجه الكريم. وآخره دعواناان الحمدللهرب العلمين، وصلى اللهعلى النبيّ الكريم .

☆ ☆ ☆

كتبه الراجي رحمة ربه.

عبدالعلي عبدالحميد

مدير

قسم التحقيق والبحث العلمي

في الدارالسلفية بومبائي الهند

٤ / شعبان سنة١٤٠٦ هـ

الموافق ١٥ / ابريل سنة١٩٨٦م

أحَدٌ مرةً فكأنّما قرأ ثلُثَ القرآن ، ومَن قرأها مرتين فكأنما قرأ ثُلُثَى القرآن ، ومن قرأها ثلاثًا فكأنما قرأ القرآن كلَّهُ » وقوله للناس[٣] : « احتَشِدُوا حتى أقرأ عليكُمْ ثلث القرآن ، فحشدوا حتى قرأ عليهم : ﴿ قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ ﴾ قال : والذى نفسى بيده إنها تعدل ثلث القرآن » .

واما توجيه ذلك : فقد قالت طائفة من أهل العلم : ان القرآن باعتبار معانيه ثلاثة أثلاث : ثلثٌ توحيدٌ ، وثلثٌ قصصٌ ، وثلثٌ امر ونهى . و ﴿ قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ ﴾ هى صفة الرحمن ونسبه ، وهى متضمنة ثلث القرآن ؛ وذلك لأن القرآن كلام الله تعالى ، والكلام اما انشاء واما إخبار ، فالانشاء هو الامر والنهى ، وما يتبع ذلك كالاباحة ونحوها وهو الاحكام ، والاخبار : اما إخبار عن الخالق ، وإما إخبار عن المخلوق ، فالاخبار عن الخالق هو التوحيد ، وما يتضمنه من اسماء الله وصفاته ، والاخبار عن المخلوق هو القصص ، وهو الخبر عما كان وعما يكون ، ويدخل فيه الخبر عن الانبياء وأممهم ، ومن كذبهم ، والاخبار عن الجنة والنار ، والثواب والعقاب . قالوا : فبهذا الاعتبار تكون ﴿ قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ ﴾ تعدل ثلث القرآن ، لما فيها من التوحيد الذى هو ثلث معانى القرآن .

بقى ان يقال : فاذا كانت تعدل ثلث القرآن مع قلة حروفها كان للرجل ان يكتفى بها عن سائر القرآن .

فيقال فى جواب ذلك : ان النبى ﷺ قال : « انها تعدل ثلث القرآن » وعَدْل الشيء ــ بالفتح ــ يقال على ما ليس من جنسه ، كما قال تعالى[٤] : ﴿ أَوْ عَدْلُ ذَلِكَ صِيَامًا ﴾ فجعل الصيام عدل كفارة ، وهما جنسان . ولا ريب ان الثواب أنواع مختلفة فى الجنة ، فان كل ما ينتفع به العبد ويلتذّ به من مأكول ومشروب ومنكوح ومشموم هو من الثواب ، وأعلاه النظر الى وجه الله تعالى ، وإذا كانت أحوال الدنيا لاختلاف منافعها يحتاج اليها كلها ، وان كان بعضها يعدل ما هو اكبر منه فى الصورة ، كما أن الف دينار تعدل من الفضة والطعام

(٣) اخرجه مسلم من حديث ابى هريرة (٥٥٧/١) وكذا الترمذى (١٦٩/٥ رقم ٢٩٠٠) واحمد فى مسنده (٤٢٩/٢) .

(٤) سورة المائدة (٩٥/٥) .

والثياب وغير ذلك ما هو اكبر منها ، ثم من ملك الذهب فقد ملك ما يعدل مقدار ألف دينار من ذلك ، وان كان لا يستغنى بذلك عن سائر انواع المال التى ينتفع بها ؛ لأن المساواة وقعت فى القدر لا فى النوع والصفة ، فكذلك ثواب : ﴿ قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ ﴾ وان كان يعدل ثواب ثلث القرآن فى القدر ، فلا يجب ان يكون مثله فى النوع والصفة ، وأما سائر القرآن ففيه من الأمر والنهى والوعد والوعيد ما يحتاج اليه العباد ، فلهذا كان الناس محتاجين لسائر القرآن ، ومنتفعين به منفعة لا تغنى عنها هذه السورة ، وان كانت تعدل ثلث القرآن .

فهذه المسألة مبنية على اصل : وهو ان القرآن هل يتفاضل فى نفسه ، فيكون بعضه أفضل من بعض ؟ وهذا فيه للمتأخرين قولان مشهوران ، منهم من قال : لا يتفاضل فى نفسه ؛ لأنه كله كلام الله ، وكلام الله صفة له قالوا : وصفة الله لا تتفاضل . لا سيا مع القول بأنه قديم ، فان القديم لا يتفاضل ، كذلك قال هؤلاء فى قوله تعالى :[٥] ﴿ مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنْسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَا أَوْ مِثْلِهَا ﴾ قالوا فخير انما يعود الى غير الآية ، مثل نفع العباد وثوابهم .

والقول الثانى : ان بعض القرآن أفضل من بعض ، وهذا قول الأكثرين من الخلف والسلف ؛ فان النبى ﷺ قال فى الحديث الصحيح فى الفاتحة :[٦] « انه لم ينزل فى التوراة ولا فى الانجيل ولا فى الزبور ولا القرآن مثلها » فنفى ان يكون لها مثل ، فكيف يجوز ان يقال : انه متماثل ؟ وقد ثبت عنه فى الصحيح[٧] انه قال لأبى بن كعب : « يا أبا المنذر ! أتدرى أى آية فى كتاب الله أعظم ؟ قال : ﴿ اللهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ ﴾ فضرب بيده فى صدره وقال له ليهنك العلم أبا المنذر » فقد بين أن هذه الآية أعظم آية فى القرآن ، وهذا بين أن بعض الآيات أعظم من بعض .

---

(٥) البقرة (١٠٦/٢)

(٦) احرجه مالك فى الموطا عن عامر بن كريز (٨٣) وكذا الحاكم (٥٥٧/١) ورواه احمد (١١٤/٥) والنسائى (١٣٩/٢) والحاكم (٥٥٧/١) عن ابى بن كعب
واحرجه الترمذى من حديث ابى هريرة (١٥٥/٥ رقم ٢٨٧٥)

(٧) احرجه مسلم فى صلاة المسافرين (٥٥٦/١) وابوداود فى ابواب الوتر (١٥١/٢ رقم ١٤٦٠) واحمد (١٤٢/٥) والحاكم (٣٠٤/٣)

وايضا فان القرآن كلام الله والكلام يشرف بالمتكلم به ، سواء كان خبرا أو أمرا ، فالخبر يشرف بشرف المخبر ، وبشرف المخبر عنه ، والأمر يشرف بشرف الآمر ، وبشرف المأمور به ، فالقرآن وإن كان كله مشتركا ، فان الله تكلم به ، لكن منه ما أخبر الله به عن نفسه ، ومنه ما أخبر به عن خلقه ، ومنه ما أمرهم به ، فمنه ما أمرهم فيه بالايمان ، ونهاهم فيه عن الشرك ، ومنه ما أمرهم به بكتابة الدين ، ونهاهم فيه عن الربا .

ومعلوم ان ما أخبر به عن نفسه : كـ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴾ أعظم مما اخبر به عن خلقه : ﴿ تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ ﴾ وما أمر فيه بالايمان . وما نهى فيه عن الشرك أعظم مما أمر فيه بكتابة الدين ونهى فيه عن الربا ، ولهذا كان كلام العبد مشتركا بالنسبة الى العبد ، وهو كلام لمتكلم واحد ، ثم انه يتفاضل بحسب المتكلم فيه ، فكلام العبد الذى يذكر به ربه ويأمر فيه بالمعروف وينهى فيه عن المنكر أفضل من كلامه الذى يذكر فيه خلقه ، ويأمر فيه بمباح أو محظور ، وانما غلط من قال بالاول ؛ لأنه نظر الى إحدى جهتى الكلام ، وهى جهة المتكلم به ، وأعرض عن الجهة الأخرى وهى جهة المتكلم فيه ، وكلاهما للكلام به تعلق يحصل به التفاضل والتماثل .

قالوا ومن اعاد التفاضل الى مجرد كثرة الثواب أو قلته من غير ان يكون الكلام فى نفسه أفضل ، كان بمنزلة من جعل عملين متساويين وثواب أحدهما أضعاف ثواب الآخر ، مع ان العملين فى أنفسهما لم يختص أحدهما بمزية ، بل كدرهم ودرهم تصدق بهما رجل واحد فى وقت واحد ومكان واحد على اثنين متساويين فى الاستحقاق ونيته بهما واحدة ، ولم يتميز أحدهما على الآخر بفضيلة ، فكيف يكون ثواب احدهما أضعاف ثواب الآخر ، بل تفاضل الثواب والعقاب دليل على تفاضل الأعمال فى الخير والشر . وهذا الكلام متصل بالكلام فى اشتمال الأعمال على صفات بها كانت صالحة حسنة ، وبها كانت فاسدة قبيحة . وقد بسط هذا فى غير هذا الموضع .

وقول من قال : صفات الله لا تتفاضل ونحو ذلك : قول لا دليل عليه ، بل هو مورد النزاع ، ومن الذى جعل صفته التى هى الرحمة لا تفضل على صفته

التى هى الغضب ، وقد ثبت عن النبى ﷺ :[8]« ان الله كتب فى كتاب موضوع عنده فوق العرش : ان رحمتى تغلب غضبى — وفى رواية — تسبق غضبى » وصفة الموصوف من العلم والارادة والقدرة والكلام والرضا والغضب وغير ذلك من الصفات تتفاضل من وجهين :

أحدهما : أن بعض الصفات أفضل من بعض ، وأدخل فى كمال الموصوف بها ، فانا نعلم ان اتصاف العبد بالعلم والقدرة والرحمة افضل من اتصافه بضد ذلك ؛ لكن الله تعالى لا يوصف بضد ذلك ، ولا يوصف الا بصفات الكمال ، وله الاسماء الحسنى يدعى بها ، فلا يدعى الا باسمائه الحسنى ، وأسماؤه متضمنة لصفاته ، وبعض اسمائه أفضل من بعض ، وأدخل فى كمال الموصوف بها ؛ ولهذا فى الدعاء المأثور[9]: « اسألك باسمك العظيم الأعظم ، الكبير الأكبر » ، و[10]« لقد دعا الله باسمه العظيم الذى اذا دعى به أجاب ، واذا سئل به أعطى » وأمثال ذلك ، فتفاضل الاسماء والصفات من الأمور البينات .

والثانى : أن الصفة الواحدة قد تتفاضل ، فالأمر بمأمور يكون أكمل من الأمر بمأمور آخر ، والرضا عن النبيين أعظم من الرضا عمن دونهم ، والرحمة لهم أكمل من الرحمة لغيرهم ، وتكليم الله لبعض عباده أكمل من تكليمه لبعض ، وكذلك سائر هذا الباب ، وكما ان اسماءه وصفاته متنوعة ، فهى ايضا متفاضلة ، كما دل على ذلك الكتاب والسنة والاجماع مع العقل ، وانما شبهة من منع تفاضلها من جنس شبهة من منع تعددها ، وذلك يرجع الى نفى الصفات . كما يقوله الجهمية لما ادعوه من التركيب ، وقد بينا فساد هذا مبسوطا فى موضعه .

☆ ☆ ☆

(٨) احرجه البحارى ومسلم وعيرهما ـ راحع شعب الايمان

(٩) لم احده وقد ورد من حديث عائشة انها سمعت رسول الله ﷺ يقول
« اللهم انى اسالك باسمك الطاهر الطيب المبارك الاحب اليك الذى اذا دعيت به احبت الحديث
احرجه ابن ماحة (١٢٦٨/٢ رقم ٣٨٥٩) وفى اسناده مقال

(١٠) حاء من حديث انس احرجه ابوداود (١٦٧/٢ رقم ١٤٩٥) وابن ماحة (١٢٦٨/٢ رقم ٣٨٥٧) والنسائى (٢٥٢/٣) واحمد (١٢٠/٣١، ١٥٨، ٢٤٥، ٢٦٥) والحاكم (٥٠٤)
ومن حديث بريدة احرجه الترمدى (٥١٥/٥ رقم ٣٤٧٥) وابن ماحة رقم (٢٨٥٦) واحمد (٣٤٩/٥، ٣٥٠، ٣٦) والحاكم (٥٠٤/١)

و سئل :

عن يقرأ القرآن . هل يقرأ ﴿ **سورة الاخلاص** ﴾ مرة او ثلاثا ؟ وما السنة في ذلك ؟ .

فأجاب : اذا قرأ القرآن كله ينبغى أن يقرأها كما فى المصحف مرة واحدة ، هكذا قال العلماء ؛ لئلا يزاد على ما فى المصحف . وأما اذا قرأها وحدها ، او مع بعض القرآن فانه اذا قرأها ثلاث مرات عدلت القرآن . والله اعلم .



و قال شيخ الاسلام قدس الله روحه

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله و نحمده و نستعينه و نستغفره ، و نعوذ بالله من شرور أنفسنا و من سيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له . و من يضلل فلا هادى له . و نشهد أن لااله الا الله وحده لا شريك له . و نشهد أن محمدا عبده و رسوله ، ﷺ تسليما .

فصل

في تفسير ﴿ قُلْ هُوَ اللّٰهُ اَحَدٌ ، اَللّٰهُ الصَّمَدُ ، لَمْ يَلِدْ وَ لَمْ يُوْلَدْ ، وَ لَمْ يَكُن لَّهُ كُفُواً اَحَدٌ ﴾ .

والاسم ﴿ اَلْصَّمَدُ ﴾ فيه للسلف أقوال متعددة قد يظن أنها مختلفة ، و ليست كذلك ، بل كلها صواب ، و المشهور منها قولان :

أحدهما : أن الصمد هو الذي لا جوف له .

والثانى : أنه السيد الذي يصمد اليه فى الحوائج ، والاول هو قول أكثر السلف من الصحابة والتابعين و طائفة من أهل اللغة . والثانى قول طائفة من السلف و الخلف ، و جمهور اللغويين ، والآثار المنقولة عن السلف بأسانيدها فى كتب التفسير المسندة ، و فى كتب السنة و غير ذلك ، و قد كتبنا من الآثار فى ذلك شيئا كثيراً باسناده فيما تقدم[1] .

(١) راجع الفتاوى ١٤٣/١٧

و تفسير ﴿ ٱلصَّمَدُ ﴾ بأنه الذى لا جوف له معروف عن ابن مسعود[2] موقوفا و مرفوعا ، و عن ابن عباس[3]، والحسن البصرى[4]، و مجاهد[5]، و سعيد بن[6]

(٢) ابن مسعود ، هو عبد الله بن مسعود بن غافل ، ابو عبد الرحمن الهذلى ، وكان ينسب الى امه احيانا فيقال له ابن ام عبد

من السابقين الاولين ، اسلم قديما وهاجر الهجرتين ، ولازم النبى ﷺ وهو اول من جهر بالقرآن بمكة كان من احفظ الصحابة لكتاب الله وكان رسول الله ﷺ يحب ان يسمع منه القرآن ، و يحرص غيره على ذلك و هو احد الصحابة الذين روى عنهم قدر كبير من تفسير القرآن . حمل تفسيره اهل الكوفة لوجوده بينهم ـ توفى سنة ٣٢ هـ

انظر ترجمته فى التفسير و المفسرون لمحمد حسين الذهبى (٨٣/١ـ٨٨) و راجع الاصابة (٣٦٠/٢ـ٣٦٢) الاستيعاب (٣٠٨/٢ـ٣١٦) طبقات ابن سعد (١٥٠/٣ ، ١٣/٦) سير اعلام النبلاء (٤٦١ـ٥٠٠) تذكرة الحفاظ (١٣/١ـ١٦) حلية الاولياء لابى نعيم (١٢٤/١ـ١٣٩)

و لم اجد حديثه المرفوع فى تفسير « الصمد » و كذلك قوله اشار اليه ابن كثير فى تفسيره (٥٧٠/٤) و لم يخرجه الطبرى و لانسب اليه ابن الجوزى و القرطبى و الخازن فى تفاسيرهم

(٣) هو عبد الله بن عباس بن عبد المطلب الهاشمى ، ابن عم رسول الله ﷺ الملقب بالحبر و البحر و ترجمان القرآن و كان النبى ﷺ دعاله بالفقه فى الدين و تاويل الكتاب و كان عمر بن الخطاب رضى الله عنه يكرمه و يجلسه ـ مع صغر سنه ـ مع كبار الصحابة تقديرا لفهمه معانى الآيات و قال ابن عمر فيه « ابن عباس اعلم امة محمد بما نزل على محمد »

و كان يرجع فى فهم معانى الكلمات الغريبة التى وردت فى القرآن الى الشعر العربى القديم ويستشهد به ـ قيل انه هو الذى ابدع الطريقة اللغوية فى التفسير

و قد وصلت الينا اقواله فى التفسير من طرق كثيرة اقربها الى القبول طريق معاوية بن صالح عن على بن طلحة عن ابن عباس

انظر ترجمته فى التفسير و المفسرون (٦٥/١ ـ ٨٣)

و راجع طبقات المفسرين للداودى (٢٣٩/١) والاصابة (٣٢٢/٢ ـ ٣٢٦) الاستيعاب (٣٤٢/٢ ـ ٣٤٩) طبقات ابن سعد (٣٦٥/٢ ـ ٣٧٢) سير اعلام النبلاء(٣٣١/٣ ـ ٣٥٨) التذكرة (٤٠/١ ـ ٤١) حلية الاولياء (٣١٤/١ ـ ٣٢٩) تاريخ التراث لفواد سزكين (٦٣/١ ـ ٦٨)

و سيذكر المؤلف ـ رحمه الله ـ تفسيره و تفاسير غيره فيما بعد باسانيدها

(٤) الحسن بن ابى الحسن يسار البصرى ، ابو سعيد

كان من العلماء الربانيين ، فقيها ، تقةماموبا ، كبير العلم ، غزير المعرفة ، واسع الفهم لمعانى كتاب الله روى عنه فى التفسير شىء كثير ـ توفى عام ١١٠هـ

انظر ترجمته فى التفسير و المفسرون (١٢٤/١) و طبقات الداودى (١٥٠/١) وراجع طبقات ابن سعد (١٥٧/٧ ـ ١٧٨) السير (٥٦٣/٤ ـ ٥٨٨) التذكرة (٧١/١) تهذيب التهذيب (٢٦٣/٢ ـ ٢٧٠) حلية الاولياء لابى نعيم (١٣١/٢ ـ ١٦١) تاريخ التراث العربى (٧٢/١)

(٥) مجاهد بن جبر المكى ، ابو الحجاج

احد الاعلام الاثبات ، و اوثق الرواة عن ابن عباس فى التفسير ، و لذلك اعتمد على تفسيره البخارى والشافعى و غيرهما وقيل انه كان يعطى عقله حرية واسعة فى فهم بعض نصوص القرآن التى يبدو ظاهرها بعيدا ، توفى سنة ١٠٤هـ

انظر ترجمته فى التفسير و المفسرون (١٠٤/١ ـ ١٠٧) طبقات الداودى (٣٠٥/٢ ـ ٣٠٨) طبقات ابن سعد (٤٦٦/٥) والسير (٤٤٩/٤ ـ ٤٥٧) التذكرة (٩٢/١) حلية الاولياء (٢٧٩/٣ ـ ٣١٠) تاريخ التراث (٧٠/١)

(٦) سعيد بن جبير بن هشام ، ابو محمد ،

كان حبشى الاصل ، ابيض الخصال وهو من كبار التابعين ومتقدميهم فى التفسير ، سمع التفسير من ابن عباس ، و روى عنه الائمة كثيرا توفى سنة ٩٥هـ قتله الحجاج صبرا

راجع ترجمته فى التفسير والمفسرون (١٠٢/١ ـ ١٠٣) وطبقات الداودى (١٨٨/١) طبقات ابن سعد (٢٥٦/٦ ـ ٢٦٧) السير (٣٢١/٤ ـ ٣٤٢) التذكرة (٧٦/١) الحلية (٢٧٢/٤ ـ ٣٠٩) تاريخ التراث (٦٩/١)

جبير ، و عكرمة[7] والضحاك[8] ، والسدى[9] ، وقتادة[10] ، وبمعنى ذلك قال سعيد بن المسيب[11] قال : « هو الذي لا حشو له » .

وكذلك قال ابن مسعود : « هو الذي ليست له احشاء » .

(٧) عكرمة البربرى ، ابو عبد الله المدنى ـ مولى ابن عباس .
كان من بحور العلم ، كان ابن عباس يضع الكبل فى رجليه لتعليم القرآن و السنن ،
قال الشعبى : ما بقى احد اعلم بكتاب الله من عكرمة . و قد تكلم بعض الائمة فى تفسيره و اتهموه بانه كان يدعى معرفة كل شيء فى القرآن ، و لكن وثقه غير واحد من كبار الائمة . توفى سنة ١٠٤هـ .
انظر ترجمته فى التفسير والمفسرون (١/١٠٧ ـ ١١٢) و طبقات الداودى (١/٣٨٦) طبقات ابن سعد (٥/٢٨٧ ـ ٢٩٣) السير (٥/١٢ ـ ٣٦) الحلية (٣/٣٢٦ ـ ٣٤٧) .
وقوله اخرجه ابن جرير الطبرى فى تفسيره (٣٠/٣٤٥) وذكره ابن الجوزى فى تفسيره (٩/٢٦٨) وكذا ابن كثير (٤/٥٧٠) .

(٨) الضحاك بن مزاحم الهلالى ، ابو القاسم الخراسانى .
صاحب التفسير . قال الذهبى : ليس بالمجود لحديثه و هو صدوق فى نفسه روى التفسير عن ابن عباس . و كان شعبة ينكر ان يكون الضحاك لقى ابن عباس قط ، وروى عن عبد الملك بن ميسرة قال : لم يلق الضحاك ابن عباس . انما لقى سعيد بن جبير بالرى فاخذ عنه التفسير .
انظر ترجمته فى طبقات ابن سعد (٦/٣٠٠ ـ ٣٠٢) السير (٤/٥٩٨ ـ ٦٠٠) ميزان الاعتدال (٢/٣٢٥) .

(٩) السُدّى هو اسماعيل بن عبد الرحمن بن ابى كريمة ، ابو محمد الحجازى ثم الكوفى ، و يعرف بالسدى الكبير ، توفى سنة ١٢٧هـ .
روى التفسير عن ابن عباس ضعفه ابن معين و لينه ابو زرعة ، و قال ابو حاتم : يكتب حديثه ، و وثقه احمد ، و قال العجلى : عالم بتفسير القرآن ، راوية له . راجع ثقات العجلى (ص٦٦) .
انظر ترجمته فى السير (٥/٢٦٤) ميزان الاعتدال (١/٢٣٦) تهذيب الكمال (١/١٣٢ ـ ١٣٧) تهذيب التهذيب (١/٣١٣) .
وتفسيره اخرجه البيهقى فى الاسماء والصفات (٧٩) وذكره ابن كثير فى تفسيره (٤/٥٧٠) وكذا ابن الجوزى (٩/٢٦٨)

(١٠) قتادة بن دعامة السدوسى ، ابو الخطاب البصرى .
كان على مبلغ عظيم من العلم ، قوى الحافظة ، واسع الاطلاع فى الشعر العربى مشهورا بمعرفته بالتفسير . وكان يستعين فى فهم نصوص القرآن بالادب العربى القديم . توفى سنة ١١٧هـ .
راجع التفسير و المفسرون (١/١٢٥ ـ ١٢٧) طبقات الداودى (٢/٤٧) طبقات ابن سعد (٧/٢٢٩ ـ ٢٣١) السير (٥/٢٦٩ ـ ٢٨٢) التذكرة (١/١٢٢) تهذيب التهذيب (٨/٣٥١ ـ ٣٥٦) الحلية (٢/٣٣٣ ـ ٣٤٥) .
ذكر قوله ابن الجوزى فى تفسيره (٩/٢٦٨) .

(١١) سعيد بن المسيب بن حزن بن ابى وهب المخزومى ، ابو محمد .
عالم اهل المدينة ، و سيد التابعين فى زمانه ، كان ممن برز فى العلم و العمل ، قال على بن المدينى : لا اعلم فى التابعين احدا اوسع علما من ابن المسيب . قال يحي بن سعيد : سئل سعيد بن المسيب عن آية ، فقال : لا اقول فى القرآن شيئا .
و لذلك قلّ ما نقل عنه فى التفسير . توفى سنة ٩٤هـ .
انظر ترجمته فى طبقات ابن سعد (٥/١١٩ ـ ١٤٣) السير (٤/٢١٧ ـ ٢٤٦) التذكرة (١/٥٤ ـ ٥٦) تهذيب التهذيب (٤/٨٤ ـ ٨٨) الحلية (٢/١٦١ ـ ١٧٥) .

وكذلك قال الشعبي[١٢]: « هو الذى لا ياكل و لا يشرب » .

و عن محمد بن كعب القرظى[١٣]، وعكرمة : « هو الذى لا يخرج منه شيء » .

و عن ميسرة[١٤] قال : « هو المصمت » . قال ابن قتيبة :[١٥]« كأن الدال فى هذا التفسير مبدلة من تاء ، والصمت من هذا »[١٦] .

قلت : لا إبدال في هذا و لكن هذا من جهة الاشتقاق الأكبر و سنبين إن شاء الله وجه هذا القول من جهة الاشتقاق ، و اللغة .

و في الحديث المأثور في سبب نزول هذه الآية رواه الامام أحمد فى المسند[١٧] وغيره من حديث أبى سعد الصغانى : حدثنا أبو جعفر الرازي ، عن الربيع بن انس ، عن أبى العالية عن أبى بن كعب[١٨]: (ان المشركين قالوا لرسول الله ﷺ :

(١٢)عامر بن شراحيل الشعبى ، ابوعمرو الكوفى
تابعى جليل ، كان واحد زمانه فى فنون العلم قال ابن عيينة علماء الناس ثلاثة ، ابن عباس فى زمانه ، والشعبى فى زمانه ، و الثورى فى زمانه ، كان شديد النقد على من لا يراه اهلا لتفسير القران كابى صالح والسدى توفى سنة ١٠٤هـ
انظر ترجمته فى التفسير والمفسرون (١٢٩/١ ـ ١٢٤) طبقات ابن سعد (٢٤٦/٦ ـ ٢٥٦) السير (٢٩٤/٤ ـ ٣١٩) التذكرة (٧٩/١ ـ ٨٨) حلية الاولياء (٣١٠/٤ ـ ٣٣٨) تهذيب التهذيب (٦٥/٥ ـ ٦٩)

(١٣)محمد بن كعب القرظى ، ابو حمزة ، او ابو عبد الله المدنى
تابعى ، ثقة ، روى عن ابى بن كعب بالواسطة ، واخذ عنه التفسير قال ابن عون ما رأيت احدا اعلم بتاويل القرآن من القرظى ، و اقواله فى التفسير مدونة فى كتب التفسير ، توفى سنة ١١٨هـ
ترجمته فى التفسيروالمفسرون (١١٦/١) السير (٦٥/٥ ـ ٦٨) الحلية (٢١٢/٣ ـ ٢٢١) تهذيب التهذيب (٤٢٠/٩ ـ ٤٢٢)

(١٤)ميسرة هو ابن يعقوب الطهوى صاحب راية على رضى الله عنه ، قال ابن حجر فى التقريب مقبول ، من الثالثة و قوله اخرجه ابن ابى عاصم فى السنة (٣٠١/١) من رواية عطاء عنه ، و هو ابن السائب و كان اختلط ، و لاجله ضعف الالبانى الاثر

(١٥)ابن قتيبة = عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينورى ، ابو محمد
العلامة ، الكاتب ، دوالفنون و صاحب التصانيف السائرة ، كان راسا فى علم اللسان العربى له « غريب القران و غريب الحديث و مشكل القران و ، مشكل الحديث ، توفى سنة ٢٧٦هـ
انظر ترجمته فى وفيات ابن خلكان (٤٢/٣ ـ ٤٤) السير ٢٩٦/١٣ ـ ٣٠٢) انباه الرواة (١٤٣/٢ ـ ١٤٧) لسان الميزان (٣٥٧/٣ ـ ٣٥٩)

(١٦)تفسير غريب القران (٥٤٢)

(١٧)راجع المسند (١٣٤/٥) و اخرجه الترمذى (٤٥١/٥) و رجح ارساله و اخرجه البيهقى فى شعب الايمان (رقم ٩٨) بسند حسن و راجع تخريجه هناك ، و سياتى الحديث بعد قليل سياق اتم

(١٨)ابى بن كعب بن قيس ، ابو المنذر الانصارى الخزرجى
شهد العقبة و بدرا ، و كان سيد القراء قال له النبى ﷺ ان الله امرنى ان اقرأ عليك فقال ابى الله سمانى لك ؟ قال نعم فجعل ابى يبكى
و كان من اعلم الصحابة بكتاب الله ، و قد روى عنه قدر كبير من التفسير
انظر ترجمته فى التفسير والمفسرون (٩١/١ ـ ٩٣) و طبقات ابن سعد (٣٤٠/٢ ـ ٣٤١) ، ٤٩٨/٣ ـ ٥٠٢) الاصابة (٣١/١ ـ ٣٢) الاستيعاب (٢٧/١ ـ ٣٠) الحلية (٢٥٠/١ ـ ٢٥٦) السير (٣٨٩/١ ـ ٤٠٢)

إنسب لنا ربك فأنزل الله : ﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ﴾ إلى آخر السورة قال : الصمد الذى لم يلد و لم يولد ؛ لأنه ليس شيء يولد إلا سيموت ، ليس شيء يموت إلا سيورث ، و ان الله لا يموت ولا يورث) .

و اما تفسيره بانه السيد الذي يصمد اليه فى الحوائج فهذا أيضاً مروى عن ابن عباس[١٩] موقوفا و مرفوعا ، فهو من تفسير الوالبي[٢٠] عن ابن عباس . قال : ﴿ ٱلصَّمَدُ ﴾ السيد الذى كمل فى سؤدده .

وهذا مشهور عن أبى وائل شقيق[٢١] بن سلمة قال : « هو السيد الذي انتهى سؤدده » .

و عن أبى اسحق الكوفى[٢٢] عن عكرمة[٢٣] :« الصمد الذي ليس فوقه أحد » . و يروى هذا عن على .

و عن كعب الاحبار : « الذى لا يكافئه من خلقه أحد » .

١٩)و سياتى قريبا موقوفا ، اما المرفوع فذكره ابن الجوزى فى تفسيره ان ابن عباس رواه عن رسول الله ﷺ و لم اجد من خرجه - و ذكره الحافظ الهيثمى فى مجمع الزوائد موقوفا فى قصة سؤال نافع بن الازرق عبد الله بن عباس عن معانى كلمات القرآن واستشهاده باشعار العرب . وقال : رواه الطبرانى وفى اسناده جويبر وهو متروك . (٣٠٨/٦) .

٢٠)على بن ربيعة الوالبى ، ابو المغيرة الكوفى .
من العلماء الثقات الاثبات . اخرج له الجماعة .
راجع طبقات ابن سعد (٢٢٦/٦) السير (٤٨٩/٤) تهذيب التهذيب (٣٢٠/٧) .

(٢١)ابو وائل شقيق بن سلمة الاسدى ، الكوفى .
مخضرم من التابعين ، ادرك النبى ﷺ وما رآه . تعلم القران فى شهرين وكان من اعلم اهل الكوفة بحديث ابن مسعود - و عنه اخذ التفسير توفى سنة ٨٢هـ .
ترجمته فى طبقات ابن سعد (٩٦/٦ - ١٠٢) السير (١٦١/٤ - ١٦٦) الحلية (٤/ ١٠١ - ١١٢) تهذيب التهذيب (٣٦١/٤ - ٣٦٣) - و سياتى اثره قريبا .

(٢٢)لعله ابو اسحاق الشيبانى ، الكوفى و اسمه سليمان بن ابى سليمان .
او ابو اسحاق السبيعى و اسمه عمرو بن عبدالله - و كلاهما يروى عن عكرمة و هما ثقتان الا ان السبيعى يدلس . و لم احد من خرج هذا الاثر . و قال ابو عبيدة فى مجاز القرآن (٣١٦/٢) .فى معنى الصمد : الذى ليس فوقه احد . والعرب كذلك تسمى اشرافها .
و قال فى لسان العرب : هو من الرجال الذي ليس فوقه احد .

(٢٣)ابو اسحق كعب بن ماتع الحميرى ، المعروف بكعب الاحبار .
ادرك الجاهلية و اسلم فى خلافة ابى بكر . و كان من قبل على دين اليهود . و لقد نقل عنه فى التفسير و غيره ما يدل على علمه الواسع بالثقافة اليهودية والثقافة الاسلامية - وقد طعن فيه بعض العلماء فى العصر الحديث .
راجع التفسير و المفسرون (١٨٧/١ - ١٩٤) .
و انظر ترجمته فى طبقات ابن سعد (٤٤٥/٧) تهذيب التهذيب (٤٣٨/٨) الحلية (٣٦٤/٥ - ٣٩١ ، ٣/٦ - ٤٨) .
و سياتى هذا التفسير من قول قتادة .

وكذلك قال الشعبي[١٢]: « هو الذى لا ياكل و لا يشرب » .

و عن محمد بن كعب القرظى[١٣]، وعكرمة : « هو الذى لا يخرج منه شيء »

و عن ميسرة[١٤] قال : « هو المصمت » . قال ابن قتيبة[١٥]: « كأن الدال فى هذا التفسير مبدلة من تاء ، والصمت من هذا »[١٦] .

قلت : لا إبدال في هذا و لكن هذا من جهة الاشتقاق الأكبر و سنبين إن شاء الله وجه هذا القول من جهة الاشتقاق ، و اللغة .

و في الحديث المأثور في سبب نزول هذه الآية رواه الامام أحمد فى المسند[١٧] وغيره من حديث أبي سعد الصغانى : حدثنا أبو جعفر الرازي ، عن الربيع بن انس ، عن أبي العالية عن أبي بن كعب[١٨]: (ان المشركين قالوا لرسول الله ﷺ :

(١٢)عامر بن شراحيل الشعبي ، ابوعمرو الكوفي
تابعي جليل ، كان واحد زمانه فى فنون العلم قال ابن عيينة علماء الناس ثلاثة ، ابن عباس فى زمانه ، والشعبي فى زمانه و الثوري فى زمانه ، كان شديد النقد على من لا يراه اهلا لتفسير القران كابى صالح والسدى توفى سنة ١٠٤هـ
انظر ترجمته فى التفسير والمفسرون (١٢٩/١ ـ ١٢٤) طبقات ابن سعد (٢٤٦/٦ ـ ٢٥٦) السير (٢٩٤/٤ ـ ٣١٩) التذكرة (٧٩/١ ـ ٨٨) حلية الاولياء (٣١٠/٤ ـ ٣٣٨) تهذيب التهذيب (٦٥/٥ ـ ٦٩)

(١٣)محمد بن كعب القرظي ، ابو حمزة ، او ابو عبد الله المدنى
تابعي ، ثقة ، روى عن ابى بن كعب بالواسطة ، واخذ عنه التفسير قال ابن عون ما رأيت احدا اعلم بتاويل القرآن من القرظي ، و اقواله فى التفسير مدونة فى كتب التفسير ، توفى سنة ١١٨هـ
ترجمته فى التفسيروالمفسرون (١١٦/١) السير (٦٥/٥ ـ ٦٨) الحلية (٢١٢/٣ ـ ٢٢١) تهذيب التهذيب (٤٢٠/٩ ـ ٤٢٢)

(١٤)ميسرة هو ابن يعقوب الطهوى صاحب راية على رضى الله عنه ، قال ابن حجر فى التقريب مقبول ، من الثالثة و قوله اخرجه ابن ابى عاصم فى السنة (١/١ ٣) من رواية عطاء عنه ، و هو ابن السائب و كان اختلط ، و لاجله ضعف الالبانى الاثر

(١٥)ابن قتيبة = عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينورى ، ابو محمد
العلامة ، الكاتب ، ذوالفنون و صاحب التصانيف السائرة ، كان راسا فى علم اللسان العربى له ، غريب القران و غريب الحديث و مشكل القران و مشكل الحديث توفى سنة ٢٧٦هـ
انظر ترجمته فى وفيات ابن خلكان (٤٢/٣ ـ ٤٤) السير ٢٩٦/١٣ ـ ٣٠٢) انباه الرواة (١٤٣/٢ ـ ١٤٧) لسان الميزان (٣٥٧/٣ ـ ٣٥٩)

(١٦)تفسير غريب القران (٥٤٢)

(١٧)راجع المسند (١٣٤/٥) و اخرجه الترمذى (٤٥١/٥) و رجح ارساله و اخرجه البيهقى فى شعب الايمان (رقم ٩٨) بسند حسن و راجع تخريجه هناك . و سياق الحديث بعد قليل سياق اتم

(١٨)ابى بن كعب بن قيس ، ابو المنذر الانصارى الخزرجى
شهد العقبة و بدرا ، و كان سيد القراء قال له النبى ﷺ ان الله امرنى ان اقرأ عليك فقال ابى الله سمانى لك ؟ قال نعم فجعل ابى يبكى
و كان من اعلم الصحابة بكتاب الله ، و قد روى عنه قدر كبير من التفسير
انظر ترجمته فى التفسير والمفسرون (٩١/١ ـ ٩٣) و طبقات ابن سعد (٣٤٠/٢ ـ ٣٤١) ، ٤٩٨/٣ ـ ٥٠٢) الاصابة (٣١/١ ـ ٣٢) الاستيعاب (٢٧/١ ـ ٣٠) الحلية (٢٥٠/١ ـ ٢٥٦) السير (٣٨٩/١ ـ ٤٠٢)

إنسب لنا ربك فأنزل الله : ﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ﴾ إلى آخر السورة قال : الصمد الذى لم يلد و لم يولد ؛ لأنه ليس شيء يولد إلا سيموت ، ليس شيء يموت إلا سيورث ، و ان الله لا يموت ولا يورث) .

و اما تفسيره بانه السيد الذي يصمد اليه فى الحوائج فهذا أيضاً مروى عن ابن عباس[19] موقوفا و مرفوعا ، فهو من تفسير الوالبى[20] عن ابن عباس . قال : ﴿ ٱلصَّمَدُ ﴾ السيد الذى كمل فى سؤدده . ٥

وهذا مشهور عن أبى وائل شقيق[21] بن سلمة قال : « هو السيد الذي انتهى سؤدده » .

و عن أبى اسحق الكوفى[22] عن عكرمة[23] :« الصمد الذي ليس فوقه أحد » . و يروى هذا عن على . ١٠

و عن كعب الاحبار : « الذى لا يكافئه من خلقه أحد » .

---

١٩)و سياتى قريبا موقوفا ، اما المرفوع فذكره ابن الجوزى فى تفسيره ان ابى عباس رواه عن رسول الله ﷺ و لم اجد من خرجه ـ و ذكره الحافظ الهيثمى فى مجمع الزوائد موقوفا فى قصة سؤال نافع بن الازرق عبد الله بن عباس عن معانى كلمات القرآن واستشهاده باشعار العرب . وقال : رواه الطبرانى وفى اسناده جويبر وهو متروك . (٣٠٨/٦) .

٢٠)على بن ربيعة الوالبى ، ابو المغيرة الكوفى .
من العلماء الثقات الاثبات . اخرج له الجماعة .
راجع طبقات ابن سعد (٢٢٦/٦) السير (٤٨٩/٤) تهذيب التهذيب (٣٢٠/٧) .

(٢١)ابو وائل شقيق بن سلمة الاسدى ، الكوفى .
مخضرم من التابعين ، **ادرك النبى ﷺ وما رآه** . تعلم القران فى شهرين وكان من اعلم اهل الكوفة بحديث ابن مسعود ـ و عنه اخذ التفسير توفى سنة ٨٢هـ .
ترجمته فى طبقات ابن سعد (٩٦/٦ ـ ١٠٢) السير (١٦١/٤ ـ ١٦٦) الحلية (٤/ ١٠١ ـ ١١٢) تهذيبالتهذيب (٣٦١/٤ ـ ٣٦٣) ـ و سياتى اثره قريبا .

(٢٢)لعله ابو اسحاق الشيبانى ، الكوفى و اسمه سليمان بن ابى سليمان .
او ابو اسحاق السبيعى و اسمه عمروبن عبدالله ـ و كلاهما يروى عن عكرمة و هما ثقتان الا ان السبيعى يدلس . و لم اجد من خرج هذا الاثر . و قال ابو عبيدة فى مجاز القرآن (٣١٦/٢) .**فى معنى الصمد : الذى ليس فوقه** احد . والعرب كذلك تسمى اشرافها .
و قال فى لسان العرب : هو من الرجال الذي ليس فوقه احد .

(٢٣)ابو اسحاق كعب بن ماتع الحميرى ، المعروف بكعب الاحبار .
ادرك الجاهلية و اسلم فى خلافة ابى بكر ، و كان من قبل على دين اليهود . و لقد نقل عنه فى التفسير و غيره ما يدل على علمه الواسع بالثقافة اليهودية والثقافة الاسلامية ـ وقد طعن فيه بعض العلماء فى العصر الحديث .
راجع التفسير و المفسرون (١٨٧/١ ـ ١٩٤) .
و انظر ترجمته فى طبقات ابن سعد (٤٤٥/٧) تهذيب التهذيب (٤٣٨/٨) الحلية (٣٦٤/٥ ـ ٣٩١ ، ٣/٦ ـ ٤٨) .
و سياتى هذا التفسير من قول قتادة .

و عن السدى أيضاً : « هو المقصود اليه فى الرغائب ، المستغاث به عند المصائب »[٢٤]

و عن ابى هريرة رضى الله عنه : « هو المستغنى عن كل أحد المحتاج اليه كل أحد »[٢٥] .

و عن سعيد بن جبير أيضاً : « الكامل فى جميع صفاته و أفعاله » .

و عن الربيع[٢٦] : « الذي لاتعتريه الآفات » .

و عن مقاتل بن حيان[٢٧] : « الذي لا عيب فيه » .

و عن ابن كيسان[٢٨] : « هو الذي لا يوصف بصفته أحد » .

(٢٤)ذكره القرطبي فى تفسيره (٢٠/٢٤٥) .

(٢٥)ذكره القرطبي ايضاً .

(٢٦)الربيع بن انس البكرى ، الخراسانى .
سمع انس بن مالك و ابا العالية الرياحى و اكثر عنه ، و اخذ عنه التفسير . قال ابو حاتم : صدوق . و هو من رجال السنن . توفى سنة ١٤٠هـ .
انظر طبقات ابن سعد (٧/٣٦٩) تهذيب التهذيب (٣/٢٣٨) السير (٦/١٦٩) و لم اجد من خرج قوله .

(٢٧)مقاتل بن حيان ، ابو بسطام الخزاز .
يروى عن مجاهد . و عكرمة . و الضحاك . والشعبى . صدوق خرج له الجماعة الا البخارى .
ترجمته فى طبقات الداودى (٢/٣٢٩) السير (٦/٣٤٠) تهذيب التهذيب (١٠/٢٧٧ ـ ٢٧٩) ميزان الاعتدال (٤/١٧١ ـ ١٧٢) .
و ذكر قوله القرطبى فى تفسيره (٢٠/٢٤٥) .

(٢٨)عبد الرحمن بن كيسان ، ابو بكر الاصم .
معتزلى . كان من افصح الناس . و اورعهم و افقههم . له تفسير ، استفاد منه الثعلبى كثيرا . توفى بعد سنة ٢٠٠هـ .
راجع تاريخ التراث العربى لفؤاد سزكين (٤/٦١) طبقات الداودى (١/٢٧٤) لسان الميزان (٣/٤٢٧) الفهرست لابن النديم (٢١٤) .

قال ابو بكر الأنباري[٢٩] : « لا خلاف بين أهل اللغة أن الصمد السيد الذي ليس فوقه أحد ، الذي يصمد اليه الناس فى حوائجهم و امورهم » .

و قال الزجاج[٣٠] : « هو الذي ينتهي اليه السؤدد ، فقد صمد له كل شيء أي قصد قصده » ، و قد أنشدوا فى هذا بيتين مشهورين أحدهما :

ألا بكر[٣١] الناعى بخيرى بنى أسد بعمرو بن مسعود وبالسيد الصمد

و قال الآخر[٣٢] :

علوته بحسامى ثم قلت له خذها حذيف فأنت السيد الصمد

(٢٩) هو الامام الحافظ اللغوى ابو بكر محمد بن القاسم بن بشار ، ابن الانبارى .
المقرى ، النحوى ، ذوالفنون ، الف الدواوين الكبار مع الصدق والدين ، وسعة الحفظ .
قال ابو على القالى : كان شيخنا ابو بكر يحفظ ـ فيا قيل ـ ثلاثمائة الف بيت شاهد فى القران . قال الذهبي : هذا يجيء فى اربعين مجلدا .
و قيل : ان مس جلة محفوظه عشرين و مائة تفسير باسانيدها .
من جلة مؤلفاته كتاب « مشكل القرآن » توفى سنة ٣٢٨هـ .
انظر ترجمته فى تاريخ بغداد (١٨١/٣ ـ ١٨٦) انباه الرواة للقفطى (٢٠١/٣ ـ ٢٠٨) وفيات ابن خلكان (٣٤١/٤ ـ ٣٤٣) تذكرة الحفاظ (٨٤٢/٣ ـ ٨٤٤) السير (٢٧٤/١٥ ـ٢٧٩) تاريخ الادب لبروكلمن (٢١٤/٢ ـ٢١٦) و ذكر قوله ابن الجوزى فى تفسيره (٢٦٨/٩) .

(٣٠) ابو اسحاق ابراهيم بن محمد بن السرّى ، الزجّاج ، البغدادى .
امام وقته فى النحو واللغة ، صنف كتاب « معانى القرآن » .
وله تاليف جمّة . توفى سنة ٣١١هـ .
انظر ترجمته فى انباه الرواة (١٥٩/١ ـ ١٦٦) وفيات ابن خلكان (٤٩/١ ـ٥٠) الواقى بالوفيات (٣٤٥/٥ ـ ٣٥٠) السير (٣٦٠/١٤) تاريخ بغداد (٨٩/٦ ـ ٩٣) تاريخ بروكلمن (١٧١/٢ ـ ١٧٣) .
و ذكر ابن الجوزى قوله فى تفسيره (٢٦٨/٩)

(٣١) اورده ابن الجوزى فى تفسيره و فيه «لقد بكر» .
والبيت لسبرة بن عمرو الاسدى . وهو فى مجاز القرآن لابى عبيدة (٣١٦/٢) و سمط اللآلى (ص٩٣٢) و تفسير الطبرى (٢٤٧/٣٠) والقرطبى (٢٤٥/٢٠) واللسان « صمد » .

(٣٢) راجع اللسان ، والقرطبى (٢٤٥/٢٠) .

و قال بعض أهل اللغة : « الصمد هو السيد المقصود فى الحوائج » ، تقول العرب : صمدت فلاناً أصمده ــ بكسر الميم ــ و اصمُده ــ بضم الميم ــ صمْداً ــ بسكون الميم ــ إذا قصدته ، والمصمود صمد كالقبض بمعنى المقبوض ، والنقض بمعنى المنقوض ، ويقال بيت مصمود و مصمد إذا قصده الناس فى حوائجهم قال طرفة :

وان يلتق الحي الجميع تلاقني   الى ذروة البيت الرفيع المصمد

و قال الجوهرى[٣٣] : « صمده يصمده صمداً إذا قصده » ، والصمد بالتحريك السيد لأنه يصمد اليه في الحوائج ، ويقال بيت مصمَّد بالتشديد أى مقصود .

وقال الخطابى[٣٤] : « أصح الوجوه انه السيد الذي يصمد اليه في الحوائج لأن الاشتقاق يشهد له » ، فان أصل الصمد القصد ، يقال : اصمد صمد فلان أي اقصد قصده ، فالصمد السيد الذي يصمد إليه فى الأمور ، ويقصد فى الحوائج .

وقال قتادة[٣٥] : « الصمد الباقي بعد خلقه » .

---

(٣٣) ابو نصر اسماعيل بن حماد التركى ، الجوهرى .
امام اللغة ، صنّف « الصحاح » فى اللغة ، قال الذهبي : و فى الصحاح اوهام قد عُمل عليها جواش . و هو مطبوع .
راجع انباه الرواة (١٩٤/١ ـ ١٩٨) معجم الادباء لياقوت (١٥١/٦ ـ ١٦٥) السير (٨٠/١٧ ـ ٨٢) لسان الميزان (٤٠٠/١ ـ ٤٠٢) تاريخ بروكلمن (٢٥٩/٢ ـ ٢٦٣) . و راجع لقوله لسان العرب .

(٣٤) ابو سليمان حمد بن محمد بن ابراهيم بن خطاب ، البُستى ، الخطابى .
الامام ، العلامة ، الحافظ ، اللغوى ، صاحب التصانيف الجليلة . منها « غريب الحديث » و « معالم السنن » فى شرح سنن ابى داود و « شرح الاسماء الحسنى » و غير ذلك . توفى سنة ٣٨٨هـ .
انظر ترجمته فى يتيمة الدهر (٣٣٤/٤ ـ ٣٣٦) معجم ياقوت (٢٤٦/٤ ـ ٢٦٠ ، ٢٦٨/١٠ ـ ٢٧٢) انباه الرواة (١٢٥/١) وفيات ابن خلكان (٢١٤/٢ ـ ٢١٦) السير (٢٣/١٧ ـ ٢٦) تذكرة الحفاظ (١٠١٨/٣) تاريخ التراث (٤٢٧/١ ـ ٤٢٩) .
و نقل عنه قوله ابن الجوزى فى تفسيره (٢٦٨/٩) والبيهقى فى الاسماء والصفات (ص٨٠) .
وقال الراغب الاصبهانى فى مفرداته (٢٩٤) .
﴿ الصمد ﴾ :السيد الذى يصمد اليه فى الامر . و صَمَدَ صَمْدَه : قَصدَ معتمدا عليه قَصْدَه .
و قيل : ﴿ الصمد ﴾ : الذى ليس باجوف . والذى ليس باجوف شيئان :
احدهما لكونه ادون من الانسان كالجمادات ؛
والثانى اعلى منه ، و هو البارى والملائكة .
والقصد بقوله « الله الصمد » تنبيه انه بخلاف من اثبتوا له الالهية .

(٣٥) و سياتى قريبا .

وقال مجاهد ، ومعمر[٣٦] : « هو الدائم » .

وقـد جعل الخطـابي و أبو الفرج ابن الجوزي[٣٧] الاقوال فيه اربعة[٣٨] : هذين واللذين تقدما . و سنبين ان شاء الله أن بقاءه و دوامه من تمام الصمدية . وعن مرة الهمداني[٣٩] « هو الذي لايبلى و لايفنى » . و عنه ايضاً قال : « هو الـذي يحكم ما يريد ، و يفعل ما يشاء لا معقب لحكمه ، و لا راد لقضائه »[٤٠] .

وقال ابن عطاء[٤١] : « هو المتعالي عن الكون و الفساد » .

---

(٣٦) معمر بن راشد ، ابو عروة الازدى .
مؤرخ ، محدث ، مفسر ، كان من اوعية العلم مع الصدق والتحرى ، والورع و الجلالة وحسن التصنيف ـ اخذ عنه عبد الرزاق التفسير والحديث ، توفى سنة ١٥٤هـ .
راجع طبقات ابن سعد (٥٤٦/٥) السير (٥/٧ ـ ١٨) التذكرة (١٩٠/١ ـ ١٩١) تاريخ التراث (٩١/٢ ـ ٩٣) .
و رواه ابن ابي عاصم في السنـة (٣٠٢/١) عن الحسن و قـال الالبـانى سنـده ضعيف لـلانقطـاع بين معمر والحسن . و رجاله ثقات .

(٣٧) عبد الرحمن بن على بن محمد ، ابو الفرج ابن الجوزى .
الامام العلامة ، حافظ العراق ، و واعظ الآفاق ، صـاحب التصـانيف المشهورة فى انواع العلوم من التفسير ، و الحديث ، و الفقه ، و الوعظ ، والزهد ، و التاريخ و غيرها .
له تفسير « زاد المسير فى علم التفسير » و كتب اخرى فى علوم القرآن . و قد اعتمد عليه المؤلف فى التفسير . توفى سنة ٥٩٧هـ .
انظر طبقات الداودى (٢٧٥/١ ـ ٢٨٠) التذكرة (١٣٤٢/٤) وفيـات ابن خلكان (١٤٠/٣) السير (٣٦٥/٢١ ـ ٣٨٤) معجم المؤلفين لكحالة (١٥٧/٥ ـ ١٥٨) .

(٣٨) راجع تفسير ابن الجوزى (٢٦٨/٩) .
و قال ابن كثير فى تفسيره (٥٧٠/٤) .
قال الحافظ ابو القاسم الطبرانى فى « كتاب السنة » لـه بعـد ايراده كثيرا من هـذه الاقوال فى تفسير ﴿ الصمد ﴾ .
« و كل هذه صحيحة ، و هى صفات ربنـا عزو جل ، و هو الـذى يُصمد اليـه فى الحوائج ، و هوالـذى قـد انتهى سؤدده ، و هو الصمد الذى لاجوف له ، و لاياكل و لايشرب ، و هو الباق بعد خلقه » .
و قال البيهقى نحو ذلك .

(٣٩) مرّة بن شراحيل ، الهمدانى ، ابو اسماعيل ، الكوفى .
كان يلقب بمرّة الطيّب ، و مرّة الخير ، لعبادتـه ، و شـدة ورعـه ، و كثرة صلاحـه . اخـذ التفسير عن ابن مسعود ، و توفى سنة ٧٦هـ .
ترجمته فى التفسير والمفسرون (١٢١/١) طبقـات الـداودى (٢١٧/٢) طبقـات ابن سعـد (١١٦/٦) السير (٧٤/٤) التذكرة (٦٧/١) الحلية (١٦١/٤ ـ ١٧١) .

(٤٠) ذكره القرطبى فى تفسيره عن الحسين بن الفضل (٢٤٥/٢٠) .

(٤١) واصل بن عطاء المعتزلى ، ابو حذيفة ، المعروف بالغزال .
متكلم ، اديب ، بليغ ، درس على الحسن البصرى ثم اعتزل عنه ، و عمل على نشر مذهب الاعتزال . و كوّن فرقة تسمى الواصلية . من آثاره « معانى القرآن » توفى سنة ١٣١هـ .
راجـع وفيـات ابن خلـكان (٧/٦ ـ ١١) السير (٤٦٤/٥) معجم يـاقـوت (٢٤٣/١٩) لسـان الميزان (٢١٤/٦) تاريخ التراث (١٨/٤ ـ ١٩) .

و عنه ايضاً قال : « الصمد الذي لم يتبين عليه اثر فيما اظهر » ، يريد قوله : ﴿ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ ﴾ . (ق ٥٠/٣٨)

وقال الحسين بن الفضل[٤٢] : « هو الأزلي بلا ابتداء » .

وقال محمد بن علي الحكيم الترمذي[٤٣] : « هو الاول بلا عدد و الباقي بلا أمد ،
٥ و القائم بلا عمد » .

وقال أيضاً « الصمد الذي لا تدركه الأبصار ، و لاتحويه الافكار ، و لاتبلغه الاقطار ، و كل شيء عنده بمقدار » .

وقيل : « هو الذي جل عن شبه المصورين » .

وقيل : « هو بمعنى نفي التجزي و التاليف عن ذاته » وهذا قول كثير من
١٠ اهل الكلام .

وقيل : « هو الذي أيست العقول من الاطلاع على كيفيته » .

و كذلك قيل : « هو الذي لا تدرك حقيقة نعوته و صفاته ، فلا يتسع له اللسان ، و لايشير إليه البنان » .

وقيل : « هو الذي لم يعط خلقه من معرفته إلا الاسم و الصفة » .

١٥ وعن الجنيد[٤٤] قال : « الذي لم يجعل لاعدائه سبيلا إلى معرفته » .

(٤٢) الحسين بن الفضل بن عمير البجلي ، الكوفي ، ابو علي النيسابوري .
المفسر ، الاديب ، امام عصره في معاني القرآن . توفي سنة ٢٨٢هـ .
انظر طبقات الداودي (١٥٩/١) السير (٤١٤/١٣ ـ ٤١٦) لسان الميزان (٣٠٧/٢ ـ ٣٠٨) .

(٤٣) ابو عبد الله محمد بن علي بن الحسن بن بشر ، الحكيم الترمذي .
متصوف معروف ، درس في شبابه التفسير ، والحديث ، والفقه ، ثم مال الى التصوف . و كان ذا رحلة و معرفة و له مصنفات كثيرة من اشهرها « ختم الاولياء » و « نوادر الاصول في معرفة اخبار الرسول » .
انظر تاريخ التراث (١٤٢/٤ ـ ١٥٤) الحلية (٢٣٣/١٠ ـ ٢٣٥) السير (٤٣٩/١٣ ـ ٤٤٢) التذكرة (٦٤٥/٢) لسان الميزان (٣٠٨/٥ ـ ٣١٠) .

(٤٤) ابو القاسم الجنيد بن محمد بن الجنيد الخزاز ، القواريري .
صوفي مشهور ، كان ابن اخت ابي الحسن السريّ السقطي و تلميذه ، كما تتلمذ في التصوف على الحارث المحاسبي ، و ابي يزيد البسطامي . و كان يلقب « بسيّد الطائفة » و « طاووس العلماء ». و له مشاركة في علم الكلام . توفي سنة ٢٩٨ هـ .
راجع تاريخ بغداد (٢٤١/٧ ـ ٢٤٩) وفيات ابن خلكان (٣٧٣/١ ـ ٣٧٥) الحلية (٢٥٥/١٠ ـ ٢٨٧) السير (٦٦/١٤ ـ ٧٠) تاريخ التراث (١٣١/٤ ـ ١٣٥) .

و نحن نذكر ما حضرنا من ألفاظ السلف بأسانيدها . فروى ابن أبي حاتم[45] في تفسيره قال :« ثنا أبي ، ثنا محمد بن موسى بن نفيع الحرشي[46]، ثنا عبد الله بن عيسى يعني أبا خلف الخزاز ، ثنا داود بن أبي هند ، عن عكرمة ، عن ابن عباس في قوله : ﴿ ٱلصَّمَدُ ﴾ قال : « الصمد الذي تصمد إليه الاشياء إذا نزل بهم كربة أو بلاء » .

حدثنا أبو زرعة[47]، ثنا محمد بن ثعلبة بن سواء السدوسي ، ثنا محمد بن سواء ، ثنا سعيد بن أبي عروبة ، عن أبي معشر ، عن ابراهيم ، قال : « الصمد الذي يصمد العباد إليه في حوائجهم » .

حدثنا أبي ، ثنا عبد الرحمن[48] بن الضحاك ، ثنا سويد بن عبد العزيز ، ثنا سفيان بن حسين ، عن الحسن ، قال : « الصمد الحي القيوم الذي لا زوال له » .

(٤٥) ابو محمد عبد الرحمن بن ابى حاتم محمد بن ادريس بن المنذر ، التيمى ، الحنظلى ، الرازى .
كان عالما بالقراءات و التفسير و الحديث ، له معرفة واسعة بعلل الحديث و خبرة في معرفة الرجال . كان احد مشاهير المحدثين في عصره . صنف « الجرح والتعديل » وله « تفسير » ينقل منه ابن كثير كثيرا . توفى سنة ٣٢٧هـ .
راجع طبقات الداودى (٢٨٥/١ ـ ٢٨٧) التذكرة (٨٢٩/٣ ـ ٨٣٢) السير (٢٦٣/١٣ ـ ٢٦٨) لسان الميزان (٤٣٢/٣ ـ ٤٣٣) تاريخ التراث (٣٥٢/١ ـ ٣٥٤)
و ابوه ابو حاتم احد الائمة الحفاظ الاثبات ، كان مشهورا بالعلم بـرواة الحديث، مذكورا بالفضل توفى سنة ٢٧٧هـ .
ترجمته في مقدمة الجرح والتعديل لابن ابى حاتم (٣٤٩ ـ ٣٧٢) التذكرة (٥٦٧/٢ ـ ٥٦٩) تاريخ بغداد (٧٣/٢ ـ ٧٧) تاريخ التراث (٢٩٨/١) .

(٤٦) محمد بن موسى بن نفيع الحرشى (بفتح المهملة والراء ثم شين معجمة) و ورد في الاصل « الجرشى » بالجيم ، و هو خطأ .
قال الحافظ في التقريب : ليّن .
و شيخه ابو خلف عبد الله بن عيسى الخزاز ، ضعيف .
فالاثر ضعيف . و نقله ابن كثير في تفسيره (٥٧٠/٤) و راجع القرطبى (٢٤٥/٢٠) .

(٤٧) ابو زرعة هو الدمشقى عبد الرحمن بن عمرو ، الامام الثقة .
والاثر سنده حسن ، محمد بن ثعلبة بن سواء السدوسى صدوق . و سعيد بن ابى عروبة ثقة ، كثير التدليس و كان اختلط ، و قد عنعن ، و لكن اخرجه ابن ابى عاصم في السنة (٣٠٣/١) عن محمد بن سواء عن ابى معشر ـ بدون ذكر سعيد بن ابى عروبة . و قال الالبانى : اسناده جيد .

(٤٨) اسناده ضعيف .
عبد الرحمن بن الضحاك ـ قال ابو حاتم : محله الصدق .
اما شيخه سويد بن عبد العزيز فليّن الحديث .

حدثنا أبي ، ثنا نصر بن علي ، ثنا يزيد بن زريع ، عن سعيد[٤٩] ، عن قتادة ، عن الحسن ، قال : « الصمد الباقي بعد خلقه » و هو قول قتادة .

حدثنا أبو سعيد الأشج ، ثنا ابن نمير ، عن الأعمش ، عن شقيق في قوله : ﴿ ٱلصَّمَدُ ﴾ قال[٥٠] : « السيد الذي قد انتهى سؤدده » .

حدثنا أبي ، ثنا ابو صالح ، ثنا معاوية بن صالح ، عن علي بن أبي طلحة . عن ابن عباس فى قوله : ﴿ ٱلصَّمَدُ ﴾ قال : السيد الذي قد كمل فى سؤدده ، والشريف الذي قد كمل فى شرفه ، والعظيم الذى قد كمل فى عظمته ، والحليم الذي قد كمل فى حلمه ، والعليم الذي قد كمل فى علمه ، والحكيم الذي قد كمل فى حكمته ، و هو الذي قد كمل فىأنواع الشرف والسؤدد ، هو الله سبحانه و تعالى هذه صفته لا تنبغي لأحد إلا له ليس له كفوٌ ، و ليس كمثله شيء سبحان الله الواحد القهار[٥١] .

حدثنا كثير بن شهاب المذحجي القزويني ، ثنا محمد بن سعيد بن سابق ، ثنا ابو جعفر الرازي[٥٢] عن الربيع بن أنس فى قوله : ﴿ ٱلصَّمَدُ ﴾ قال : الذي لم يلد ولم يولد . حدثنا أبو سعيد الأشج ، ثنا ابن علية[٥٣] ، عن أبي رجاء ، عن

(٤٩) سعيد هو ابن ابى عروبة و هو اثبت الناس فى قتادة .
و قد اخرجه ابن ابى عاصم فى السنة (٣٠١/١) عن نصر بن على به .
و قال الالبانى اسناده صحيح .
و اخرجه البيهقى فى الاسماء والصفات (٧٩) من وجه آخر عن يزيد بن زريع به . و ذكره ابن الجوزى ، و ابن كثير فى تفاسيرهما .

(٥٠) ذكره البخارى فى صحيحه من قول ابى وائل تعليقا . و قال الحافظ ابن حجر : وصله الفريابى من طريق الاعمش عنه . و جاء ايضا من طريق عاصم عن ابى وائل بذكر ابن مسعود فيه . (فتح البارى ٧٤٠/٨) .
قلت : كذا اخرجه ابن ابى عاصم فى السنة (٢٩٩/١) و قال الالبانى اسناده حسن ، و اخرجه ايضا من قول ابى وائل من رواية ابن نمير عن وكيع ، و ابن ادريس عن الاعمش عنه . و رجال اسناده رجال الصحيحين . و اخرجه الطبرى (٣٤٦/٣٠) البيهقى فى الاسماء والصفات من وجه آخر عن الاعمش عنه (٧٩) و رجالها ايضا ثقات .

(٥١) و اخرجه الطبرى فى تفسيره (٣٤٦/٣٠) عن على بن داود القنطرى ، والبيهقى فى الاسماء والصفات (٧٨) من طريق عثمان بن سعيد الدارمى كلاهما عن ابى صالح به ، و سنده لاباس به .
و ذكره ابن كثير فى تفسيره بدون سند (٥٧٠/٤) .

(٥٢) ابو جعفر الرازى هو عيسى بن ابى عيسى ماهان الرازى ، صدوق سيء الحفظ .
و اخرجه الطبرى (٣٤٦/٣٠) بنحوه عن الربيع عن ابى العالية .

(٥٣) ابن علية = اسماعيل بن ابراهيم بن مقسم ، ثقة .
و ابو رجاء هو البصرى ، محمد بن سيف الازدى الحُدّانى ـ قال الحافظ فى التقريب ، ثقة . و اخرجه ابن ابى عاصم فى السنة عن ابى بكر عن ابن علية عن ابى رجاء عن عكرمة ، و من طرق اخرى عن ابى رجاء عن عكرمة و ضعفه الالبانى فقال ان ابا رجاء ـ اسمه مطر بن طهمان ـ فيه ضعف من قبل حفظه . (٢٩٩/١) .

عكرمة فى قوله ﴿ الصمد ﴾ قال : الذي لم يخرج منه شيء . حدثنا ابو سعيد الأشج ، ثنا ابو احمد ، ثنا مندل بن علي ، عن أبي روق عطية بن الحارث ، عن أبي عبدالرحمن السلمى ، عن عبد الله بن مسعود قال : ﴿ ٱلصَّمَدُ ﴾ الذي ليس له احشاء[٥٤] وروى عن سعيد بن المسيب[٥٥] مثله .

٥ حدثنا أبي ، ثنا محمد بن عمر بن عبد الله الرومي ، ثنا عبيد الله بن سعيد قائد الأعمش ، عن صالح بن حيان ، عن عبد الله بن بريدة عن أبيه ، قال لا أعلمه إلا قد رفعه قال : ﴿ ٱلصَّمَدُ ﴾ الذي لا جوف له[٥٦] . و روى عن عبد الله بن عباس و عبد الله بن مسعود فى إحدى الروايات ، والحسن و عكرمة و عطية و سعيد بن جبير ، ومجاهد فى إحدى الروايات ، والضحاك مثل ذلك[٥٧] . حدثنا ١٠ ابي ثنا قبيصة ثنا سفيان عن منصور عن مجاهد قال : الصمد المصمت الذي لا جوف له[٥٨] .

حدثنا ابو عبد الله الطهرانى ، ثنا حفص بن عمر العدنى ، ثنا الحكم بن ابان ، عن عكرمة في قوله : ﴿ ٱلصَّمَدُ ﴾ قال : ﴿ ٱلصَّمَدُ ﴾ الذي لا يطعم[٥٩] . حدثنا أبي ، ثنا على بن هاشم بن مرزوق ، ثنا هشيم عن اسماعيل بن أبي خالد ، ١٥ عن الشعبي أنه قال : ﴿ ٱلصَّمَدُ ﴾ الذي لاياكل الطعام و لايشرب الشراب[٦٠] .

و لكن الطبرى احرجه فى تفسيره (٣٤٦/٣٠) عن ابن بشار قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شعبة عن ابى رجاء محمد بن يوسف (كذا فى المطبوعة و صحته سيف) فسمى ابا رجاء و هو محمد بن سيف و هو ثقة صدوق ، فالسند لا باس به

و احرجه الطبرى ايضا عن يعقوب عن ابن علية به (٣٤٥/٣٠)

(٥٤) اسناده ضعيف ، مندل بن على العنزى ضعيف

(٥٥) و سياتى قريبا

(٥٦) سنده ضعيف محمد بن عمر بن عبد الله الرومى ليّن الحديث و عبيد الله بن سعيد ضعيف و كذا صالح بن حيان القرشى الكوفى

و احرجه الطبرى فى تفسيره من طريق محمد بن عمر ابن الرومى (٣٤٥/٣٠)

و نقله عنه ابن كثير فى تفسيره وقال هذا غريب جدا ، والصحيح انه موقوف على ابن بريدة (٥٧٠/٤) .

و رواه الطبرانى ، و قال الهيثمى فى مجمع الزوائد (١١٤/٧) ضعيف فيه صالح بن حيان .

(٥٧) ستاتى رواياتهم قريبا

(٥٨) اسناده صحيح ، و احرجه الطبرى فى تفسيره من طرق (٣٤٤/٣٠) و سياتى و كذا ابن ابى عاصم فى السنة (٣٠٠/١) و ليس عنده «المصمت

(٥٩) ضعيف لاجل حفص بن عمر العدنى ، اما تلميذه ابو عبد الله الطهرانى فهو محمد بن حماد ثقة ـ و شيخه الحكم بن ابان العدنى صدوق له اوهام

(٦٠) اسناده صحيح و احرجه الطبرى (٣٤٥/٣٠) و سياتى و ابن ابى عاصم فى السنة (٣٠٢/١) و البيهقى فى الاسماء والصفات (٧٩)

حدثنا أبي و ابوزرعة قالا ثنا أحمد بن منيع ثنا محمد بن ميسر ـــ يعني أباسعد الصفاني ـــ ثنا أبو جعفر الرازي عن الربيع بن أنس عن أبي العالية عن أبي بن كعب في قوله : ﴿ ٱلصَّمَدُ ﴾ قال : ﴿ ٱلصَّمَدُ ﴾ الذى لم يلد و لم يولد ؛ لأنه ليس شيّ يلد إلا يموت ، وليس شيء يموت الا يورث ، و إن الله لايموت ، ولا يورث ، ﴿ و لَم يَكُن لَّهُ كُفُواً اَحَدٌ ﴾ قال لم يكن له شبه و لا عدل ، وليس كمثله شيء.[٦١]

حدثنا على بن الحسين ، ثنا محمود بن خداش ، ثنا أبو سعد الصفانى . ثنا ابو جعفر الرازي ، عن الربيع بن أنس ، عن أبي العالية عن أبي بن كعب : « إن المشركين قالوا : إنسب لنا ربك ، فأنزل الله هذه السورة»[٦٢]

حدثناابو زرعة ثناالعباس بن الوليد ثنا يزيد بن زريع عن سعيد عن قتادة ﴿ و لَمْ يَكُن لَّهُ كُفُواً اَحَدٌ ﴾ قال : إن الله لا يكافئه من خلقه احد.[٦٣]

حدثنا علي بن الحسين ثنا أبو عبد الله الحرشى ، ثنا أبو خلف عبد الله بن عيسي ، ثنا داود بن أبى هند ، عن عكرمة ، عن ابن عباس قال : « إن اليهود جاءت الى النبى ﷺ منهم كعب بن الاشرف ، وحيي بن اخطب ، وجدي بن اخطب ، فقالوا : يا محمد ! صف لنا ربك الذي بعثك فانزل الله : ﴿ قُلْ هُوَ ٱللهُ اَحَدٌ ٱللهُ ٱلصَّمَدُ لَمْ يَلِدْ ﴾فيخرج منه الولد ﴿ وَلَمْ يُوْلَدْ ﴾ فيخرج من شيء »[٦٤]

و قال ابن جرير الطبري فى تفسيره[٦٥]: حدثنا احمد بن منيع المروزى . و محمود بن خداش الطالقانى فذكر مثل اسناد ابن ابى حاتم عن أبي بن كعب سؤالم المشركين للنبي ﷺ « إنسب لنا ربك فأنزل الله : ﴿ قُلْ هُوَ ٱللهُ أَحَدٌ ﴾ » .

(٦١) وقد مر برواية احمد، و اخرجه البيهقى فى شعب الايمان (٩٨) و انظر تخريجه هناك .

(٦٢) ضعيف ، ابو سعد الصفانى ، و اسمه محمد بن ميسّر ، ضعيف ، و ابو جعفر الرازى ، صدوق ، سيء الحفظ ، و قد مر .
اخرجه الواحدى فى اسباب النزول عن احمد بن منيع عن ابى سعد الصفانى به .
و سياتى برواية ابن جرير الطبرى ـ و اخرجه الذهبي فى الميزان (٥٢/٤) فى ترجمة ابى جعفر .

(٦٣) اسناده صحيح .

(٦٤) سنده ضعيف ، ابو عبد الله الحرشى و اسمه محمد بن موسى بن نفيع :لين ، و قد مرّ . و ابو خلف عبد الله بن عيسى ضعيف .

(٦٥) راجع تفسير الطبرى (٣٤٢/٣٠) .

حدثنا ابن حميد ، ثنا يحي بن واضح ، ثنا الحسين عن يزيد ، عن عكرمة ان المشركين قالوا : لرسول الله ﷺ «أخبرنا عن صفة ربك ما هو ؟ و من أى شيء هو » ؟ فأنزل الله هذه السورة[٦٦].

وروواه ايضا عن ابى العالية وعن جابر بن عبدالله[٦٧] حدثنا سريج ، ثنا اسمعيل بن مجالد[٦٨] عن مجالد : عن الشعبي ، عن جابر فذكره قال : وقيل : هو من سؤال اليهود . ٥

حدثنا ابن حميد ، ثنا سلمة ، ثنا ابن اسحق ، عن محمد عن سعيد قال : « أتى رهط من اليهود إلى النبي ﷺ فقالوا : يا محمد هذا الله خلق الخلق فمن خلقه ؟ فغضب النبي ﷺ حتى انتقع لونه ثم ساورهم غضباً لربه فجاءه جبريل فسكنه ، و قال اخفض عليك جناحك يا محمد ، و جاءه من الله جواب ما سألوه عنه ١٠ قال : يقول الله : ﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴾ الى آخرها فلما تلاها عليهم النبي ﷺ قالوا له : صف لنا ربك كيف خلقه كيف عضده ؟ كيف ساعده ؟ و كيف ذراعه ؟ فغضب النبي ﷺ أشد من غضبه الاول ، و ساورهم فأتاه جبريل فقال له : مثل مقالته الاولى وأتاه بجواب ما سألوه فانزل الله ﴿ وَمَا قَدَرُوا ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ[٦٩] ﴾ . ١٥

---

(٦٦) راجع الطبرى (٣٠/٣٤٢ ـ ٣٤٣) .
و سنده ضعيف ، شيخ الطبرى محمد بن حميد الرازى ، ضعفه غير واحد .

(٦٧) الطبرى ايضا (٣٠ ـ ٣٤٣) و سنده ضعيف ايضا .

(٦٨) جاء فى الاصل « حدثنا شريح ، ثنا اسماعيل بن مجاهد عن الشعبى » و التصحيح من تفسير الطبرى .
فقد رواه عن محمد بن عوف حدثنى شريح قال ثنا اسماعيل بن مجالد عن مجالد عن الشعبى عن جابر به .
و شريح تصحيف من سريج (بالمهملة و آخره جيم) و هو ابن يونس ، ثقة ، واسماعيل بن مجالد صدوق ، يخطىء و ابوه مجالد بن سعيد ليس بالقوى .
فالحديث ضعيف .
و اخرجه ابو يعلى والطبرانى فى الاوسط راجع مجمع الزوائد (١٤٦/٧) كما اخرجه ابونعيم فى الحلية (٣٣٥/٤).
حدثنا محمد بن عوف ، حدثنا سريج ، ثنا اسماعيل بن مجالد عن مجالد عن الشعبى ، عن جابر فذكر ه .
قال وقيل هو من سؤال اليهود ..

(٦٩) سورة الزمر (٦٧/٣٩) .
والحديث ضعف ـ لضعف ابن حميد ، وكون محمد بن اسحاق مدلسا ، و قد روى بعن ، و شيخه هو محمد بن ابى محمد ، مولى زيد بن ثابت مدنى قال الذهبى فى الميزان (٢٦/٤) لا يعرف .
و فى الاصل « عن محمد بن سعيد » و صححناه من تفسير الطبرى .
راجع (٣٤٣/٣) و نسبه السيوطى فى الدر المنثور (٦٧١/٨) الى ابن المنذر ايضا .

و روى الحكم بن معبد[٧٠] فى كتاب الرد على الجهمية قال ثنا عبد الله بن محمد بن النعمان ، ثنا سلمة بن شبيب ، ثنا يحي بن عبد الله ، ثنا ضرار ، عن أبان ، عن انس ، قال : « أتت يهود خيبر إلى النبيﷺ فقالوا : يا أبا القاسم خلق الله الملائكة من نور الحجاب ، و آدم من حمأ مسنون ، و إبليس من لهب النار ، و السماء من دخان ، والارض من زبد الماء ، فاخبرنا عن ربك ؟ قال : فلم يجبهم النبي ﷺ فأتاه جبريل فقال يا محمد : ﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ لَمْ يَلِدْ وَ لَمْ يُولَدْ وَ لَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ ﴾ ليس له عروق يتشعب إليها . ﴿ ٱلصَّمَدُ ﴾ ليس بأجوف و لاياكل و لايشرب ﴿ لَمْ يَلِدْ وَ لَمْ يُولَدْ » ليس له ولد و لا والد ينسب إليه ﴿ وَ لَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ ﴾ ليس شيء من خلقه يعدل مكانه يمسك السموات والارض ان تزولا » الحديث[٧١] .

و قال ابن جرير : ثنا عبد الرحمن بن الاسود ، ثنا محمد بن ربيعة عن سلمة بن سابور ، عن عطية عن ابن عباس قال : ﴿ ٱلصَّمَدُ ﴾ الذي ليس بأجوف[٧٢] . حدثنا ابن بشار ، ثنا عبد الرحمن ، ثنا سفيان عن منصور ، عن مجاهد ﴿ ٱلصَّمَدُ ﴾ المصمت الذي لا جوف له[٧٣] .

حدثنا أبو كريب ، ثنا وكيع ، عن سفيان ، عن منصور مثله سواء.

حدثنا الحارث ، ثنا الحسن ، ثنا ورقاء عن ابن ابي نجيح عن مجاهد مثله ، حدثنا ابن بشار ، ثنا عبد الرحمن ، ثنا الربيع بن مسلم عن الحسن قال : ﴿ ٱلصَّمَدُ ﴾ الذي لا جوف له[٧٤] .

(٧٠) الحكم بن معبد بن احمد بن عبيد الخزاعي ، ابو عبد الله .
فقيه ، محدث ، اديب من اهل اصفهان ، كان من كبار الحنفية و ثقاتهم توفى سنة ٢٩٥هـ .
راجع شذرات (٢١٨/٢) اخبار اصفهان لابى نعيم (٢٩٨/١) الجواهر المضيئة (٢٢٣/١) .

(٧١) سنده ضعيف ، يحى بن عبد الله البابلتى ضعيف ، و ابان ، الراوى عن انس - اذا كان ابن ابى عياش فهو ضعيف ايضا ، و لم اعرف ضرار .
والحديث نسبه السيوطى فى الدر المنثور (٦٧٠/٨) الى ابى الشيخ فى العظمة و ابى بكر السمرقندى فى فضائل « قل هو الله احد » .

(٧٢) سنده ضعيف لاجل سلمة بن سابور و شيخه عطية و هوابن سعد بن جنادة العوفى .
و راجع تفسير الطبرى (٣٤٤/٣٠) .
و اخرجه ايضا ابن ابى عاصم فى السنة (٣٠١/١) والبيهقى فى الاسماء والصفات (٧٨) .

(٧٣) سنده صحيح ، و قد مرّ برواية ابن ابى حاتم و هو عند الطبرى فى تفسيره (٣٤٤/٣٠) .

(٧٤) سنده صحيح ، و هو فى تفسير الطبرى (٣٤٥/٣٠) واخرجه ابن ابى عاصم بسند صحيح ايضا (٣٠١/١) .

و بهذا الاسناد عن إبراهيم بن ميسرة قال : « أرسلني مجاهد إلى سعيد بن جبير اسأله عن ﴿ ٱلصَّمَدُ ﴾ فقال : الذي لا جوف له »[٧٥] .

حدثنا ابن بشار ، ثنا يحي ، ثنا اسمعيل بن أبي خالد ، عن الشعبي قال : ﴿ ٱلصَّمَدُ ﴾ الذي لا يطعم الطعام »[٧٦] .

٥ ورواه يعقوب عن هشيم عن إسماعيل عنه قال : «لا يأكل الطعام و لا يشرب الشراب » .

حدثنا ابن بشار و زيد بن أخزم قالا : ثنا ابن داود عن المستقيم بن عبد الملك ، عن سعيد بن المسيب قال : ﴿ ٱلصَّمَدُ ﴾ الذي لا حشو له[٧٧] .

حدثنا الحسين ، ثنا أبو معاذ ، ثنا عبيد قال : سمعت الضحاك يقول : ﴿ ٱلصَّمَدُ ﴾ الذي لا جوف له[٧٨] .

١٠ و روى عن ابن بريدة فيه حديثاً مرفوعاً[٧٩] لكنه ضعيف .

قال : وقال آخرون هو الذي لا يخرج منه شيء .

حدثنا يعقوب بن ابى علية ، عن أبي رجاء ، سمعت عكرمة قال فى قوله : ﴿ ٱلصَّمَدُ ﴾ لم يخرج منه شيء : لم يلد و لم يولد ،[٨٠] .

---

(٧٥) اسناده صحيح ، و راجع الطبرى (٣٤٥/٣٠) و اخرجه ابن ابى عاصم عن ابراهيم بن ميسرة عن سعيد بن جبير ، و قال الالبانى سنده ضعيف (٣٠٢/١)

(٧٦) صحيح الاسناد ـ و هو فى تفسير الطبرى (٣٤٥/٣٠) و قد مرّ برواية ابن ابى حاتم

(٧٧) سنده فيه ضعف المستقيم بن عبد الملك و اسمه عثمان ، ليّن الحديث و ابن داود هو عبد الله بن داود الحريبى ، ثقة عابد
و الحديث عند الطبرى (٣٤٥/٣٠) و اخرجه ابن ابى عاصم (٣٠١/١)

(٧٨) ضعيف ، الحسين بن الفرج الخياط ، ضعيف ، كذبه ابن معين و هو ليس من شيوخ الطبرى بل يروى عنه بواسطة عبدان بن محمد المروزى ، و كثيرا ما يسقطه فيقول « حُدِّثت » عن الحسين ـ كما جاء فى تفسير الطبرى فى هذا الخبر راجع (٣٤٥/٣٠)
و ابو معاذ هو الفضل بن خالد النحوى ، ذكره ابن ابى حاتم فى كتابه و لم يذكر فيه جرحا و لاتعديلا
و عبيد هو ابن سليمان الباهلى ـ لا بأس به ـ
و اخرجه ابن ابى عاصم باسناد جيد (٣٠٣/١)

(٧٩) و هوراجع الطبري(٣٤٥/٣٠) و قد مرّ برواية ابن ابى حاتم

(٨٠) راجع الطبرى (٣٤٥/٣٠) و راجع مسلم (٢٠١٦/٣)

حدثنا ابن بشار ، ثنا محمد بن جعفر ، ثنا شعبة ، عن أبي رجاء محمد بن[81] يوسف ، عن عكرمة قال : ﴿ ٱلصَّمَدُ ﴾ الذي لا يخرج منه شيء .

و قال آخرون لم يلد و لم يولد ، و ذكر حديث أبي[82] بن كعب الذي رواه ابن أبي حاتم ، والذي فيه : انه سبحانه لا يموت و لا يورث .

٥ قال : وقال آخرون : هو السيد الذي انتهى فى سؤدده .

قال : و ثنا أبو السائب ، ثنا أبو معاوية ، عن الاعمش ، عن شقيق ، قال : ﴿ ٱلصَّمَدُ ﴾ هو السيد الذي انتهى فى سؤدده.[83]

حدثنا أبو كريب و ابن بشار و ابن عبد الاعلى قالوا : ثنا وكيع عن الاعمش عن أبي وائل قال : ﴿ ٱلصَّمَدُ ﴾ السيد الذي انتهى فى سؤدده .

١٠ حدثنا ابن حميد ، ثنا مهران ، عن سفيان ، عن الاعمش ، عن أبي وائل مثله حدثنا ابو صالح ، ثنا معاوية ، عن على ، عن ابن عباس فى قوله : ﴿ ﴿ ٱلصَّمَدُ ﴾ قال السيد الذي قد كمل فى سؤدده ، و ذكر مثل الحديث الذي رواه ابن أبي حاتم كما تقدم .

قلت : الاشتقاق يشهد للقولين جميعاً:قول من قال : ان ﴿ ٱلصَّمَدُ ﴾ الذي ١٥ لا جوف له ، و قول من قال انه السيد ، و هو على الاول ادل ؛ فان الأول أصل للثانى ، و لفظ ﴿ ٱلصَّمَدُ ﴾ يقال على ما لا جوف له فى اللغة .

قال يحي بن أبي كثير:[84] الملائكة صمد والآدميون جوف .

و فى حديث آدم.[85] ان ابليس، قال عنه انه أجوف ليس بصمد .

(٨١) كذا فى تفسيرالطبرى و صحته « محمد بن سيف » و هكذا ورد اسمه فى تهذيب التهذيب فين روى عنهم شعبة . و راجع الكنى للدولابى (١٧٣/١) .

(٨٢) انظر تفسير الطبرى (٣٤٦/٣٠) .

(٨٣) راجع المصدر المذكور (٣٤٦/٣٠) و قد مرّ برواية ابن ابى حاتم .

(٨٤) يحي بن ابى كثير ، ابو نصر الطائى .
من صغار التابعين ، احد الاعلام الحفاظ . قال احمد : هو من اثبت الناس انما يعد مع الزهرى و يحي بن سعيد . توفى سنة ١٢٩هـ .
انظر طبقات ابن سعد (٥٥٥/٥) السير (٢٧/٦ ـ ٣٠) الحلية (٦٦/٣ ـ ٧٥) التذكرة (١٢٩/١) .

(٨٥) جاء فى حديث طويل اخرجه ابن جرير الطبرى (٢٠٣/١) و البيهقى فى الاسماء والصفات (٤٥٧) عن ابن مسعود و ابن عباس ـ و سنده ضعيف .

و قال الجوهرى : المصد لغة فى المصمت[86] و هو الذي لا جوف له ، قال والصماد عفاص القارورة ، و قال : الصمد المكان المرتفع الغليظ قال أبو النجم[87] :

« يغادر الصمد كظهر الاجزل »

و اصل هذه المادة الجمع والقوة ، و منه يقال يصمد المال : أي يجمعه ، و كذلك « السيد » أصله سيود اجتمعت ياء و واو و سبقت احداهما بالسكون فقلبت الواو ياء و ادغمت . كما قيل ميت و اصله ميوت . والمادة فى السواد و السؤدد تدل على الجمع ، و اللون الاسود هو الجامع للبصر . و قد قال تعالى[88] : ﴿ وَ سَيِّداً وَّ حَصُوْراً ﴾ .

قال اكثر السلف ﴿ سَيِّداً ﴾ حليما[89] ، و كذلك يروى عن الحسن ، و سعيد بن جبير ، و عكرمة و عطاء ، و أبي الشعشاء والربيع بن أنس ، و مقاتل ، و قال : أبو روق عن الضحاك انه الحسن[90] الخلق . و روى سالم عن سعيد بن جبير انه التقى[91] ، و لا يسود الرجل الناس حتى يكون فى نفسه مجتمع الخلق ثابتاً .

---

(٨٦) راجع اللسان « صمد » .

(٨٧) ابو النجم الراجز و اسمه الفضل بن قدامة العجلى .
من اكابر الرجاز ، و من احسن الناس انشادا للشعر . توفى سنة ١٣٠هـ .
انظر الشعر والشعراء لابن قتيبة (٤٠٠ ـ ٤٠٤) الاغانى (الدار) (١٠/١٥٠) .
و شطره فى اللسان (صمد) .

(٨٨) آل عمران (٣/٣٩) .

(٨٩) كذا جاء حليما (باللام) و هو الصواب . و ذكر ابن الجوزى (١/٣٨٣) ثمانية اقوال فى معنى السيد منها الحليم التقى . روى عن ابن عباس و قال به الضحاك .
و منها الحكيم (بالكاف) و نسبه للحسن ، و سعيد بن جبير ، و عكرمة ، و عطاء ، و ابى الشعشاء ، والربيع و مقاتل ، ويبدوا هذا تحريفا ، فلم يذكر الطبرى فى تفسيره عن احد انه فسر السيد بالحكيم و لا نقل السيوطى ذلك عن احد .
راجع الطبرى (٣/٢٥٤) والدرالمنثور (٢/١٨٩) و ابن كثير (١/٣٦١) واللسان « سود » .

(٩٠) ذكره ابن الجوزى فى تفسيره (١/٣٨٣) و اخرجه احمد فى الزهد (٩٠) و الخرائطى فى مكارم الاخلاق قاله السيوطى فى الدر المنثور (٢/١٩٠) .
و سنده لاباس به . ابو روق هو عطية بن الحارث الهمدانى ، الكوفى ، قال الحافظ فى التقريب : صدوق .

(٩١) اخرجه ابن جرير الطبرى فى تفسيره (٣/٢٥٤) بسند ضعيف .

و قال عبد الله بن عمر : ما رأيت بعد رسول الله ﷺ أسود من معاوية ! فقيل له : و لا أبو بكر ، و لا عمر ، قال : كان أبو بكر و عمر خيراً منه ، و ما رأيت بعد رسول الله ﷺ أسود من معاوية[٩٢] ! قال أحمد بن حنبل : يعنى به الحليم ، او قال : الكريم و لهذا قيل :

٥ إذا شئت يوماً أن تسود قبيلة فبالحلم سد لا بالتسرع والشتم

[٩٣]

و لهذا فسر طائفة من السلف السيد بأنه سيد قومه فى الدين ، و قال ابن زيد : هو الشريف ، و قال الزجاج : الذي يفوق قومه فى الخير . و قال ابن الانبارى : السيد هنا الرئيس ، والامام فى الخير ، و عن ابن عباس و مجاهد[٩٤] : هو الكريم على ربه ، و عن سعيد بن المسيب:هو الفقيه العالم[٩٥] ، و قد تقدم أنهم

١٠ يقولون لعفاص القارورة : صماد ، قال الجوهرى:العفاص جلد يلبسه رأس القارورة ، و أما الذي يدخل فى فمه فهو الصمام و قد عفصت القارورة شددت عليها العفاص .

(قلت) : و فى الحديث الصحيح عن النبى ﷺ فى اللقطة : « ثم اعرف عفاصها و وكاءها[٩٦] » والمراد بالعفاص[٩٧] : ما يكون فيه الدراهم كالخرقة التى تربط فيها

١٥ الدراهم ، والوكاء[٩٨] : مثل الخيط الذى يربط به ، و هذا من جنس عفاص

(٩٢) ذكره ابن الاثير فى النهاية (٤١٨/٢) و قال قيل اراد اسخى و اعطى للمال و قيل احلم منه

(٩٣) نقل هذه الاقوال ابن الجوزى فى تفسيره (٣٨٣/١) و راجع اللسان « سود »

(٩٤) اخرجه ابن جرير فى تفسيره (٢٥٤/٣)

(٩٥) اخرجه ابن جرير و فى اسناده بقية و فيه كلام

(٩٦) اخرجه البخارى فى اللقطة (٩٣/٣ ـ ٩٥) و فى العلم (٣١/١) و فى الشرب والمساقاة (٧٩/٣) وفى الطلاق (١٧٤/٦) و فى الادب (٩٨/٧)
و مسلم فى اللقطة (١٣٤٦/٢ ـ ١٣٤٩) من حديث زيد بن خالد الجهنى و هو عند ابى داود فى اللقطة (٣٣١/٣) والترمذى فى الاحكام (٢٩٥/٢ ـ تحفة) و ابن ماجة فى اللقطة(٨٣٦/٢ رقم٢٥٠٤ ، ٨٣٨ رقم٢٥٠٧)
و اخرجه مالك فى الموطأ (٧٥٧) .
و احمد فى مسنده (١١٦/٤ ـ ١١٧ ، ١٩٣/٥)

(٩٧) [illegible] فى النهاية (٢٦٣/٣) العفاص الوعاء الذى تكون فيه النفقة من جلد او خرقة او غير ذلك ، من العفص [illegible] و به سمى الجلد الذى يجعل على راس القارورة عفاصها
و راجع [illegible] عفص

(٩٨) راجع اللسان « وكى »

القارورة . و لفظ العفص والسد والصمد والجمع والسؤدد معانيها متشابهة ، فيها الجمع والقوة ، و يقال طعام عفص، و فيه عفوصة ؛ أى تقبض ، و منه العفص الذي يتخذ منه الحبر .

و قد قال الجوهرى : هو مولد ليس من كلام أهل البادية ، و هذا لا يضر ؛ لأنه لم يكن عندهم عفص يسمونه بهذا الاسم ، لكن التسمية به جارية على اصول كلام العرب ، و كذلك تسميتهم لما يدخل فى فمها صمام ، فان هذه المادة فيها معنى الجمع والسد .

قال الجوهرى : صمام القارورة سدادها ، والحجر الأصم:الصلب المصمت ، و الرجل الأصم:هو الذى لا يسمع ، لانسداد سمعه ، والرجل الصمة:الشجاع ، و الصمة:الذكر من الحيات ، و صميم الشيء:خالصه ، حيث لم يدخل اليه ما يفرقه و يضعفه ، يقال صميم الحر ، و صميم البرد ، و فلان من صميم قومه ؛ و الصمصام : الصارم القاطع ، الذي لا ينثنى ، و صمم فى السير و غيره أى مضى ، و رجل صمصم : اى غليظ .

و منه فى الاشتقاق الأكبر الصوم ، فان الصوم هو الامساك .

قال ابو عبيدة[٩٩] : كل ممسك عن طعام او كلام او سير فهو صائم ، لأن الامساك فيه اجتماع ، والصائم لا يدخل جوفه شيء ، و يقال صام الفرس إذا قام في غير اعتلاف . قال النابغة[١٠٠] :

خيل صيام وخيل غير صائمة   تحت العجاج،وأخرى تعلك اللجما

و كذلك السد والسداد والسؤدد والسواد ، و كذلك لفظ الصمد فيه الجمع ، والجمع فيه القوة ، فان الشيء كلما اجتمع بعضه إلى بعض ، و لم يكن فيه خلل كان أقوى مما إذا كان فيه خلو ، و لهذا يقال للمكان الغليظ المرتفع : صمد ،

(٩٩) ابو عبيدة معمر بن المثنى التيمى .
من ائمة اللغة ، العلامة ، النحوى ، صاحب التصانيف الكثيرة منها « مجاز القران» و «غريب الحديث» توفى سنة ٢٠٩هـ .
انظر تاريخ بغداد (٢٥٢/١٣) معجم ياقوت (١٥٤/٩) انباه الرواة (٢٧٦/٣) تاريخ الادب العربى لبرو كلمان (١٤٢/٢ ـ ١٤٥) وفيات ابن خلكان (٢٣٥/٥) السير (٤٤٥/٩) طبقات الداودى (٣٢٦/٢) .

راجع مجاز القرآن لأبي [illegible]

لقوته و تماسكه ، و اجتماع أجزائه ، و الرجل الصمد هو السيد المصمود ، أى المقصود ، يقال قصدته ، و قصدت له ، و قصدت إليه ، و كذلك هو مصمود ، و مصمود له و إليه ، والناس إنما يقصدون فى حوائجهم من يقوم بها ، و إنما يقوم بها من يكون فى نفسه مجتمعا قويا ثابتا ، و هو السيد الكريم ، بخلاف من يكون هلوعا جزوعا يتفرق و يقلق و يتمزق من كثرة حوائجهم و ثقلها ، فان هذا ليس بسيد صمد يصمدون إليه فى حوائجهم .

فهم انما سمو السيد من الناس صمدا ؛ لما فيه من المعنى الذي لأجله يقصده الناس فى حوائجهم ، فليس معنى السيد فى لغتهم معنى اضافى فقط — كلفظ القرب والبعد — بل هو معنى قائم بالسيد ؛ لأجله يقصده الناس ، والسيد من السؤدد والسواد ، و هذا من جنس السداد فى الاشتقاق الأكبر فان العرب تعاقب بين حرف العلة ، و الحرف المضاعف ، كما يقولون : تقضى البازى ، و تقضض . والساد[101] هو الذي يسد غيره ، فلا يبقى فيه خلو ، و منه سِداد القارورة ، و سِداد الثغر بالكسر فيهما ، و هو ما يسد ذلك ، و منه السَداد بالفتح : و هو الصواب ، و منه القول السديد . قال الله تعالى[102] : ﴿ اتَّقُوا اللهَ وَ قُولُوا قَولاً سَدِيداً ﴾ .

قالوا قصدا حقا . و عن ابن عباس:صوابا . و عن قتادة و مقاتل:عدلا . و عن السدى:مستقيما .و كل هذه الاقوال[103] صحيح ، فان القول السديد هو المطابق الموافق . فان كان خبرا كان صدقا مطابقا لمخبره ، لا يزيد و لا ينقص ، و ان كان أمرا كان أمرا بالعدل الذى لا يزيد و لا ينقص ، و لهذا يفسرون السداد بالقصد ، و القصد بالعدل .

قال الجوهرى : التسديد التوفيق للسداد ، و هو الصواب ، و القصد فى القول والعمل ، و رجل مسدد إذا كان يعمل بالسداد ، و القصد، والمسدد:المقوم ،

(١٠١) راجع اللسان « سدد » .

(١٠٢) الاحزاب (٣٣: ٧٠)

(١٠٣) دكر هده الاقوال ابن الجوزى فى تفسيره (٦/٤٢٧) .
و قول ابن عباس نسبه السيوطى فى الدر المنثور (٦/٦٦٧) الى الطستى فى مسائله .
وقول قتادة اخرجه ابن جرير فى تفسيره (٢٢/٥٣) و نسبه السيوطى فى الدر (٦/٦٦٨) .
الى عبد بن حميد وابن ابى حاتم ايضا .

و سدد رحله ، و أمر سديد و أسد أى قاصد ، و قد استد الشيء استقام . قال الشاعر :[١٠٤]

أعلمه الرماية كل يوم فلما استد ساعده رماني

و قال الاصمعي : اشتد بالشين المعجمة ليس بشيء ، و تعبيرهم عن السداد بالقصد يدلك على أن لفظ القصد فيه معنى الجمع والقوة ، والقصد: العدل كما انه السداد ، والصواب ، و هو المطابق الموافق الذي لا يزيد و لا ينقص ، و هذا هو الجامع المطابق . و منه قوله تعالى:[١٠٥] ﴿ وَ عَلَى اللهِ قَصْدُ السَّبِيلِ ﴾ أى السبيل القصد . و هو السبيل العدل : أى اليه تنتهى السبيل العادلة ، كما قال تعالى:[١٠٦] ﴿ إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَى ﴾ أى الهدى الينا هذا اصح الأقوال فى الآيتين . و كذلك قوله تعالى:[١٠٧] ﴿ قَالَ هَذَا صِرَاطٌ عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ ﴾ .

و منه فى الاشتقاق الاوسط : الصدق ، فان حروفه حروف القصد ، فمنه الصدق فى الحديث لمطابقته مخبره ، كما قيل فى السداد . والصَدق[١٠٨] بالفتح الصلب من الرماح و يقال المستوى فهو معتدل صلب ليس فيه خلل و لا عوج ، و الصندوق واحد الصناديق ، فانه يجمع ما يوضع فيه .

و مما ينبغى أن يعرف فى باب الاشتقاق انه إذا قيل هذا مشتق من هذا فله معنيان:

أحدهما : ان بين القولين تناسبا فى اللفظ والمعنى ، سواء كان أهل اللغة تكلموا بهذا بعد هذا او بهذا بعد هذا ، و على هذا فكل من القولين مشتق من الآخر ، فان المقصود انه مناسب له لفظا و معنى كما يقال : هذا الماء من هذا الماء ، و هذا الكلام من هذا الكلام ، و على هذا فاذا قيل : ان الفعل مشتق من المصدر ، او المصدر مشتق من الفعل ، كان كلا القولين صحيحا ، و هذا هو الاشتقاق الذى يقوم عليه دليل التصريف .

(١٠٤) البيت فى اللسان سدد و حلقت الاقوال فى قائله

(١٠٥) سورة النحل (٩/١٦)

(١٠٦) الليل (١٢/٩٢) .

(١٠٧) الحجر (٤١/١٥) .

(١٠٨) راجع اللسان«صدق» و فيه «الصَدْق (بالفتح) الصلب من الرماح و غيرها و رمح صَدق : مستوٍ ، و كذلك سيف صَدق» .

و أما المعنى الثانى فى الاشتقاق و هو أن يكون أحدهما أصلا للآخر ،فهذا إذا عنى به أن أحدهما تكلم بـه قبل الآخر لم يقم على هـذا دليل فى أكثر المواضع ، و ان عنى به أن أحدهما متقدم على الآخر فى العقل لكون هذا مفردا و هذا مركبا فالفعل مشتق من المصدر .

والاشتقاق الاصغر اتفاق القولين فى الحروف و ترتيبها ، والأوسط اتفاقهما فى الحروف لا فى الترتيب ، والأكبر اتفـاقهما في أعيـان بعض الحروف ، و فى الجنس فى الباقى ، كاتفـاقهما فى كونهما من حروف الحلق ، إذا قيل حزر وعزر وازر ، فان الجميع فيه معنى القوة و الشـدة و قـد اشتركت مع الراء و الزاى و الحـاء ،فى ان الثلاثة حروف حلقية ، و على هـذا فـاذا قيل : الصمـد بمعنى المصمت ، و انـه مشتق منـه بهذا الاعتبـار فهو صحيـح ، فـان الـدال أخت التـاء ؛ فـان الصمت السكوت ، و هو إمساك ، و إطباق للفم عن الكلام .

قال ابو عبيد[109] : المصمت الذي لا جوف له ، و قد أصمته أنا ، و بـاب مصمت قـد أبهم اغلاقـه ، و المصمت من الخيل ؛ البهيم أى لو كان لا يخالطه لونه لون آخر ، و منه قول ابن عباس[110] : انما حرم من الحرير المصمت ، فالمصـد والمصمت متفقـان فى الاشتقاق الأكبر ، و ليست الدال منقلبـة عن التـاء ، بل الـدال أقوى ، والمصـد أكمل في معنـاه من المصمت ، و كلمـا قـوى الحرف كان معنـاه أقـوى ، فـان لغـة العرب فى غاية الاحكام و التنـاسب ، و لهـذا كان الصمت امسـاكاً عن الكلام مع امكانه ، والانسـان أجوف يخرج الكلام من فيـه لكنـه قـد يصمت بخلاف الصمـد فانه إنما استعمل فيما لا تفرق فيه ، كالصمـد و السيـد والصمـد من الارض و صماد القـارورة ، و نحـو ذلـك . فليس فى هـذه الألفـاظ المتنـاسبـة أكـل من ألفـاظ الصمد ، فان فيه الصاد والميم والدال وكل من هذه الحروف الثلاثة لهـا مزيـة على ما يناسبها من الحروف ، والمعانى المدلول عليها بمثل هذه الحروف أكمل .

---

(١٠٩) راجع اللسان «صمت» .

(١١٠) اخرجه ابو داود فى اللباس (٣٢٩/٤) و احمد فى مسنده (٢١٨/١ ، ٣١٣ ، ٣٢١)

و مما يناسب هذه المعانى (الصبر) فان الصبر فيه جمع و امساك ، و لهذا قيل : الصبر حبس النفس عن الجزع[111] ، يقال صبر و صبرته أنا ، و منه قوله تعالى[112] : ﴿ وَاصْبِرْ نَفْسَكَ ﴾ و كذلك معنى السيد الصمد خلاف معنى الجزوع المنوع ، ومنه الصبرة من الطعام فانها مجتمعة مكومة ، والصبارة الحجارة ، وصير الشيء غلظه ، و ضده (الجزع) ، و فيه معنى التقطع و التفرق ، يقال جزع[113] له جزعة من المال أي قطع له قطعة ، والجزوعة القطعة من الغنم ، و اجتزعت من الشجر عوداً أي اقتطعته ، و اكتسرته ، و جزعت الوادى إذا قطعته عرضا ، و الجزع منعطف الوادى ، و منه الجزع و هو الخرز اليمانى الذي فيه بياض و سواد ، و كذلك جزع البسر تجزيعا إذا أرطب نصفه (أو) ثلثاه ، و هو خلاف قولهم مصمت للون الواحد لما في ذلك من الاجتماع ، و في هذا من التفرق .

و قد قال تعالى[114] : ﴿إِنَّ الإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوْعاً ، إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوْعاً ، وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوْعاً ﴾ .

قال الجوهرى : الهلع أفحش الجزع ، و قال غيره : هو فى اللغة[115] أشد الحرص ، و أسوأ الجزع ، و منه قول النبي ﷺ[116] : « شرٌّ ما فى المرء شحٌ هالع و جبن خالع » .

و ناقة هلواع اذا كانت سريعة السير خفيفة ، و ذئب هلع بلع ، و الهلع من الحرص ، و البلع من الابتلاع ، و لهذا كان كلام السلف فى تفسيره يتضمن هذه المعانى ، فروى عن ابن عباس قال : هو الذي اذا مسه الشر جزوعا ، و اذا مسه الخير منوعا[117] .

(١١١) راجع تفسير غريب القرآن لابن قتيبة (٤٧) و انظر اللسان «صبر» .

(١١٢) سورة الكهف (٢٨/١٨) .

(١١٣) راجع اللسان «جزع» .

(١١٤) المعارج (١٩/٦٠ ـ ٢١) .

(١١٥) و قال الطبرى فى تفسيره : الهلع : شدة الجزع مع شدة الحرص والضجر (٧٨/٢٩) .
و راجع اللسان «هلع» .

(١١٦) رواه ابو داود و احمد و البيهقى فى شعب الايمان ـــ و انظر تخريجه فيه .

(١١٧) اخرجه ابن جرير فى تفسيره (٧٨/٢٩) .

و روى عنه انه قال : هو الحريص على ما لايحل له[١١٨] .

و عن سعيد بن جبير[١١٩] : شحيحا . و عن عكرمة : ضجورا . و عن جعفر : حريصا ، و عن الحسن والضحاك : بخيلا ، و عن مجاهد : شرها ، و عن الضحاك أيضا : الهلوع الذى لا يشبع ، و عن مقاتل : ضيق القلب ، و عن عطاء : عجولا .

و هذه المعانى كلها تنافى الثبات و القوة والاجتماع ، والامساك والصبر ، وقد قال تعالى[١٢٠] : ﴿ لاَ يَزَالُ بُنْيَانُهُمُ الَّذِى بَنَوْا رِيبَةً فِى قُلُوبِهِمْ إلاَّ أَن تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ ﴾ .

و هذا و إن كان قد قيل ان المراد به أنها تنصدع فيموتون ، فانه كما قيل : فى مثل ذلك:قد انصدع قلبه ، و قد تفرق قلبى ، و قد تشتت قلبى ، وقد تقسم قلبى ، و منه يقال للخوف : قد فرق قلبه و يقال : بازاء ذلك هو ثابت القلب مجتمع القلب ، مجموع القلب .

☆ ☆ ☆

(١١٨) و نقل فى اللسان «هلع» عن المبرد رجل هلوع اذا كان لايصبر على خير و لا شر حتى يفعل فى كل واحد منهما غير الحق .

(١١٩) راجع الطبرى (٧٨/٢٩) و فى سنده يحيى بن يمان و هو صدوق يخطئ كثيرا و اشعث بن اسحاق صدوق و جعفر بن ابى مغيرة صدوق يهم .
و انظرهذه الاقوال فى تفسير ابن الجوزى والدر المنثور (٢٨٤/٨) و راجع القرطبى (١٨/ ٢٨٩ ـ ٢٩٠) .

(١٢٠) سورة براءة (١١٠/٩)

فصــــــل

قال الله تعالى : ﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ، ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ﴾ فادخل اللام فى الصمد ، و لم يدخلها في أحد ؛ لأنه ليس في الموجودات ما يسمى أحداً في الاثبات مفرداً غير مضاف إلا الله تعالى ؛ بخلاف النفي و ما في معناه : كالشرط و الاستفهام فانه يقال : هل عندك أحد ؟ و ان جاءني أحد من جهتك أكرمته ، و إنما استعمل فى العدد المطلق ، يقال : أحد ، اثنان . و يقال : احد عشر . و فى اول الأيام يقال : يوم الأحد ، فان فيه ــ على أصح القولين ــ ابتدأ الله خلق السموات والارض ، و ما بينهما . كما دل عليه القرآن والاحاديث الصحيحة ، فان القرآن أخبر في غير موضع : أنه خلق السموات والارض و ما بينهما فى ستة أيام ، و قد ثبت فى الحديث الصحيح المتفق على صحته : (**أن آخر المخلوقات كان ادم ، خلق يوم الجمعة**)[121].. و إذا كان آخر الخلق كان يوم الجمعة دل على أن أوله كان يوم الأحد لأنها ستة .

(١٢١) حديث ان آدم كان آخر الخلق جاء فى رواية مسلم الذي قال المؤلف انه معلول و اما حديث ان ادم خلق يوم الجمعة فقد رواه مسلم (٥٨٥/١) و ابو داود (٦٣٤/١) و الترمذى (٣٥٩/١) والنسائى (٩٠/٢) ومالك فى المؤطاء (١٠٨) و احمد فى مسنده (٤١٨/٢،٥٠٤، ٥١٢، ٥٤٠) عن ابى هريرة و روى عن غيره من الصحابة .

و أما الحديث الذي رواه مسلم[١٢٢] في قوله : « خلق الله التربة يوم السبت » فهو حديث معلول قدح فيه أئمة الحديث كالبخاري و غيره ، قال البخاري : الصحيح انه موقوف على كعب[١٢٣] ، و قد ذكر تعليله البيهقى أيضاً ، وبينوا انه غلط ليس مما رواه أبو هريرة عن النبي ﷺ ، و هو مما أنكر الحذاق على مسلم إخراجه إياه ، كما أنكروا عليه إخراج أشياء يسيرة ، و قد بسط هذا في مواضع أخر ، .

و قد ذكر أبو الفرج ابن الجوزي[١٢٤] فى قوله تعالى : ﴿ خَلَقَ الأَرْضَ فِيْ يَوْمَيْنِ ﴾ قال ابن عباس[١٢٥] : خلق الأرض في يوم الأحد و الاثنين ، و به قال عبد الله بن سلام[١٢٦] والضحاك و مجاهد[١٢٧] و ابن جريج و السدي[١٢٨] والاكثرون ، و قال مقاتل في يوم الثلاثاء والاربعاء .

وقال : و قد أخرج مسلم حديث أبي هريرة « خلق الله التربة يوم السبت » . قال : و هذا الحديث مخالف لما تقدم ، و هو أصح فصحح هذا لظنه صحة الحديث ، إذ رواه مسلم ، و لكن هذا له نظائر روى مسلم أحاديث قد عرف أنها غلط ، مثل قول أبي سفيان لما أسلم : أريد أن أزوجك أم حبيبة[١٢٩] ، و لاخلاف بين الناس أنه تزوجها قبل اسلام أبي سفيان، ولكن هذا قليل جدا ، ومثل

(١٢٢) و لفظه «خلق الله عزو جل التربة يوم السبت و خلق فيها الجبال يوم الاحد ، و خلق الشجر يوم الاثنين ، و خلق المكروه يوم الثلاثاء ، و خلق النور يوم الاربعاء ، و بث فيها الدواب يوم الخميس و خلق آدم عليه السلام بعد العصر من يوم الجمعة فى آخر الخلق فى آخر ساعة من ساعات الجمعة ، فيا بين العصر الى الليل

اخرجه مسلم فى المنافقين (٢١٤٩/٢١٥٠) والبيهقى فى الاسماء والصفات (٤٨٦ ـ ٤٨٧) و قال : زعم بعض اهل العلم بالحديث انه غير محفوظ لمخالفته ما عليه اهل التفسير و اهل التواريخ .

و اخرجه ايضا الدولابى فى الكنى (١٧٥/١) وابن منده فى كتاب التوحيد (١٨٣ رقم٥٨) .

و صححه الالبانى و تكلم عليه فى الصحيحة (رقم١٨٣٣) .

(١٢٣) راجع تفسير ابن كثير (٩٤/٤) .

(١٢٤) راجع تفسيره (٢٤٣/٧) .

(١٢٥) اخرجه الحاكم و صححه و تعقبه الذهبى (٥٤٣/٢) وابن جرير فى تفسيره (٩٤/٢٤) .

(١٢٦) نسبه السيوطى فى الدر المنثور (٣١٥/٧) الى ابن المنذر .

(١٢٧) راجع تفسير الطبرى (٢٠٥/٨) .

(١٢٨) اخرجه ابن جرير (٩٤/٢٤) .

(١٢٩) اخرجه فى فضائل ابى سفيان من كتاب فضائل الصحابة (١٩٤٥/٢) .

و راجع تعليق النووى على هذا الحديث (٦٣/١٦) .

ما روى فى بعض طرق حديث صلاة الكسوف انه صلاها بثلاث ركوعات و أربع[١٣٠]، والصواب انه لم يصلها الا مرة واحدة بركوعين ، و لهذا لم يخرج البخاري إلا هذا ، و كذلك الشافعى ، و أحمد بن حنبل في إحدى الروايتين عنه ، و غيرهما ، و البخاري سلم من مثل هذا ؛ فانه اذا وقع في بعض الروايات غلط ذكر الروايات المحفوظة التى تبين غلط الغالط ، فانه كان أعرف بالحديث و علله ، وأفقه فى معانيه من مسلم و نحوه . .

و ذكر ابن الجوزي[١٣١] فى موضع آخر أن هذا قول ابن اسحاق قال : و قال ابن الانباري : و هذا إجماع أهل العلم .

و ذكر قولا ثالثا[١٣٢] فى ابتداء الخلق : أنه يوم الاثنين . وقال:قاله ابن اسحاق، و هذا تناقض . و ذكر أن هذا قول أهل الانجيل ، والابتداء بيوم الأحد قول أهل التوراة ، و هذا النقل غلط على أهل الانجيل . كما غلط من جعل الأول اجماع أهل العلم من المسلمين . و كأن هؤلاء ظنوا ان كل امة تجعل اجتماعها فى اليوم السابع من الايام السبعة التى خلق الله فيها العالم ، و هذا غلط ؛ فان المسلمين انما اجتماعهم فى آخر يوم خلق الله فيه العالم ، و هو يوم الجمعة ، كما ثبت ذلك فى الاحاديث الصحيحة .

والمقصود هنا : أن لفظ الأحد لم يوصف به شيء من الاعيان الا الله وحده ، و انما يستعمل فى غير الله فى النفي ، قال اهل اللغة :تقول لا احد فى الدار ، ولا تقول فيها أحد . و لهذا لم يجيء فى القرآن إلا فى غير الموجب ، كقوله تعالى[١٣٣]: ﴿ فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ ﴾ .

و كقوله[١٣٤] : ﴿ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِنَ النِّسَاءِ ﴾ .

و قوله[١٣٥] : ﴿ وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ ﴾ .

و فى الاضافة كقوله[١٣٦] : ﴿ فَابْعَثُوا أَحَدَكُمْ ﴾ .

﴿ وَجَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ ﴾[١٣٧] .

---

(١٣٠) حديث ثلاث ركوعات فى ركعة اخرجه عن عبيد بن عمير عن عائشة (٦٢٠/١ ـ ٦٢١) و عن جابر (٦٢٢/١) و حديث اربع ركوعات اخرجه من حديث جابر (٦٢٢/١) و من حديث ابن عباس (٦٢٧/١) و راجع النووى (١٩٨/٦ ـ ١٩٩) .

(١٣١) راجع تفسيره (٣ / ٢١١)

(١٣٢) نفس المصدر

(١٣٣) سورة المعارج (٧٠ / ٤٧)

(١٣٤) الاحزاب (٣٣ / ٣٢)

(١٣٥) التوبة (٦/٩) .

(١٣٦) الكهف (١٩/١٨) .

(١٣٧) الكهف (١٨ / ٣٢)

و أما اسم ﴿ ٱلصَّمَدُ ﴾ فقد استعمله أهل اللغة فى حق المخلوقين . كما تقدم . فلم يقل الله صمد ، بل قال : ﴿ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ﴾ فبين أنه المستحق ؛ لأن يكون هو الصمد دون ما سواه ، فانه المستوجب لغايته على الكمال ، و المخلوق و ان كان صمداً من بعض الوجوه ؛ فان حقيقة الصمدية منتفية عنه ؛ فانه يقبل التفرق و التجزئة ، و هو أيضاً محتاج الى غيره ، فان كل ما سوى الله محتاج اليه من كل وجه ، فليس أحد يصمد اليه كل شيء و لا يصمد هو الى شيء الا الله تبارك و تعالى ، و ليس فى المخلوقات الا ما يقبل أن يتجزأ ، و يتفرق ، و يتقسم ، و ينفصل بعضه من بعض ، والله سبحانه هو الصمد الذي لا يجوز عليه شيء من ذلك ، بل حقيقة الصمدية وكمالها له وحده واجبة لازمة لايمكن عدم صمديته بوجه من الوجوه ، كما لايمكن تثنية أحديته بوجه من الوجوه ، فهو أحد لا يماثله شيء من الاشياء بوجه من الوجوه ، كما قال فى آخر السورة : ﴿ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُواً أَحَدٌ ﴾ استعملها هنا فى النفي أي ليس شيء من الاشياء كفوا له فى شيء من الأشياء لأنه أحد .

و قال رجل للنبى ﷺ : أنت سيدنا فقال(١٣٨) : (السيد الله) .

و دل قوله . (الاحد ، الصمد) ، على انه لم يلد و لم يولد ، ولم يكن له كفوا أحد ؛ فان الصمد هو الذي لا جوف له و لا احشاء ، فلا يدخل فيه شيء ، فلا ياكل و لايشرب سبحانه و تعالى كما قال(١٣٩) : ﴿ قُلْ أَ غَيْرَ اللهِ أَتَّخِذُ وَلِياً فَاطِرِ السَّمٰوَاتِ وَالأَرْضِ وَ هُوَ يُطْعِمُ وَلاَ يُطْعَمُ ﴾ .

و فى قراءة(١٤٠) الاعمش و غيره و لا يَطعم بالفتح .

و قال تعالى(١٤١) ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُوْنِ مَا أُرِيْدُ مِنْهُم مِّن رِزْقٍ وَمَا أُرِيْدُ أَن يُطْعِمُوْنِ اِنَّ اللهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ﴾ .

و من مخلوقاته الملائكة ، و هم صمد لا يأكلون و لا يشربون ، فالخالق لهم جل جلاله أحق بكل غنى و كمال جعله لبعض مخلوقاته ، فلهذا فسر بعض السلف الصمد بأنه الذي لا ياكل و لايشرب ، والصمد المصمد الذي لا جوف له ، فلا يخرج منه عين من الاعيان ، فلا يلد .

(١٣٨) أخرجه ابوداود فى الادب من سننه (١٥٤/٥) و احمد فى مسنده (٢٤/٤ ـ ٢٥) و البيهقى فى الاسماء والصفات (٣٩) و سنده صحيح .

(١٣٩) سورة الانعام (١٤/٦) (١٤٠) راجع تفسير ابن الجوزى (١١/٣) (١٤١) الذاريات (٥١/٥٦ ـ ٥٨)

و لذلك قال من قال من السلف : هو الذي لا يخرج منه شيء ، ليس مرادهم انه لا يتكلم ، و ان كان يقال فى الكلام إنه خرج منه ، كما قال فى الحديث :[142] (ما تقرب العباد الى الله بشيء أفضل مما خرج منه) يعنى القرآن .

و قال ابو بكر الصديق لما سمع قرآن مسيلمة : ان هذا لم يخرج من إل.[143] ٥

فخروج الكلام من المتكلم هو بمعنى أنه يتكلم به فيسمع منه ، و يبلغ الى غيره ليس بمخلوق في غيره ، كما يقول الجهمية :[144] ليس بمعنى أن شيئاً من الاشياء القائمة به يفارقه ، و ينتقل عنه الى غيره ، فان هذا ممتنع فى صفات المخلوقين ان تفارق الصفة محلها ، و تنتقل الى غير محلها ، فكيف بصفات الخالق جل جلاله . و قد قال تعالى فى كلام المخلوقين : ﴿ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِن يَقُولُونَ إِلاَّ كَذِباً ﴾.[145] ١٠

و تلك الكلمة هي قائمة بالمتكلم و سمعت منه ، ليس خروجها من فيه ، أن ما قام بذاته من الكلام فارق ذاته ، و انتقل الى غيره ، فخروج كل شيء بحسبه ، و من شأن العلم و الكلام اذا استفيد من العالم و المتكلم ان لا ينقص من محله ، و لهذا شبه بالنور الذي يقتبس منه كل أحد الضوء ، و هو باق على حاله لم ينقص ، فقول من قال من السلف : الصمد هو الذي لم يخرج منه شيء كلام صحيح ، بمعنى أنه لا يفارقه شيء منه . ١٥

(١٤٢) رواه الترمذى عن ابى امامة مرفوعا و لفظه
ما اذن الله لعبد فى شيء افضل من ركعتين يصلّيها ، و ان البرّ ليذرّ على راس العبد ما دام فى صلاته ، و ما تقرب العباد الى الله بمثل ما خرج منه ، يعنى القران
و فى رواية احمد «بافضل مما خرج منه» المسند (٥/٢٦٨)
و قال الترمذى هذا حديث غريب لا نعرفه الا من هذا الوجه و بكر بن خنيس قد تكلم ابن المبارك و تركه فى آخر امره ، و قد روى هذا الحديث عن زيد بن ارطاة عن جبير بن نفير عن النبى ﷺ ، و هو مرسل... ثم ذكره و لفظه
«انكم لن ترجعوا الى الله بافضل مما خرج منه يعنى القران» (٤/١٧٦ ـ ١٧٧) و احمد فى الزهد (٣٥)
و وصله الحاكم فقال عن جبير بن نفير عن ابى ذر عن النبى ﷺ (١/٥٥٥) و صححه و اقره الذهبى و ذكر الالبانى الحديثين فى ضعيف الجامع الصغير (رقم٢٠٤١، ٤٩٩٥)

(١٤٣) ذكره ابو عبيد فى غريب الحديث (٣/٢٢٩ ـ ٢٣٠) و راجع النهاية لابن الاثير (١/٦١) واللسان «ألل»

(١٤٤) اتباع جهم بن صفوان (م١٢٨هـ) قال بالاجبار والاضطرار الى الاعمال و انكر الاستطاعات كلها و زعم ان الجنة والنار تبيدان و تفنيان و قال لا يجوز ان يوصف البارى تعالى بصفة يوصف بها خلقه لان ذلك يقتضى تشبيها
راجع الفرق بين الفرق للبغدادى (١٩٩) والملل والنحل للشهرستانى (١/١٠٩)

(١٤٥) سوره الكهف (١٨/٥)

و لهذا امتنع عليه ان يلد و ان يولد ، و ذلك ان الولادة والتولد و كل ما يكون من هذه الألفاظ لا يكون إلا من أصلين ، و ما كان من المتولد عينا قائمة بنفسها فلا بد لها من مادة تخرج منها ، و ما كان عرضاً قائماً بغيره فلا بد له من محل يقوم به ، فالاول نفاه بقوله : ﴿ أَحَدٌ ﴾ ، فان الاحد هو الذي لا كفؤ له و لا نظير ، فيمتنع ان تكون له صاحبة ، و التولد إنما يكون بين شيئين ، قال تعالى :[146] ﴿أَنَّى يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُنْ لَهُ صَاحِبَةٌ وَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَ هُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ .

فنفى سبحانه الولد بامتناع لازمه عليه ، فان انتفاء اللازم يدل على انتفاء الملزوم ، و بانه خالق كل شيء ، و كل ما سواه مخلوق له ، ليس فيه شيء مولود له .

والثانى : نفاه بكونه سبحانه الصمد ، و هذا المتولد من أصلين يكون بجزئين ينفصلان من الأصلين ، كتولد الحيوان من أبيه و أمه بالمنى الذي ينفصل من أبيه و أمه ، فهذا التولد يفتقر الى اصل آخر ، و الى ان يخرج منهما شيء ، و كل ذلك ممتنع فى حق الله تعالى ، فانه احد فليس له كفؤ يكون صاحبة و نظيراً ، و هو صمد لا يخرج منه شيء ، فكل واحد من كونه احداً ، و من كونه صمداً يمنع ان يكون والداً ، و يمنع ان يكون مولوداً بطريق الأولى و الاحرى .

و كما ان التوالد فى الحيوان لا يكون الا من اصلين — سواءكان الأصلان من جنس الولد ، و هو الحيوان المتوالد او من غير جنسه ، و هو المتولد — فكذلك فى غير الحيوان كالنار المتولدة من الزندين ، سواء كانا خشبتين ، او كانا حجراً و حديداً ، أو غير ذلك قال الله تعالى[147] ﴿ فَالْمُورِيَاتِ قَدْحاً ﴾ .

و قال تعالى[148] ﴿ أَفَرَءَيْتُمُ النَّارَ الَّتِي تُورُونَ ،ءَأَنْتُمْ أَنشَأْتُمْ شَجَرَتَهَا أَمْ نَحْنُ الْمُنْشِئُونَ ، نَحْنُ جَعَلْنَاهَا تَذْكِرَةً وَ مَتَاعاًلِلْمُقْوِينَ ﴾ .

---

(١٤٦) سورة الانعام (١٠٢/٦) .

(١٤٧) سورة العاديات (٢/١٠٠) .

(١٤٨) سورة الواقعة (٧١/٥٦ ـ ٧٣) .

و قال تعالى[149]: ﴿ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِ الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ ، قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ، الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ مِنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنتُمْ مِنْهُ تُوقِدُونَ ﴾ .

قال غير واحد من المفسرين[150]: هما شجرتان يقال لإحداهما : المرخ ، والاخرى: العفار . فمن اراد منهما النار قطع منهما غصنين مثل السواكين ، و هما خضراوان يقطر منهما الماء ، فيسحق المرخ — وهو ذكر — على العفار — و هو أنثى — فتخرج منهما النار باذن الله تعالى ، و تقول العرب: فى كل شجر نار ، و استمجد المرخ والعفار . وقال بعض الناس في كل شجرة نار الا العناب ، ﴿ فَإِذَا أَنتُمْ مِنْهُ تُوقِدُونَ ﴾[151] فذلك زنادهم .

و قد قال أهل اللغة: الجوهرى[152] و غيره : الزند العود الذي يقدح به النار ، و هو الأعلى . و الزندة السفلى فيها ثقب ، و هي الأنثى ، فاذا اجتمعا قيل زندان .

و قال اهل الخبرة بهذا : انهم يسحقون الثقب الذي فى الأنثى بالاعلى كما يفعل ذكر الحيوان فى أنثاه ، فبذلك السحق و الحك يخرج منها اجزاء ناعمة تنقدح منها النار ، فتتولد النار من مادة الذكر والانثى كما يتولد الولد من مادة الرجل و المرأة ، و سحق الانثى بالذكر و قدحها به يقتضي حرارة كل منهما ، و يتحلل من كل منهما مادة تنقدح منها النار كما ان ايلاج ذكر الحيوان فى انثاه بقدح وحك فرجها بفرجه ، فتقوى حرارة كل منهما ، و يتحلل من كل منهما مادة تمتزج بالاخرى ، و يتولد منها الولد ، و يقال : علقت النار فى المحل الذي يقدح عليه ، الذي هو كالرحم للولد ، و هو الحراق و الصوفان ، و نحو ذلك مما يكون اسرع قبولا للنار من غيره ، كما علقت المرأة من الرجل ، و قد

(149) سورة يس (٣٦/٧٨ - ٨٠) .

(150) راجع ابن الجوزى (٧/٤٢) تفسير غريب القرآن لابن قتيبة (٣٦٨) تفسير ابن كثير (٣/٥٨٢) القرطبى (١٥/٥٩ - ٦٠) .

(151) سورة يس (٣٦/٨٠) .

(152) راجع اللسان «زند» .

لا تعلق النار كما قد لا تعلق المرأة ، و قد لا تنقدح نار كما لا ينزل مني ، والنار ليست من جنس الزنادين ، بل تتولد النار منهما كتولد حيوان من الماء والطين ، فان الحيوان نوعان متوالد كالانسان و بهيمة الانعام ، و غير ذلك مما يخلق من ابوين ، و متولد كالذي يتولد من الفاكهة والخل ، وكالقمل الذي يتولد من وسخ جلد الانسان ، وكالفار والبراغيث وغير ذلك مما يخلق من الماء والتراب .

و قد تنازع الناس فيما يخلقه الله من الحيوان والنبات والمعدن والمطر والنار التى تورى بالزناد و غير ذلك هل تحدث اعيان هذه الاجسام فيقلب هذا الجنس الى جنس آخر . كما يقلب المنى علقة ثم مضغة ،أولا تحدث الا أعراض و أما الاعيان التى هي الجواهر فهي باقية بغير صفاتها بما يحدثه فيها من الاكوان الاربعة : الاجتماع ، والافتراق ، والحركة ، والسكون ؟ على قولين :

فالقائلون بأن الاجسام مركبة من الجواهر المنفردة ، التى لا تقبل التجزي كما يقوله كثير من أهل الكلام ، و إما من جواهر لانهاية لها كما يحكى عن النظام.[(١٥٣)]

فالقائلون بان الأجسام مركبة من الجواهر يقولون : ان الله لايحدث شيئاً قائماً بنفسه ، و إنما يحدث الأعراض التى هي الاجتماع والافتراق ، والحركة والسكون وغير ذلك من الأعراض .

ثم من قال منهم بان الجواهر محدثة قال : إن الله أحدثها ابتداء ، ثم جميع ما يحدثه انما هو احداث اعراض فيها لا يحدث الله بعد ذلك جواهر ، و هذا قول اكثر المعتزلة والجهميّة و الأشعرية و نحوهم ، و من أكابر هؤلاء من يظن ان هذا مذهب المسلمين ، و يذكر اجماع المسلمين عليه ، و هو قول لم يقل به أحد من سلف الأمة ، و لاجمهورالأمة ؛ بل جمهور الأمة حتى من طوائف أهل الكلام ينكرون الجوهر الفرد ، و تركب الأجسام من الجواهر ، و ابن كُلّاب[(١٥٤)] امام

(١٥٣) ابو اسحاق ابراهيم بن سيار بن هانى البصرى المعروف بالنظام و يعرف اتباعه بالنظامية .
من كبار المعتزلة انفرد عنهم باشياء . توفى ما بين ٢٢٠ ـ ٢٣٠هـ .
راجع لمعرفة آرائه الفرق بين الفرق (١١٣) الملل والنحل للشهرستانى (٦٧/١) وانظر تاريخ التراث لفواد سزكين (٦٨/٤ ـ٧٠) .

(١٥٤) هو ابو محمد عبد الله بن سعيد بن محمد بن كُلّاب (بضم الكاف و تشديد اللام) القطان البصرى .
كان متكلما و يعد من معارضى المعتزلة و مع ذلك فليس هناك اتفاق على انه من اهل السنة توفى حوالى سنة ٢٤٠هـ .
راجع الاعلام للزركلى (٩٠/٤) تاريخ التراث (٢٨/٤) السير (١٧٤/١١) لسان الميزان (٢٩٠/٣) .

اتباعه هو ممن ينكر الجوهر الفرد و قد ذكر ذلك أبو بكر بن فورك[(١٥٥)] فى مصنفه الذي صنفه في مقالات ابن كلاّب، و ما بينه و بين الأشعري[(١٥٦)] من الخلاف ، و هكذا نفي الجوهر الفرد قول الهشامية[(١٥٧)] و الضرارية[(١٥٨)] ، وكثير من الكرامية[(١٥٩)] و النجارية[(١٦٠)] أيضاً .

و هؤلاءالقائلون بان الاجسام مركبة من الجواهر المفردة : المشهور عنهم ؛ بان الجواهر متماثلة ؛ بل و يقولون أو أكثرهم : ان الأجسام متماثلة ؛ لأنها مركبة من الجواهر المتماثلة و انما اختلفت باختلاف الاعراض ، و تلك صفات عارضة لها ليست لازمة ، فلا تنفي التماثل ، فان حد المثلين أن يجوز على أحدهما ما يجوز على الآخر ، و يجب له ما يجب له و يمتنع عليه ما يمتنع عليه . و هم يقولون : إن الجواهر متماثلة ، فيجوز على كل واحد ما جاز على الآخر ، و يجب له ما يجب له ، ويمتنع عليه ما يمتنع عليه .

(١٥٥) ابو بكر محمد بن الحسن بن فورك الانصارى الاصبهانى .
كان فيلسوفا ولغويا و مفسرا و فقيها ، اهتم بعلم الكلام و بحث فى الحديث والقران من وجهة النظر الكلامية . له مؤلفات كثيرة منها كتاب «مشكل الحديث» تو فى عام ٤٠٦هـ .
انظر انباه الرواة (١١٠/٣) وفيات ابن خلكان (٢٧٢/٤) الواق بالوفيات (٣٤٤/٢) السير (٢١٤/١٧ ـ ٢١٦) تاريخ التراث (٥١/٤ ـ ٥٤) .

(١٥٦) ابو الحسن على بن اسماعيل بن اسحاق الاشعرى . امام المتكلمين .
كان تلميذا للجبّائى المعتزلى ، ثم تحول الى مذهب اهل السنة و ردّ على المعتزلة و علي الطوائف الاخرى له تصانيف جمّة . قال الفقيه ابو بكر الصيرفى : كانت المعتزلة قد رفعوا رؤوسهم حتى نشأ الاشعرى فحجرهم فى اقماع السمسم . توفى سنة ٣٢٤هـ .
راجع ترجمته فى تاريخ بغداد (٣٤٦/١١ ـ ٣٤٧) وفيات ابن خلكان (٢٨٤/٣ ـ ٢٨٦) السير (٨٥/١٥ ـ ٩٠) الملل والنحل للشهرستانى (١١٩/١ ـ ١٢٧) تاريخ التراث (٣٥/٤ ـ ٣٩) .

(١٥٧) الهشامية من اتباع هشام بن عمرو الفوطى . قال الشهرستانى و مبالغته فى القدر اشد و اكثر من مبالغة اصحابه و كان يمتنع من اطلاق اضافات افعال الى البارى تعالى وان ورد بها التنزيل .
راجع التفصيل فى الملل والنحل (٩١/١ ـ ٩٤) والفرق بين الفرق (١٤٥ ـ ١٥٠) .

(١٥٨) اتباع ضرار بن عمرو من كبار المعتزلة ، اختلف معهم فكفروه و طردوه . قال البغدادى : وافق اصحابنا فى ان افعال العباد مخلوقة لله تعالى و اكتساب العباد و فى ابطال القول بالتولد ، و وافق المعتزلة فى ان الاستطاعة قبل الفعل . توفى فى سنة ١٩٠هـ .
راجع الفرق بين الفرق (٢٠١ ـ ٢٠٢) والملل والنحل (١١٤/١ ـ ١١٦) وانظر تاريخ التراث (٦١/٤) .

(١٥٩) اصحاب محمد بن كرام الذى كان يقول بان الله مستقر على العرش و انه جوهر . و ذهب الى التجسيم والتشبيه . توفى سنة ٢٢٥هـ .
انظر الفرق بين الفرق (٢٠٢ ـ ٢١٤) الملل والنحل (١٤٤/١) وانظر الاعلام (١٤/٧) و معجم المؤلفين لكحالة (١٦١/١١) لسان الميزان (٣٥٣/٥) السير (٥٢٣/١١) الواق (٣٧٥/٤) .

(١٦٠) النجارية اتباع الحسين بن محمد النجار من متكلمى المعتزلة و له مع النظام مناظرات و له تصانيف يوافق اهل السنة فى بعض المسائل و يوافق المعتزلة فى نفى الصفات والرؤية و خلق القرآن . توفى سنة ٢٢٠هـ .
راجع الملل والنحل (١١٢/١ ـ ١١٤) الفرق بين الفرق (١٩٥ ـ ١٩٨) والنظر الاعلام (٢٣٥/٢) .

وكذلك الاجسام المؤلفة من الجواهر ؛ ولهذا اذا أثبتوا حكما لجسم قالوا : هذا ثابت لجميع الأجسام ، بناء على التماثل ، وأكثر العقلاء ينكرون هذا ، و حذاقهم قد أبطلوا الحجج التى احتجوا بها على التماثل ، كما ذكر ذلك الرازي[١٦١] والآمدي[١٦٢] وغيرهما . وقد بسط الكلام على هذا في مواضع . والأشعري في (**كتاب الابانة**) جعل القول بتماثل الأجسام من اقوال المعتزلة التى انكرها .

وهؤلاء يقولون : ان الله يخص أحد الجسمين المتماثلين بأعراض دون الآخر بمجرد المشيئة ، على أصل الجهمية ، أو لمعنى آخر كما تقوله القدرية ،[١٦٣] ويقولون يمتنع انقلاب الاجناس ، فلاينقلب الجسم عرضاً ، ولاجنس من الاعراض الى جنس آخر ، فلو قالوا : إن الاجسام مخلوقة ، وان المخلوق ينقلب من جنس الى جنس آخر ، لزم انقلاب الاجناس . فهؤلاء يقولون : ان التولد الحاصل في الرحم ، والثمر الحاصل في الشجر ، والنار الحاصلة في الزناد هي جواهر كانت في المادة التي خلق ذلك منها ، وهي باقية ؛ لكن غيرت صفتها بالاجتماع والافتراق والحركة والسكون .

ولهذا لما ذكر أبو عبد الله الرازي أدلة « اثبات الصانع » ذكر أربعة طرق : امكان الذوات وحدوثها ، وامكان الصفات وحدوثها والطرق الثلاثة الاول ضعيفة ؛ بل باطلة ؛ فان الذوات التي ادعوا حدوثها أو إمكانها أو امكان صفاتها ذكروها بالفاظ مجملة لايتميز فيها الخالق عن المخلوق ، ولم يقيموا على ما ادعوه دليلا صحيحاً .

(١٦١) محمد بن عمر بن الحسين ، فخرالدين الرازى ، العلامة ، ذوالفنون ، الامام المفسر ، المتكلم ، اوحد زمانه فى المنقول والمعقول ، له تصانيف كثيرة . توفى سنة ٦٠٦هـ .
انظر ترجمته فى وفيات ابن خلكان (٢٤٨/٤ ـ ٢٥٢) الوافى (٢٤٨/٤ ـ ٢٥٩) السير (٥٠٠/٢١) الاعلام (٣١٣/٦) معجم المؤلفين (٧٩/١١) .

(١٦٢) على بن ابى على بن محمد بن سالم التغلبى ، سيف الدين الحنبلى ثم الشافعى .
فقيه ، اصولى ، متكلم ، لم يكن فى زمانه من يجارى به فى الاصلين و علم الكلام ، سافر الى القاهرة و درس هناك الفلسفة و مصر ، و صنف التصانيف ، فقام عليه بعض الفقهاء حسدا و رموه بفساد العقيدة و التعطيل والاغلال . توفى سنة ٦٣١هـ .
ترجمته فى وفيات ابن خلكان (٢٩٣/٣ ـ ٢٩٤) البداية والنهاية (١٤٠/١٣ ـ ١٤١) السير (٣٦٤/٢٢ ـ ٣٦٧) الاعلام (٣٣٢/٤) معجم المؤلفين (١٥٥/٧) .

(١٦٣) القدرية اسم يطلقه اهل السنة على المعتزلة القائلين بان العبد قادر على خلق افعاله ، و يطلق المعتزلة هذا الاسم على اهل السنة بناء على انهم يقولون ان العبد مجبور لا قدرة له ، والاقدار كلها بيد الله .

وأما « الطريقالرابع » وهو الحدوث لما يعلم حدوثه فهو طريق صحيح ، وهو طريق القرآن ، لكن قصروا فيه غاية التقصير ؛ فانهم على أصلهم لم يشهدوا حدوث شيء من الذوات ، بل حدوث الصفات ، وطريقة القرآن تبين ان كل ماسوى الله مخلوق ، وأنه آية لله ، وقد بسط الكلام على ما فى القرآن من البراهين والآيات التي لم يصل اليها هؤلاء المتكلمة والمتفلسفة ، وان كل ما عندهم من حق فهو جزء مما دل عليه القرآن في غير موضع .

والمقصود هنا أن هؤلاء لما كان هذا أصلهم في ابتداء الخلق وهو القول باثبات الجوهر الفرد ـــ كان أصلهم في المعاد مبنيا عليه فصاروا على قولين :

منهم من يقول تعدم الجواهر ثم تعاد . ومنهم من قال : تتفرق الأجزاء ثم تجتمع فأورد عليهم الانسان الذي يأكله حيوان ، وذلك الحيوان أكله انسان آخر ، فان أعيدت تلك الأجزاء من هذا لم تعد من هذا . وأورد عليهم أن الانسان يتحلل دائماً فما الذي يعاد أهو الذي كان وقت الموت ؟ فان قيل : بذلك لزم أن يعاد على صورة ضعيفة ، وهو خلاف ماجاءت به النصوص ، وان كان غير ذلك فليس بعض الأبدان بأولى من بعض . فادعي بعضهم أن في الانسان أجزاء أصلية لاتتحلل ، ولا يكون فيها شيء من ذلك الحيوان الذي اكله الثاني ، والعقلاء يعلمون ان بدن الانسان نفسه كله يتحلل ، ليس فيه شيء باق ، فصار ماذكروه في المعاد مما قوى شبهة المتفلسفة في انكار معاد الابدان وأجب ان صار طائفة من النظار الى ان الله يخلق بدنا آخر تعود الروح اليه .

والمقصود تنعيم الروح وتعذيبها سواء كان في هذا البدن أو في غيره ، وهذا أيضاً مخالف للنصوص الصريحة باعادة هذا البدن ، وهو المذكور في كتب الرازي ، فليس في كتبه وكتب امثاله في مسائل أصول الدين الكبار القول الصحيح الذي يوافق المنقول والمعقول ، الذي بعث الله به الرسول ، وكان عليه سلف الأمة وأئمتها ، بل يذكر بحوث المتفلسفة الملاحدة ، وبحوث المتكلمين المبتدعة الذين بنوا على أصول الجهمية والقدرية في مسائل الخلق ، والبعث والمبدأ ، والمعاد ، وكلا الطريقين فاسد . إذ بنوه على مقدمات فاسدة ، والقول الذي عليه السلف وجمهور العقلاء من أن الاجسام تنقلب من حال الى حال ، انما يذكره عن الفلاسفة والاطباء ؛ وهذا القول ـــ وهو القول في خلق الله

للاجسام التي يشاهد حدوثها انه يقلبها ويحيلها من جسم الى جسم ـ هو الذي عليه السلف والفقهاء قاطبة ، والجمهور .

ولهذا يقول الفقهاء في النجاسة هل تطهر بالاستحالة أم لا ؟ كما تستحيل العذرة رماداً ، والخنزير وغيره ملحاً ، ونحو ذلك ، والمني الذي في الرحم يقلبه الله علقة ، ثم مضغة ، وكذلك الثمر يخلق بقلب المادة التي يخرجها من الشجرة من الرطوبة مع الهواء والماء الذي نزل عليها وغير ذلك من المواد التي يقلبها ثمرة بمشيئته وقدرته ، وكذلك الحبة يفلقها وتنقلب المواد التي يخلقها منها سنبلة وشجرة وغير ذلك ، وهكذا خلقه لما يخلقه سبحانه وتعالى . كما خلق آدم من الطين ، فقلب حقيقة الطين فجعلها عظما ولحما وغير ذلك من أجزاء البدن ، وكذلك المضغة يقلبها عظاما ، وغير عظام . قال الله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنْسَانَ مِنْ سُلاَلَةٍ مِّنْ طِيْنٍ ، ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِيْنٍ ، ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِيْنَ ، ثُمَّ إِنَّكُمْ بَعْدَ ذَلِكَ لَمَيِّتُونَ ، ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تُبْعَثُوْنَ ﴾[١٦٤] .

وكذلك النار يخلقها بقلب بعض أجزاء الزناد ناراً ، كما قال تعالى : ﴿ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ مِّنَ الشَّجَرِ الأَخْضَرِ نَارًا ﴾[١٦٥]

فنفس تلك الأجزاء التي خرجت من الشجر الاخضر جعلها الله نارا من غير أن يكون كان في الشجر الأخضر نار أصلا ، كما لم يكن في الشجرة ثمرة أصلا ، ولا كان في بطن المرأة جنين أصلا ؛ بل خلق هذا الموجود من مادة غيره بقلبه تلك المادة الى هذا ، وبما ضمه الى هذا من مواد اخر ، وكذلك الاعادة يعيده

---

(١٦٤) سورة مومنون (٢٣ ١٢ ـ ١٦)

(١٦٥) سورة يس (٣٦ ٨٠)

قال الحسين[188] بن الفضل البجلي : الذي عندي في هذه الآية : ﴿ وَ نُنْشِئُكُمْ فِيمَا لاَ تَعْلَمُوْنَ ، وَ لَقَدْ عَلِمْتُمُ اَلنَّشْأَةَ الأُوْلَى ﴾ .[189]

أى اخلقكم للبعث بعد الموت من حيث لاتعلمون ، كيف شئت ، وذلك أنكم علمتم النشأة الاولى ، كيف كانت في بطون الامهات ، وليست الاخرى كذلك .

ومعلوم أن النشأة الاولى كان الانسان نطفة ، ثم علقة ، ثم مضغة مخلقة ، ثم ينفخ فيه الروح ، وتلك النطفة من منى الرجل والمرأة ، وهو يغذيه بدم الطمث الذي يربى الله به الجنين في ظلمات ثلاث : ظلمة المشيمة ، وظلمة الرحم ، وظلمة البطن ، والنشأة الثانية لايكونون في بطن إمرأة ، ولا يغذون بدم ، ولايكون أحدهم نطفة رجل وإمرأة ، ثم يصير علقة بل ينشئون نشأة اخرى ، وتكون المادة من التراب ، كما قال : ﴿ مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَ فِيْهَا نُعِيْدُكُمْ وَ مِنْهَا نُخرِجُكُمْ تَارَةًأُخْرَى ﴾[190]

وقال تعالى : ﴿ فِيْهَا تَحْيَوْنَ وَ فِيْهَا تَمُوْتُوْنَ وَ مِنْهَا تُخْرَجُوْنَ ﴾ .[191]

وقال : ﴿ وَاللهُ أَنْبَتَكُمْ مِّنَ الأَرْضِ نَبَاتًا ، ثُمَّ يُعِيْدُكُمْ فِيْهَا وَ يُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا ﴾ .[192]

وفي الحديث : (ان الارض تمطر مطرًا كمني الرجال ينبتون في القبور كما ينبت النبات) .[193]

كما قال تعالى : ﴿ كَذَلِكَ الْخُرُوْجُ ﴾ .[194]

﴿ كَذَلِكَ النُّشُوْرُ ﴾ .[195]

﴿ كَذَلِكَ نُخرِجُ الْمَوْتَى لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُوْنَ ﴾ .[196]

---

(188) فى الاصل «الحسن» والصواب «الحسين بن فضل البجلى» من ائمة المفسرين اللغويين و قد مرّ . راجع تعليق رقم (42) .

(189) سورة الواقعة (56/61 ـ 62) .

(190) طـه (20/55) .

(191) الاعراف (7/25) .

(192) سورة نوح (71/17 ـ 18) .

(193) اخرجه الحاكم فى المستدرك موقوفا على ابن مسعود (4/497 ـ 598) .

(194) سورة ق (50/11) .

(195) فاطر (35/9) .

(196) الاعراف (7/57) .

فعلم أن النشأتين نوعان تحت جنس ، يتفقان ويتماثلان ويتشابهان من وجه ، ويفترقان ويتنوعان من وجه آخر . ولهذا جعل المعاد هو المبدأ ، وجعل مثله أيضا فباعتبار اتفاق المبدأ والمعاد فهو هو ، وباعتبار مابين النشأتين من الفرق فهو مثله . وهكذا كل ما اعيد . فلفظ الاعادة يقتضي المبدأ والمعاد ، سواء في ذلك اعادة الاجسام والاعراض كاعادة الصلاة وغيرها ، فان النبي ﷺ مر برجل يصلى خلف الصف وحده فأمره أن يعيد الصلاة .[197]

ويقال للرجل : أعد كلامك ، وفلان قد أعاد كلام فلان بعينه ، ويعيد الدرس . فالكلام هو الكلام وان كان صوت الثانى غير صوت الاول وحركته ، ولا يطلق القول عليه انه مثله ، بل قال تعالى : ﴿ قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَاتُوْا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لاَ يَأْتُوْنَ بِمِثْلِهِ ﴾ .[198]
وكان رسول الله ﷺ إذا تكلم بكلمة أعادها ثلاثا .[199]

وان كان يسمى مثلا مقيدًا حتى يقال لمن حكى كلام غيره هكذا قال فلان ، أي مثل هذا قال ، ويقال فعل هذا عودا على بدء ، إذا فعله مرة ثانية بعد اولى ، ومنه البئر البدي ،[200] والبئر العادي ، فالبدي التي ابتدئت ، والعادي التي أعيدت ، وليست بنسبة الى عاد . كما قيل . ويقال استعدته[201] الشيء فاعاده إذا سألته أن يفعله مرة ثانية ، ومنه سميت العادة ، يقال : عاده وأعتاده وتعوده أي صار عادة له : وعود كلبه الصيد فتعوده ، وهو من المعاودة ، والمعاودة الرجوع الى الأمر الأول ، ويقال الشجاع معاود ؛ لأنه لا يمل المراس . وعاودته الحمى وعاوده بالمسألة أى سأله مرة بعد مرة ، وتعاود القوم في الحرب وغيرها اذا عاد كل فريق إلى صاحبه ، والعواد بالضم ما أعيد من الطعام ، بعد ما أكل منه مرة أخرى ، وعِوَادِ بمعنى عُدْ مثل نزال بمعنى انزل .

---

(١٩٧) اخرجه ابوداود (٤٣٩/١) والترمذى (٤٤٥/١) وابن ماجة (٣٢١/١ رقم١٠٠٤) والدارمى (٢٩٥) و احمد (٢٢٨/٤) و قال الترمذى حسن . و فى الباب عن على بن شيبان و ابن عباس .

(١٩٨) سورة الاسراء (٨٨/١٧) .

(١٩٩) رواه البخارى فى العلم (٣٢/١) والترمذى فى الاستئذان (٧٢/٥) و احمد فى المسند (٢١٣/٣ ـ ٢٢١)من حديث انس بن مالك .

(٢٠٠) راجع اللسان «بدء» .

(٢٠١) اللسان «عود» .

ففى جميع هذه المواضع يستعمل لفظ الاعادة باعتبار الحقيقة فان الحقيقة الموجودة فى المرة الثانية هى الاولى ، وان تعدد الشخص ، ولهذا يقال : هو مثله ، ويقال : هذا هو هذا ، وكلاهما صحيح واعنى بالحقيقة الامر الذى يختص بذلك الشخص ، ليس المراد القدر المشترك بين الفاعلين ، فان من فعل مثل فعل غيره لايقال أعاده ، وانما يقال حاكاه وشابهه ، بخلاف ما اذا أعاد فعلا ثانيا مثل ما فعل اولا فانه يقال اعاد فعله ، وكذلك يقال لمن أعاد كلام غيره قد أعاده ، ولا يقال لمن انشأ مثله قد أعاده ، ويقال قرئ على هذا ، واعاد على هذا ، وهذا يقرأ أى يدرس ، وهذا يعيد ، ولو كان كلاما آخر مما يماثله لم يقل فيه يعيد ، وكذلك من كسر خاتما أو غيره من المصوغ يقال أعده كما كان ويقال لمن هدم دارا: أعدها كما كانت ، بخلاف من أنشأ اخرى مثلها ، فان هذا لا يسمى معيدا ، والمعاد يقال فيه هذا هو الاول بعينه ، ويقال هذا مثل الاول من كل وجه ، ونحو ذلك من العبارات الدالة على انه هو هو من وجه وهو مثله من وجه .

وبهذا تزول الشبهات الواردة على هذا الموضع ، كقول من قال : الاعادة لاتكون الا مع اعادة ذلك الزمان ونحو ذلك مما يمنع اعادته فى صريح العقل ، وانما يعاد بالاتيان بمثله ، وان قال بعض المتكلمين انه لا مغايرة أصلا بوجه من الوجوه .

والاعادة التى اخبر الله بها هى الاعادة المعقولة فى هذا الخطاب ، وهى الاعادة التى فهمها المشركون والمسلمون عن رسول الله ﷺ ، وهى التى يدل عليها لفظ الاعادة ، والمعاد هو الاول بعينه وان كان بين لوازم الاعادة ، ولوازم البدأة فرق ، فذلك الفرق لا يمنع ان يكون قد أعيد الأول ليس الجسد الثانى مباينا للاول من كل وجه ، كما زعم بعضهم ، ولا ان النشأة الثانية كالاولى من كل وجه ، كما ظن بعضهم وكما انه سبحانه خلق الانسان ، ولم يكن شيئًا ، كذلك يعيده بعد ان لم يكن شيئا وعلى هذا فالانسان الذى صار ترابا ونبت من ذلك التراب نبات اكله انسان آخر ، وهلم جرا ، والانسان الذى أكله انسان او حيوان ، وأكل ذلك الحيوان انسانا آخر ، ففى هذا كله قد عدم هذا الانسان وهذا الانسان ، وصار كل منهما ترابا ، كما كان قبل ان يخلق ، ثم يعاد

هذا ويعاد هذا من التراب ، وانما يبقى عجب الذنب ، منه خلق ، ومنه يركب .

وأما سائره فعدم ، فيعاد من المادة التى استحال اليها ، فاذا استحال فى القبر الواحد ألف ميت ، وصاروا كلهم ترابا ، فانهم يعادون ويقومون من ذلك القبر ، وينشئهم الله تعالى بعد ان كانوا عدما محضا كما أنشأهم اوّلاً بعد ان كانوا عدما محضا ، واذا صار ألف انسان ترابا فى قبر ، أنشأ هؤلاء من ذلك القبر من غير أن يحتاج ان يخلقهم كما خلقهم فى النشأة الاولى التى خلقهم منها من نطفة ، ثم من علقة ، ثم من مضغة ، وجعل نشأتهم بما يستحيل الى أبدانهم من الطعام والشراب ، كما يستحيل الى بدن أحدهم ما ياكله من نبات وحيوان ، وكذلك لو أكل انسانا ، أو أكل حيوانا قد أكل انسانا : فالنشأة الثانية لا يخلقهم فيها بمثل هذه الاستحالة ، بل يعيد الأجساد من غير أن ينقلهم من نطفة الى علقة الى مضغة ، ومن غير أن يغذوها بدم الطمث ومن غير أن يغذوها بلبن الأم وبسائر ما ياكله من الطعام والشراب ، فمن ظن أن الاعادة تحتاج الى اعادة الاغذية التى استحالت الى أبدانهم فقد غلط .

و حينئذ فاذا أكل انسان انسانا فانما صار غذاء له كسائر الأغذية و هو لا يحتاج إلى إعادة الأغذية ، و معلوم ان الغذاء ينزل إلى المعدة طعاما وشرابا ، ثم يصير كيلوسا[٢٠٢] كالثردة ثم كيموسا كالحريرة ، ثم ينطبخ دما فيقسمه الله تعالى في البدن كله ، و يأخذ كل جزء من البدن نصيبه ، فيستحيل الدم إلى شبيه ذلك الجزء: العظم عظما ، و اللحم لحماً ، و العرق عرقا ، و هذا فى الرزق كاستحالتهم فى مبدأ الخلق نطفة ثم علقة ، ثم ، مضغة . وكما انه سبحانه لا يحتاج فى الاعادة الى ان يحيل احدهم نطفة ، ثم مضغة فكذلك أغذيتهم لا يحتاج أن يجعلها خبزا و فاكهة و لحما ثم يجعلها كيلوسا و كيموسا ، ثم دما ، ثم عظما و لحما و عروقا ، بل يعيد هذا البدن على صفة أخرى ، لنشأة ثانية ليست مثل هذه النشأة ، كما قال[٢٠٣] : ﴿وَنُنْشِئَكُمْ فِيمَا لاَ تَعْلَمُونَ﴾ .

---

(٢٠٢) فى الاصل «كلوسا» والكيلوس عصير الاطعمة الماكولة ـ و هى اول مراحل الهضم ، و بعدها يستحيل الطعام كيموسا .

(٢٠٣) سورة الواقعة (٥٦/٦٢) .

بعد أن يبلى كله الا عجب الذنب ، كما ثبت في الصحيح عن النبي ﷺ انه قال :[١٦٦](كل ابن آدم يبلي إلا عجب الذنب . منه خلق ابن آدم ، ومنه يركب) .

وهو إذا أعاد الانسان في النشأة الثانية لم تكن تلك النشأة مماثلة لهذه ، فان هذه كائنة فاسدة ، وتلك كائنة لافاسدة ، بل باقية دائمة ، وليس لاهل الجنة فضلات فاسدة تخرج منهم ، كما ثبت في الصحيح عن النبي ﷺ قال :[١٦٧](اهل الجنة لايبولون ولايتغوطون ولايبصقون ولايتمخطون وانما هو رشح كرشح المسك) .

وفي الصحيحين عن النبي ﷺ انه قال :[١٦٨](يحشر الناس حفاة عراة غرلا ثم قرأ ﴿ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعْدًا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ ﴾) .

فهم يعودون غلفا لامختونين .

---

(١٦٦) رواه البخارى فى التفسير (٣٤/٦ ـ ٧٩) و مسلم فى الفتن (٢٢٧١/٣) و لفظه فى رواية : كل ابن آدم يأكله التراب الا عجب الذنب، منه خلق و فيه يركب .
واتفقا على لفظ «ليس من الانسان شيء الا يبلى الا عظما واحدا و هو عجب الذنب ، و منه يركّب الخلق يوم القيامة» .
والحديث اخرجه ايضا ابوداود فى السنة (١٠٨/٥) والنسائى فى الجنائز (١١١/٤) و ابن ماجة فى الزهد (١٤٢٥/٢ رقم٤٢٦٦) و مالك فىالموطا (٢٣٩) و احمد فى مسنده (٤٩٩،٤٢٨،٣٢٢،٣١٥/٢) .

(١٦٧) اخرجه مسلم فى صفة اهل الجنة (٢١٨٠/٣ ـ ٢١٨١) عن جابر عن النبى ﷺ ولفظه :
ان اهل الجنة ياكلون فيها و يشربون ، و لايتفلون ، و لا يبولون ، و لايتغوطون و لايمتخطون .
قالوا : فما بال الطعام ؟
قال : جشاء و رشح كرشح المسك ، يلهمون التسبيح و التحميد كما يلهمون النفس ،
و اخرجه الدارمى (٧٣١) و احمد فى مسنده (٣٨٤،٣٦٤،٣٥٤،٣٤٩،٣١٦/٣) .
و له شاهد من حديث ابى هريرة اخرجه البخارى فى الانبياء (١٠٢/٤) و فى بدء الخلق (٨٦/٤) و مسلم فى صفة الجنة (٢١٧٩/٣) والترمذى فى صفة الجنة (٦٧٨/٤) و ابن ماجة فى الزهد (١٤٤٩/٢ رقم٤٣٣٣) و احمد فى مسنده (٣١٦،٢٥٣،٢٣٢/٢) .

(١٦٨) سورة الانبياء (١٠٤/٢١) .
والحديث فى الصحيحين ليس بهذا اللفظ بل لفظهما : « انكم محشورون الى الله» .
اخرجه البخارى فى الانبياء (١١٠/٤ ـ ١٤٢) و فى التفسير (١٩١/٥ ـ ٢٤٠) و فى الرقاق (١٩٥/٧) .
و مسلم فى صفة الجنة (٢١٩٤/٣) من حديث ابن عباس .
و له شاهد من حديث عائشة اخرجه البخارى (١٩٥/٧) و مسلم (٢١٩٤/٣) و النسائى (١١٥/٤) و ابن ماجة (١٤٢٩/٢ رقم٤٢٧٦) و احمد (٥٣/٦ ـ ٩٠) .
و حديث ابن عباس اخرجه الترمذى (٦١٥/٤) والنسائى (١١٤/٤) و احمد (٢١٣/١ ـ ٢٢٩) و ابن جرير (١٠١/١٧) بلفظ يحشر الناس .
كما اخرجه الترمذى (٤٣٢/٥) والدارمى (٧٢٢) و احمد (٢٣٥/١ ـ ٢٥٣) بلفظ آخر .

وقال الحسن البصري[١٦٩] ومجاهد :[١٧٠] كما بدأكم ، فخلقكم في الدنيا ولم تكونوا شيئا ، كذلك تعودون يوم القيامة أحياء ، وقال قتادة : بدأهم من التراب ، والى التراب يعودون ، كما قال تعالى : ﴿ مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَ فِيْهَا نُعِيْدُكُمْ وَ مِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى ﴾ .[١٧١]

وقال : ﴿ فِيْهَا تَحْيَوْنَ وَ فِيْهَا تَمُوْتُوْنَ وَ مِنْهَا تُخْرَجُوْنَ ﴾ .[١٧٢]

وهو قد شبه سبحانه إعادة الناس في النشأة الأخرى بأحياء الأرض بعد موتها في غير موضع . كقوله : ﴿ وَ هُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ حَتَّى إِذَا أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالاً سُقْنَاهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَنْزَلْنَا بِهِ الْمَاءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ كَذَلِكَ نُخْرِجُ الْمَوْتَى لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ .[١٧٣]

وقال : ﴿ وَالأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَ أَلْقَيْنَا فِيْهَا رَوَاسِيَ ﴾[١٧٤] الى قوله : ﴿ وَ أَحْيَيْنَا بِهِ بَلْدَةً مَيْتًا كَذَلِكَ الْخُرُوْجُ ﴾ .

وقال تعالى :[١٧٥] ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِيْ رَيْبٍ مِنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِنْ مُضْغَةٍ مُخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقِرُّ فِيْ الأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلاً ثُمَّ لِتَبْلُغُوْا أَشُدَّكُمْ وَمِنْكُمْ مَنْ يُتَوَفَّى وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَى أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلاَ يَعْلَمَ مِنْ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا وَتَرَى الأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيْجٍ . ذَلِكَ بِأَنَّ اللهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّهُ يُحْيِ الْمَوْتَى وَأَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيْرٌ ﴾ .

(١٦٩) اخرجه ابن جرير الطبرى فى تفسيره (١٥٧/٨) و راجع تفسير ابن الجوزى (١٨٦/٤) .

(١٧٠) راجع المصدر المذكور (١٥٨/٨) .

(١٧١) سورة طـه (٥٥/٢٠) .

(١٧٢) سورة الاعراف (٢٥/٧)

(١٧٣) نفس السورة (٥٧/٧) .

(١٧٤) سورة ق (٧/٥٠ ـ ١١) .

(١٧٥) سورة الحج (٦/٢٢) .

وقال تعالى : ﴿ أَللهُ الَّذِى أَرْسَلَ الرِّيَاحَ فَتُثِيْرُ سَحَابًا فَسُقْنَاهُ إِلَى بَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا كَذَلِكَ النُّشُوْرُ ﴾.[١٧٦]

وهو سبحانه مع إخباره انه يعيد الخلق ، وأنه يحي العظام وهي رميم ، وأنه يخرج الناس من الارض تارة أخرى ، هو يخبر أن المعاد هو المبدأ . كقوله تعالى : ﴿ وَ هُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيْدُهُ ﴾.[١٧٧]

ويخبر ان الثانى مثل الاول ، كقوله تعالى : ﴿ وَ قَالُوْا أَءِذَا كُنَّا عِظَامًا وَ رُفَاتًا أَإِنَّا لَمَبْعُوْثُوْنَ خَلْقًا جَدِيْدًا ، أَوَ لَمْ يَرَوْا أَنَّ اللهَ الَّذِى خَلَقَ السَّموَاتِ وَالأَرْضَ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ وَ جَعَلَ لَهُمْ أَجَلاً لاَرَيْبَ فِيْهِ ﴾.[١٧٨]

وقال تعالى : ﴿ وَ قَالُوْا أَإِذَا كُنَّا عِظَامًا وَ رُفَاتًا أَإِنَّا لَمَبْعُوْثُوْنَ خَلْقًا جَدِيْدًا ، قُلْ كُوْنُوْا حِجَارَةً أَوْ حَدِيْدًا ، أَوْ خَلْقًا مِّمَّا يَكْبُرُ فِي صُدُوْرِكُمْ فَسَيَقُوْلُوْنَ مَنْ يُعِيْدُنَا قُلِ الَّذِي فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَسَيُنْغِضُوْنَ إِلَيْكَ رُءُوْسَهُمْ وَ يَقُوْلُوْنَ مَتَى هُوَ قُلْ عَسَى أَنْ يَكُوْنَ قَرِيْبًا ،يَوْمَ يَدْعُوْكُمْ فَتَسْتَجِيْبُوْنَ بِحَمْدِهِ وَ تَظُنُّونَ إِنْ لَبِثْتُمْ إِلاَّ قَلِيْلاً ﴾.[١٧٩]

وقال تعالى : ﴿ أَوَ لَيْسَ الَّذِى خَلَقَ السَّموَاتِ وَالأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ بَلَى وَ هُوَ الْخَلاَّقُ الْعَلِيْمُ ﴾.[١٨٠]

وقال تعالى : ﴿ أَوَ لَمْ يَرَوْا أَنَّ اللهَ الَّذِى خَلَقَ السَّموَاتِ وَالأَرْضَ وَ لَمْ يَعْيَ بِخَلْقِهِنَّ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَى بَلَى إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيْرٌ ﴾.[١٨١]

---

(١٧٦) سورة فاطر (٩/٣٥)

(١٧٧) سورة الروم (٢٧/٣٠) .

(١٧٨) سورة الاسراء (٩٨/١٧ ـ ٩٩) .

(١٧٩) نفس السورة (٤٩/١٧ ـ ٥٢) .

(١٨٠) سورة يس (٨١/٣٦) .

(١٨١) سورة الاحقاف (٣٣/٤٦)

وقال : ﴿ أَفَرَأَيْتُم مَّا تُمْنُوْنَ ، أَ أَنْتُمْ تَخْلُقُوْنَهُ أَمْ نَحْنُ الْخَالِقُوْنَ ، نَحْنُ قَدَّرْنَا بَيْنَكُمُ الْمَوْتَ وَ مَا نَحْنُ بِمَسْبُوْقِيْنَ ، عَلَى أَنْ نُبَدِّلَ أَمْثَالَكُمْ وَ نُنْشِئَكُمْ فِيْمَا لاَ تَعْلَمُوْنَ ، وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ النَّشْأَةَ الأُوْلَى فَلَوْلاَ تَذَكَّرُوْنَ ﴾ .[١٨٢]

والمراد بقدرته على خلق مثلهم هو قدرته على اعادتهم ، كما اخبر بذلك في قوله : ﴿ أَوَ لَمْ يَرَوْا أَنَّ اللهَ الَّذِى خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَ لَمْ يَعْيَ بِخَلْقِهِنَّ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يُحْيِىَ الْمَوْتَى ﴾ .[١٨٣]

فان القوم ماكانوا ينازعون في ان الله يخلق في هذه الدار ناسا امثالهم ، فان هذا هو الواقع المشاهد يخلق قرنا بعد قرن ، يخلق الولد من الوالدين ، وهذه هي النشأة الاولى ، وقد علموها ، وبها احتج عليهم على قدرته على النشأة الآخرة ، كما قال :[١٨٤]﴿ وَ لَقَدْ عَلِمْتُمُ النَّشْأَةَ الأُوْلَى فَلَوْلاَ تَذَكَّرُوْنَ ﴾ .

وقال : ﴿ وَ ضَرَبَ لَنَا مَثَلاً وَ نَسِىَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِ الْعِظَامَ وَ هِىَ رَمِيْمٌ ، قُلْ يُحْيِيْهَا الَّذِى أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَ هُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيْمٌ ﴾ .[١٨٥]

وقال : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِى رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِّنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِنْ مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَ غَيْرَ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ ﴾ .[١٨٦]

ولهذا قال : ﴿ عَلَى أَنْ نُبَدِّلَ أَمْثَالَكُمْ وَ نُنْشِئَكُمْ فِيْمَا لاَ تَعْلَمُوْنَ ﴾ .[١٨٧]

---

(١٨٢) سورة الواقعة (٥٨/٥٦ ـ ٦٢) .

(١٨٣) سورة الاحقاف (٣٣/٤٦) .

(١٨٤) سورة الواقعة (٦٢/٥٦) .

(١٨٥) سورة يس (٧٨/٣٦ ـ ٧٩) .

(١٨٦) سورة الحج (٦/٢٢) .

(١٨٧) سورة الواقعة (٦١/٥٦) .

و قال[٢١٢]: ﴿ فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ، قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيًّا ، قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا ﴾ .

و قد ذكر المفسرون ان جبريل نفخ فى جيب درعها . و الجيب هو الطوق الذي فى العنق ، ليس هو ما يسميه بعض العامة جيبا ، و هو ما يكون فى مقدم الثوب لوضع الدراهم و نحوها ، و موسى لما أمره الله أن يدخل يده فى جيبه : هو ذلك الجيب المعروف فى اللغة .

و ذكر ابو الفرج[٢١٣] و غيره قولين : هل كانت النفخة فى جيب الدرع ؟ او فى الفرج ؟ فان من قال بالاول ، قال : فى فرج درعها ، و ان من قال هو مخرج الولد قال أنها كناية عن غير مذكور ، لأنه إنما نفخ فى درعها ، لا فى فرجها و هذا ليس بشيء ، بل هو عدول عن صريح القرآن . و هذا النقل ان كان ثابتا لم يناقض القرآن ، و إن لم يكن ثابتا لم يلتفت اليه ، فان من نقل أن جبريل نفخ فى جيب الدرع ، فمراده أنه ﷺ لم يكشف بدنها ، و كذلك جبريل كان إذا أتى النبي ﷺ و عائشة متجردة لم ينظر إليها متجردة ، فنفخ فى جيب الدرع فوصلت النفخة إلى فرجها .

و المقصود إنما هو النفخ فى الفرج ، كما أخبر الله به فى آيتين ، و إلا فالنفخ فى الثوب فقط من غير و صول النفخ إلى الفرج مخالف للقرآن ، مع أنه لا تاثير له فى حصول الولد ، و لم يقل ذلك أحد من أئمة المسلمين ، و لانقله أحد عن عالم معروف من السلف .

و المقصود هنا أن المسيح خلق من أصلين : من نفخ جبريل و من أمه مريم ، و هذا النفخ ليس هو النفخ الذي يكون بعد مضي أربعة أشهر و الجنين مضغة ؛ فان ذلك نفخ فى بدن قد خلق ، و جبريل حين نفخ لم يكنّ المسيح خلق بعد ، و لاكانت مريم حملت ، و إنما حملت به بعد النفخ بدليل قوله : ﴿ قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا .... فَحَمَلَتْهُ فَانتَبَذَتْ بِهِ مَكَانًا قَصِيًّا ﴾[٢١٤].

فلما نفخ فيها جبريل حملت به ، و لهذا قيل فى المسيح ﴿ رُوحٌ مِّنْهُ ﴾[٢١٥] ، باعتبار هذا النفخ. و قد بين الله سبحانه أن الرسول الذي هو روحه ، و هو

(٢١٢) مريم (١٧/١٩ ـ ١٩) .
(٢١٣) انظر تفسيره (٣٨٥/٥) و انظر تفسير الطبرى (١٧٢/٢٨)
(٢١٤) سورة مريم (١٩/١٩ ـ ٢٢)
(٢١٥) سورة النساء (١٧١/٤) .

جبريل ، هو الروح الذي خاطبها ، و قال إنما أنا رسول ربك لأهب لك غلاما زكيا فقوله ﴿ فَنَفَخْنَا فِيهَا ﴾[٢١٦] او ﴿ فِيهِ مِن رُّوحِنَا ﴾[٢١٧] أى من هذا الروح الذي هو جبريل ، و عيسى روح من هذا الروح ، فهو روح من الله ، بهذا الاعتبار ، و من لابتداء الغاية .

٥ و المقصود هنا : أنه قد يكون الشيء من أصلين بانقلاب المادة التى بينهما إذا التقيا كان بينهما مادة فتنقلب ، و ذلك لقوة حك أحدهما بالآخر فلا بد من نقص أجزائها ، و هذا مثل تولد النار بين الزنادين إذا قدح الحجر بالحديد ، او الشجر بالشجر ، كالمرخ و العفار ، فانه بقوة الحركة الحاصلة من قدح أحدهما بالآخر يستحيل بعض أجزائهما ، و يسخن الهواء الذي بينهما فيصير ناراً ، و
١٠ الزندان كلما قدح أحدهما بالآخر نقصت أجزاؤهما بقوة الحك ، فهذه النار استحالت عن الهواء و تلك الأجزاء بسبب قدح أحد الزندين بالآخر .

و كذلك النور الذي يحصل بسبب انعكاس الشعاع على ما يقابل المضيء ، كالشمس والنار ، فان لفظ النور و الضوء يقال تارة على الجسم القائم بنفسه : كالنار التى فى رأس المصباح ، و هذه لا تحصل إلا بمادة تنقلب نارا كالحطب و
١٥ الدهن ، و يستحيل الهواء أيضا نارا ، و لاينقلب الهواء أيضا نارا إلا بنقص المادة التى اشتعلت ، او نقص الزندين ؛ و تارة يراد بلفظ النور و الضوء و الشعاع : الشعاع الذي يكون على الارض و الحيطان من الشمس ، او من النار ، فهذا عرض ليس بجسم قائم بنفسه ، لابد له من محل يقوم به يكون قابلا له ، فلا بد فى الشعاع من جسم مضيء ، و لابد من شيء يقابله حتى ينعكس
٢٠ عليه الشعاع .

و كذلك النار الحاصلة فى ذبالة المصباح اذا و ضعت فى النار ، او وضع فيها حطب ، فان النار تحيل أولا المادة التى هي الدهن او الحطب فيسخن الهواء المحيط بها فينقلب نارا ، و إنما ينقلب بعد نقص المادة ، و كذلك الريح التى تحرك النار مثل ما تهب الريح فتشتعل النار فى الحطب ، و مثل ما ينفخ فى

---

(٢١٦) سورة الانبياء (٩١/٢١) .

(٢١٧) التحريم (١٢/٦٦) .

الكير و غيره تبقى الريح المنفوخة تضرم النار لما فى محل النار كالخشب و الفحم من الاستعداد لانقلابه نارا ، و ما فى حركة الريح القوية من تحريك النار الى المحل القابل له ، و قد ينقلب أيضا الهواء القريب من النار ؛ فان اللهب هو الهواء انقلب نارا ، مثل ما فى ذبالة المصباح ، و لهذا إذا طفئت صار دخانا ، و هو هواء مختلط بنار كالبخار ، و هو هواء مختلط بماء ، و الغبار هواء مختلط بتراب .

و قد يسمى البخار دخانا ، و منه قوله تعالى : ﴿ ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَ هِيَ دُخَانٌ ﴾.[٢١٨]

قال المفسرون : بخار الماء ، كما جاءت الآثار : (ان الله خلق السموات من بخار الماء).[٢١٩]

و هو الدخان . فان الدخان الهواء المختلط بشيء حار ، ثم قد لا يكون فيه ماء ، و هو الدخان الصرف ، و قد يكون فيه ماء ، فهو دخان ، و هو بخار كبخار القدر . و قد يسمى الدخان بخارا ، فيقال لمن استجمر بالطيب : تبخّر ، و ان كان لا رطوبة هنا ، بل دخان الطيب سمى بخارا .

قال الجوهرى : بخار الماء :[٢٢٠] ما يرتفع منه كالدخان ، والبَخُور — بالفتح — ما يُتبخّر به ؛ لكن انما يصير الهواء نارا بعد أن تذهب المادة التى انقلبت نارا ، كالحطب و الدهن ، فلم تتولد النار الا من مادة ، كما لم يتولد الحيوان الا من مادة .



(٢١٨) سورة حم سجدة (٤١: ١١)

(٢١٩) راجع تفسير ابن الجوزى (٢٤٥/٧) و اخرجه الطبرى عن ابن اسحاق من قوله (١٩٣/١) و روى عن ابن عباس و ابن مسعود موقوفا بنحوه (١٩٤/١) و راجع الاسماء و الصفات للبيهقى (٤٨٢) و سنده ضعيف .

(٢٢٠) [illegible]

فصـــــــل

و المقصود أن كل مايستعمل فيه لفظ التولد من الاعيان القـائمـة فلا بـد أن يكون من أصلين ، و من انفصال جزء من الاصل . و اذا قيل فى الشبع والري : إنه متولد ، أو فى زهوق الروح و نحو ذلـك من الاعراض : أنـه متولـد ، فلا بـد فى جميع ما يستعمل فيه هذا اللفـظ مِن اصلين ، لكن العرض يحتـاج الى محل ، لايحتاج الى مادة تنقلب عرضا ؛ بخلاف الأجسام فانها انمـا تخلق من مواد تنقلب أجساما ، كما تنقلب الى نوع آخر ، كانقلاب المني علقة ، ثم مضغـة ، و غير ذلـك من خلق الحيوان و النبات .

و أما ما كان من أصل واحد : كخلق حواء من الضلع القصرى لآدم ، و هو و ان كان مخلوقـا من مـادة أخـذت من آدم ، فلا يسمى هـذا تولـدا ؛ و لهـذا لا يقال : ان آدم ولد حواء ، و لا يقال انه أبو حواء ، بل خلق الله حواء من آدم ، كما خلق آدم من الطين .

و أما المسيح فيقـال : انـه و لـدتـه مريم ، و يقـال : المسيح بن مريم فكان المسيح جزءاً من مريم ، و خلق بعد نفخ الروح فى فرج مريم ، كما قـال تعـالى : ﴿ وَ مَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا وَ صَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَ كُتُبِهِ وَ كَانَتْ مِنَ الْقَانِتِينَ ﴾.[٢٢١]

و فى الاخرى : ﴿ فَنَفَخْنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا وَ جَعَلْنَاهَا وَابْنَهَا آيَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾.[٢٢٢]

---

(٢٢١) سورة التحريم (٦٦/١٢)

(٢٢٢) سورة الانبياء (٢١/٩١) .

و لا يحتاج مع ذلك الى شيء من هذه الاستحالات التى كانت فى النشأة الاولى .

و بهذا يظهر الجواب عن قوله البدن دائما فى التحلل ، فان تحلل البدن ليس بأعجب من انقلاب النطفة علقة ، و العلقة مضغة ، و حقيقة كل منها خلاف حقيقة الاخرى . ٥

و أما البدن المتحلل فالاجزاء الثانية تشابه الأولى و تماثلها ، و إذا كان فى الاعادة لايحتاج الى انقلابه من حقيقة الى حقيقة فكيف بانقلابه بسبب التحلّل ؟! و معلوم ان من رأى شخصا و هو شاب ثم رآه و هو شيخ علم أن هذا هو ذاك مع هذه الاستحالة ، و كذلك سائر الحيوان و النبات ، كمن غاب عن شجرة مدة ثم جاء فوجدها علم أن هذه هي الا ولى مع ان التحلل و الاستحالة ثابت فى سائر ١٠ الحيوان و النبات ، كما هو فى بدن الانسان . و لايحتاج عاقل فى اعتقاده أن هذه الشجرة هي الاولى ، و ان هذه الفرس هي التى كانت عنده من سنين ، و لا أن هذا الانسان هو الذي رآه من عشرين سنة إلى أن يقدر بقاء أجزاء أصلية لم تتحلل ، و لايخطر هذا ببال احد ، و لا يقتصر العقلاء فى قولهم هذا هو ذاك على تلك الأجزاء التى لا تعرف و لاتتميز عن غيرها ، بل إنما يشيرون إلى جملة ١٥ الشجرة و الفرس والانسان ، مع انه قد يكون كان صغيرا فكبر ، و لايقال إنما كان هو ذاك باعتبار ان النفس الناطقة واحدة كما زعمه من ادعى ان البدن الثانى ليس هو ذاك الاول ، و لكن المقصود جزاء النفس بنعيم أو عذاب ، ففى أي بدن كانت حصل المقصود ، فان هذا أيضاً باطل مخالف للكتاب و السنة و اجماع السلف ، مخالف للمعقول من الاعادة . ٢٠

فانا قد ذكرنا أن العقلاء كلهم يقولون : هذا الفرس هو ذاك ، و هذه الشجرة هي تلك التى كانت من سنين ، مع علم العقلاء أن النبات ليس له نفس ناطقة تفارقه و تقوم بذاتها ، و كذلك يقولون مثل هذا فى الحيوان ، و فى الانسان ، مع انه لم يخطر بقلوبهم ان المشار اليه بهذا و ذاك نفس مفارقة ؛ بل قد لا يخطر هذا بقلوبهم ، فدل على ان العقلاء كانوا يعلمون أن هذا البدن هو ٢٥ ذاك ، مع وجود الاستحالة ، و علم بذلك أن ما ذكر من الاستحالة لا ينافى أن يكون البدن الذي يعاد في النشأة الثانية هو هذا البدن ، و لهذا يشهد البدن

المعاد بما عمل فى الدنيا . كما قال تعالى:[٢٠٤] ﴿ اليَومَ نَختِمُ عَلَى أفْوَاهِهِمْ وَ تُكَلِّمُنَا أيْدِيهِمْ وَ تَشْهَدُ أرْجُلُهُمْ بِمَاكَانُوايَكْسِبُونَ ﴾ .

و قال تعالى :[٢٠٥] ﴿ حَتّى إذَامَاجَآءُوهَاشَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَ أبْصَارُهُمْ وَ جُلُودُهُمْ بِمَا كَانُوايَعْمَلُونَ ، وَ قَالُوالِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا؟ قَالُوا : أنطَقَنَااللهُ الَّذِىأنطَقَ كُلَّ شَىْءٍ ﴾ .

و معلوم ان الانسان لو قال قولا ، أو فعل فعلا ، أو رأى غيره يفعل ، أو سمعه يقول ثم بعد ثلاثين سنة شهد على نفسه بما قال أو فعل ، و هو الاقرار الذي يؤاخذ بموجبه ، أو شهد على غيرة بما قبضه من الاموال ، و أقربه من الحقوق ، لكانت الشهادة على عين ذلك المشهود عليه مقبولة ، مع استحالة بدنه فى هذه المدة الطويلة ، و لايقول عاقل من العقلاء : إن هذه الشهادة على مثله او على غيره . و لو قدر أن المعين حيوان او نبات ، و شهد ان هذا الحيوان قبضه هذا من هذا ، و ان هذا الشجر سلمه هذا إلى هذا : كان كلاما معقولا مع الاستحالة ، و اذا كانت الاستحالة غير مؤثرة ، فقول القائل : يعيده على صفة ما كان وقت موته أو سمنه أو هزاله او غير ذلك جهل منه فان صفة تلك النشأة الثانية ليست مماثلة لصفة هذه النشأة ، حتى يقال : ان الصفات هي المغيرة ؛ إذ ليس هناك استحالة ، و لا استفراغ ، و لاامتلاء ، و لاسمن ، و لاهزال ، و لاسيما أهل الجنة اذا دخلوها فانهم يدخلونها على صورة ابيهم آدم : طول أحدهم ستون ذراعا ، كما ثبت فى الصحيحين[٢٠٦] و غيرهما و روى[٢٠٧] أن عرضه سبعة أذرع ، و هم لا يبولون[٢٠٨] و لايتغوطون ، و لايبصقون ، و لايتمخطون .

---

(٢٠٤) سورة يس (٣٦/٦٥) .

(٢٠٥) سورة حم سجدة (٤١/٢٠ ـ ٢١) .

(٢٠٦) راجع البخارى فى الانبياء (٤/١٠٢) و فى الاستئذان (٧/١٢٥) و مسلم فى الجنة (٣/٢١٨٤)و رواه احمد فى مسنده (٢/٣١٥) .

(٢٠٧) رواه احمد (٢/٥٣٥) و فى مسنده على بن زيد بن جدعان و ضعفه غير واحد .

(٢٠٨) قد مرّ آنفا .

و ليست تلك النشأة من اخلاط متضادة حتى يستلزم مفارقة بعضها بعضاً ، كما فى هذه النشأة ، و لاطعامهم مستحيلا ، و لاشرابهم مستحيلا من التراب و الماء و الهواء ، كما هي أطعماتهم فى هذه النشأة ، و لهذا أبقى الله طعام[209] الذي مر على قرية و شرابه مائة عام لم يتغير ، و دلنا سبحانه بهذا على قدرته ، فاذا كان فى دار الكون و الفساد يبقى الطعام الذى هو رطب و عنب أو نحو ذلك ، و الشراب الذي هو ماء أو ما فيه ماء مائة عام لم يتغير ، فقدرته سبحانه و تعالى على أن يجعل الطعام والشراب فى النشأة الاخرى لا يتغير بطريق الأولى والاحرى ، و هذه الامور لبسطها موضع آخر .



(٢٠٩) راجع القصة فى سورة البقرة (٢/٢٥٩) .

فصــــل

والمقصود هنا : أن التولد لا بد له من أصلين ، و إن ظن ظان ان نفس الهواء الذي بين الزنادين يستحيل ناراً بسخونته من غير مادة تخرج منها تنقلب ناراً فقد غلط ، و ذلك لأنه لا تخرج نار إن لم يخرج منها مادة بالحك ، و لاتخرج النار بمجرد الحك .

و ايضاً فانهم يقدحون على شيء أسفل من الزنادين كالصوفان و الحراق فتنزل النار عليه ، و إنما ينزل الثقيل ، فلولا أن هناك جزءاً ثقيلا من الزناد الحديد و الحجر لما نزلت النار ، و لو كان الهواء و حده انقلب ناراً لم ينزل ، لأن الهواء طبعه الصعود لا الهبوط ، لكن بعد أن تنقلب المادة الخارجة ناراً قد ينقلب الهواء القريب منها ناراً : أما دخانا و إما لهيباً .

و المقصود أن المتولدات خلقت من اصلين ، كما خلق آدم من التراب والماء ، و إلا فالتراب المحض الذي لم يخلط به ماء لا يخلق منه شيء ، لاحيوان و لانبات . و النبات جميعه إنما يتولد من أصلين أيضاً ، و المسيح خلق من مريم و نفخة جبريل . كما قال تعالى :[210] ﴿ وَ مَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا ﴾ .

و قال :[211] ﴿ وَالَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا ﴾ .

(٢١٠) سورة التحريم (٦٦/١٢) .

(٢١١) الانبياء (٢١/٩١) .

و أما حواء فخلقها الله من مادة أخذت من آدم ، كما خلق آدم من المادة الأرضية ، و هي الماء و التراب و الريح الذي أيبسه حتى صار صلصالا ، فلهذا لا يقال إن آدم و لد حواء ، و لآدم و لده التراب ، و يقال في المسيح : ولدته مريم فانه كان من اصلين من مريم و من النفخ الذي نفخ فيها جبريل . قال الله تعالى : ﴿ فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ، قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيًّا ، قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا ، قَالَتْ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا ، قَالَ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَلِنَجْعَلَهُ آيَةً لِّلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِّنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا ، فَحَمَلَتْهُ فَانتَبَذَتْ بِهِ مَكَانًا قَصِيًّا ﴾[٢٢٣] . الى آخر القصة .

فهي انما حملت به بعد النفخ ، لم تحمل به مدة بلا نفخ ثم نفخت فيه روح الحياة كسائر الآدميين ، ففرق بين النفخ للحمل ، و بين النفخ لروح الحياة .

فتبين أن ما يقال انه متولد من غيره من الاعيان القائمة بنفسها فلا يكون الا من مادة تخرج من ذلك الوالد ، و لا يكون الا من أصلين ، والرب تعالى صمد ، فيمتنع أن يخرج منه شيء ، و هو سبحانه لم يكن له صاحبة ، فيمتنع أن يكون له ولد .

و أما ما يستعمل من تولد الاعراض . كما يقال : تولد الشعاع ، و تولد العلم عن الفكر ، و تولد الشبع عن الاكل ، و تولدت الحرارة عن الحركة ، و نحو ذلك ، فهذا ليس من تولد الاعيان ؛ مع ان هذا لابد له من محل ، و لابد له من اصلين . ولهذا كان قول النصارى ان المسيح ابن الله - تعالى عن ذلك - مستلزما لأن يقولوا : إن مريم صاحبة الله ، فيجعلون له زوجة و صاحبة ، كما جعلوا له ولدا وبأى معنى فسروا كونه ابنه ، فانه يفسر الزوجة بذلك المعنى ، والأدلة الموجبة تنزيهه عن الصحا بة ، توجب تنزيهه عن الولد ، فاذا كانوا يصفونه بما هو ابعد عن اتصافه به كان اتصافه بما هو اقل بعدا لازما لهم ، وقد بسط هذا في الرد على النصارى .

☆ ☆ ☆

---

(٢٢٣) سورة مريم (١٩/ ١٧ - ٢٢)

فصـــل

وهذا مما يبين ان ما نزه الله نفسه ونفاه عنه بقوله : ﴿ لَمْ يَلِدْ وَ لَمْ يُولَدْ ﴾ وبقوله : ﴿ أَلاَ إِنَّهُم مِّنْ إِفْكِهِمْ لَيَقُولُونَ : وَلَدَ اللهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴾.[٢٢٤] وقوله : ﴿ وَ جَعَلُوا للهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ وَ خَلَقَهُمْ وَ خَرَقُوا لَهُ بَنِينَ وَ بَنَاتٍ بِغَيْرِ عِلْمٍ سُبْحَانَهُ وَ تَعَالَى عَمَّا يَصِفُونَ ، بَدِيعُ السَّمٰوَاتِ وَالأَرْضِ أَنَّى يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ وَ لَمْ تَكُن لَهُ صَاحِبَةٌ وَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَ هُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾.[٢٢٥]

يعم جميع الانواع التى تذكر فى هذا الباب عن بعض الأمم ، كما ان ما نفاه من اتخاذ الولد يعم أيضا جميع أنواع الاتخاذات الاصطفائية كما قال تعالى : ﴿ وَ قَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارى نَحْنُ أَبْنَاءُاللهِ وَ أَحِبَّاءُهُ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ يَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَ يُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَ للهِ مُلْكُ السَّمٰوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ﴾.[٢٢٦]

قال السدى[٢٢٧] : قالوا : ان الله اوحى الى اسرائيل ان ولدك بكرى من الولد فادخلهم النار فيكونون فيها اربعين يوما حتى تطهرهم و تأكل خطاياهم ، ثم ينادى مناد أخرجوا كل مختون من بنى اسرائيل .

---

(٢٢٤) سورة الصافات (٣٧/١٥١ - ١٥٢)

(٢٢٥) سورة الانعام (٦/١٠٠ - ١٠١)

(٢٢٦) سورة المائدة (٥/١٨) .

(٢٢٧) ذكره ابن الجوزى فى تفسيره (٢/٣١٨) والخبر فى القرطبى (٦/١٢٠) و ابن كثير (٢/٣٥) و نسبه لابن حاتم و ابن جرير و راجع تفسير الطبرى (٦/١٦٤) .

وقد قال تعالى : ﴿ مَااتَّخَذَ اللهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِن إِلهٍ ﴾.[228]
وقال : ﴿ وَ قُلِ الْحَمْدُ للهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَداً وَلَمْ يَكُن لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَ لَمْ يَكُنْ لَهُ وَلِيٌّ مِّنَ الذُّلِ ﴾.[229]
وقال : ﴿ تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيراً ، الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَ لَمْ يَتَّخِذْ وَلَداً وَ لَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيراً ﴾.[230]
وقال : ﴿ وَ قَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَانُ وَلَداً سُبْحَانَهُ بَلْ عِبَادٌ مُكْرَمُونَ ، لاَ يَسْبِقُونَهُ بِالْقَولِ وَ هُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُون ، يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَ مَا خَلْفَهُمْ وَ لاَ يَشْفَعُونَ إِلاَّ لِمَنِ ارْتَضَى وَ هُمْ مِّن خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ ، وَ مَن يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّي إِلَهٌ مِّن دُونِهِ فَذَلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ كَذَالِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ ﴾.[231]

وقال : ﴿ وَ قَالَ اللهُ لاَ تَتَّخِذُوا إِلاهَيْنِ اثْنَيْنِ إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَإِيَّاه فَارْهَبُون ، وَ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَ لَهُ الدِينُ وَاصِباً ﴾ الى قوله : ﴿ وَ يَجْعَلُونَ لِمَا لا يَعْلَمُونَ نَصِيبًا ﴾ الى قوله : ﴿ وَ يَجْعَلُونَ للهِ الْبَنَاتِ ـ سُبْحَانَهُ ـ وَ لَهُمْ مَا يَشْتَهُونَ ﴾.[232]
وقال : ﴿ وَ لاَ تَجْعَلْ مَعَ اللهِ إِلَهاً ءاخَرَ فَتُلْقَى فِي جَهَنَّم مَلُومًا مَدْحُوراً ، أَفَأَصْفَاكُمْ رَبُّكُمْ بِالْبَنِينَ وَاتَّخَذَ مِنَ الْمَلائِكَةِ إِنَاثاً إِنَّكُمْ لَتَقُولُونَ قَولاً عَظِيمًا ، وَ لَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْءانِ لِيَذَّكَّرُوا وَ مَا يَزِيدُ هُمْ إِلاَّ نُفُوراً ، قُلْ لَو كَانَ مَعَهُ ءالِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذًا الابْتَغَوا إِلَى ذِي الْعَرْشِ سَبِيلاً ﴾[233]

(٢٢٨) سورة المومنون (٩١/٢٣) .

(٢٢٩) سورة الاسراء (١١١/١٧) .

(٢٣٠) سورة الفرقان (١/٢٥ ـ ٢) .

(٢٣١) سورة الانبياء (٢٦/٢١ ـ ٢٩) .

(٢٣٢) سورة النحل (٥١/١٦ ـ ٥٧) .

(٢٣٣) سورة الاسراء (٣٩/١٧ ـ ٤٣) .

وقال :[٢٣٤] ﴿فَاسْتَفْتِهِمْ أَلِرَبِّكَ الْبَنَاتُ وَلَهُمُ الْبَنُونَ ، أَمْ خَلَقْنَا الْمَلَائِكَةَ إِنَاثًا وَ هُمْ شَاهِدُونَ ، أَلاَ إِنَّهُم مِّنْ إِفْكِهِمْ لَيَقُولُونَ ، وَلَدَ اللهُ وَ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ، أَصْطَفَى الْبَنَاتِ عَلَى الْبَنِينَ ، مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ، أَفَلاَ تَذَكَّرُونَ ، أَمْ لَكُمْ سُلْطَانٌ مُّبِينٌ، فَأْتُوا بِكِتَابِكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ، وَجَعَلُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجِنَّةِ نَسَباً وَ لَقَدْ عَلِمَتِ الْجِنَّةُ إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ ، سُبْحَانَ اللهِ عَمَّا يَصِفُونَ ، إِلاَّ عِبَادَاللهِ الْمُخْلَصِينَ ، فَإِنَّكُمْ وَ مَا تَعْبُدُونَ ، مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ بِفَاتِنِينَ ، إِلاَّ مَنْ هُوَ صَالِ الْجَحِيمِ﴾ .

وقال :[٢٣٥] ﴿ أَفَرَءَيْتُمُ اللاَّتَ وَالْعُزَّى ، وَ مَنَاةَ الثَّالِثَةَ الأُخْرَى ، أَلَكُمُ الذَّكَرُ وَلَهُ الأُنْثَى ، تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَى ، إِنْ هِيَ إِلاَّ أَسْمَاءٌ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَ آبَاؤُكُمْ مَّا أَنْزَلَ اللهُ بِهَا مِن سُلْطَانٍ إِن يَتَّبِعُونَ إِلاَّ الظَّنَّ وَ مَا تَهْوَى الأَنْفُسُ وَ لَقَدْ جَاءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ الْهُدَى ﴾ . الى قوله : ﴿ انَّ الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ لَيُسَمُّونَ الْمَلاَئِكَةَ تَسْمِيَةَ الأُنْثَى ﴾[٢٣٦] .

وقال تعالى : ﴿ وَجَعَلُوا لَهُ مِنْ عِبَادِهِ جُزْءًا ﴾[٢٣٧] .

قال بعض المفسرين : ﴿ جزءا ﴾ اي نصيبا و بعضا ، وقال بعضهم : جعلوا لله نصيبا من الولد . وعن قتادة [٢٣٨] ومقاتل :عدلا . وكلا القولين صحيح ، فانهم يجعلون له ولدا ، والولد يشبه اباه ، ولهذا قال : [٢٣٩] ﴿ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحْمَنِ مَثَلاً ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا ﴾ اي البنات .

كما قال في الاية الاخرى : ﴿ وَ إِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِالأُنْثَى ﴾ [٢٤٠] .

فقد جعلوها للرحمن مثلا ، وجعلوا له من عباده جزءا ، فان الولد جزء من الوالد ، كما تقدّم ،

---

(٢٣٤) سورة الصافات (١٤٩/٣٧ ـ ١٦٣) .

(٢٣٥) سورة النجم (١٩/٥٣ ـ ٢٣) .

(٢٣٦) نص السورة (٢٧/٥٣) .

(٢٣٧) سورة الزخرف (١٥/٤٣) .

(٢٣٨) راجع الطبرى (٥٦/٢٥) و انظر الدر المنثور (٣٦٩/٧) .

(٢٣٩) الزخرف (١٧/٤٣)

(٢٤٠) سورة النحل (٥٨/١٦) .

قال ﷺ : [٢٤١] « انما فاطمة بضعة مني » .
وقوله : [٢٤٢] ﴿ وَجَعَلُوا۟ لِلَّهِ شُرَكَآءَ ٱلْجِنَّ ، وَخَلَقَهُمْ وَخَرَقُوا۟ لَهُۥ بَنِينَ وَبَنَٰتٍۭ بِغَيْرِ عِلْمٍ ﴾ .
قال الكلبي : [٢٤٣] نزلت في الزنادقة قالوا : ان الله وابليس شريكان ، فالله خالق النور والناس والدواب والانعام . وابليس خالق الظلمة والسباع والحيات والعقارب . ٥

واما قوله : [٢٤٤] ﴿ وَجَعَلُوا۟ بَيْنَهُۥ وَبَيْنَ ٱلْجِنَّةِ نَسَبًا ﴾ فقيل هو قولهم : [٢٤٥] الملائكة بنات الله ، وسمي الملائكة جنا لاجتنانهم عن الابصار . وهو قول مجاهد وقتادة .
وقيل [٢٤٦] قالوا لحيٍّ من الملائكة يقال لهم الجِنَّة ، و منهم ابليس وهم بنات الله ، وقال الكلبي [٢٤٧] قالوا ــ لعنهم الله ــ ، بل تزوّج من الجِنّ فخرج من بينهما الملائكة . ١٠

---

(٢٤١) جزء من حديث اخرجه البخاري في فضائل الصحابة (٢١٠/٤، ٢١٢، ٢١٩) وفي النكاح (١٥٨/٦) ومسلم في فضائل الصحابة (١٩٠٣/٢) عن المسور بن مخرمة .
واخرجه ابوداود (٥٥٨/٢) والترمذي (٦٩٨/٥) وابن ماجة (٦٤٤/١ رقم ١٩٩٩) واحمد (٣٢٦/٤) واخرجه الترمذي (٦٩٩/٥) واحمد (٥/٤) من حديث عبد الله بن الزبير .

(٢٤٢) سورة الانعام (١٠٠/٦) .

(٢٤٣) راجع اسباب النزول للواحدي (٢١٦) وراجع ابن الجوزي (٩٦/٣) والقرطبي (٥٣/٧) والبغوي (١٦٦/٢) .

(٢٤٤) سورة الصافات (١٥٨/٣٧) .

(٢٤٥) راجع تفسير ابن الجوزي (٩٦/٣) وانظر تفسير الطبري (١٠٨/٢٣) .

(٢٤٦) راجع تفسير ابن الجوزي (٩١/٧) .

(٢٤٧) نفس المرجع (٩٢/٧) رواه الطبري عن قتادة (١٠٨/٢٣) ونسبه ابن الجوزي لقتادة وللكلبي ، وفي النسختين المطبوعتين « بل يذور تخرج منها الملائكة » وهو خطأ .

وقوله :[٢٤٨] ﴿ وَخَرَقُوْا لَهُ بَنِيْنَ وَبَنَاتٍ بِغَيْرِ عِلْمٍ ﴾ قال بعض المفسّرين ـــ كالثعلبي :[٢٤٩] وهم كفار العرب قالوا : الملائكة والاصنام بنات الله ، واليهود قالوا : عزير ابن الله ، والنصارى قالوا المسيح ابن الله .

☆ ☆ ☆

(٢٤٨) سورة الانعام (١٠٠/٦) .

(٢٤٩) هو ابو اسحاق احمد بن ابراهيم الثعلبي النيسابوري .
كان اوحد في زمانه في علم التفسير ، بصيرا بالعربية ، طويل الباع في الوعظ ، صنف التفسير الكب وسماه « الكشف والبيان في تفسير القرآن » فيه من الغرائب شيئ كثير ، وانتقده لذلك ابن تيمية . توفى سـ ٤٢٧ هـ .
انظر التفسير والمفسرون (٢٢٧/١ ـ ٢٣٤) ومعجم ياقوت (٣٦/٥ ـ ٣٩) انباه الرواة (١١٩/١) وفيات ابن خلك (٧٩/١) الوافي (٣٠٧/٧) طبقات الداودي (٦٦/١) السير (٤٣٥/١٧ ـ ٤٣٧) .
وهذا القول ذكره البغوي في تفسيره (١٦٦/٢) واخرجه الطبري عن السدّى وابن زيد (٢٩٧/٧) وراج تفسير ابن الجوزي (٩٧/٣) .

فصـــــل

و أمـا الـذين كانوا يقولون من العرب : ان الملائكـة بنـات الله ، و مـانقـل عنهم من انـه صـاهر الجن ، فولـدت لـه المـلائكـة فقـد نفـاه الله عنـه بـامتنـاع الصاحبة ، و بامتناع أن يكون منه جزء فانه صمد ، و قوله : ﴿ **وَلَمْ تَكُن لَّهُ صَاحِبَةٌ** ﴾[٢٥٠]

٥

و هـذا كما تقـدم من أن الولادة لا تكون الا من أصلين سواء فى ذلـك تولـد الاعيـان التى تسمى الجواهر ، و تولـد الاعراض والصفـات ، بل و لايكون تولد الاعيان الا بانفصال جزء من الوالد ، فاذا امتنع أن يكون له صـاحبـة امتنع أن يكون لـه ولـد ، و قـد علموا كلهم ان لا صـاحبـة لـه لا من الملائكـة ، و لامن الجن ، و لا من الانس فلم يقل أحد منهم ان له صاحبـة ، فلهـذا احتج بـذلـك عليهم ، و ما حكى عن بعض كفار العرب انه صـاهر الجن ، فهـذا فيـه نظر ، و ذلك ان كان قد قيل : فهو مما يعلم انتفاؤه من وجوه كثيرة ، و كذلك ما قالتـه النصارى : من أن المسيح ابن الله ، و ما قالـه طـائفـة من اليهود ان العزير ابن الله ، فانه قد نفاه سبحانه بهذا و بهذا .

١٠

فان قيل : أمـا عوام النصـارى فلا تنضبـط أقوالهم ، و امـا الموجود فى كلام علمـائهم و كتبهم فـانهم يقـولـون : ان أقنـوم الكلمـة ، و يسمـونهـا الابن تـدرَّع المسيـح ، أى اتخـذه درعـا ، كما يتـدرع الانسـان قميصـه ، فـاللاهـوت تـدرَّع الناسوت ، و يقولون : باسم الاب و الابن و روح القدس إله واحد .

١٥

(٢٥٠) سورة الانعام (١٠١/٦)

قيل قصدهم ان الرب موجود حي عليم ، فالموجود هو الاب ، و العلم هو الابن ، و الحياة هو روح القدس ، هذا قول كثير منهم ، و منهم من يقول بل موجود عالم قادر ، و يقول العلم هو الكلمة ، و هو المتدرّع ، و القدرة هي روح القدس ، فهم مشتركون فى ان المتدرّع هو أقنوم الكلمة و هي الابن .

٥ ثم اختلفوا فى التدرّع و اختلفوا هل هما جوهر أو جوهران ؟ و هل لهما مشيئة أو مشيئتان ؟ و لهم فى الحلول و الاتحاد ، كلام مضطرب ليس هذا موضع بسطه . فان مقالة النصارى فيها من الاختلاف بينهم ما يتعذر ضبطه ، فان قولهم ليس مأخوذاً عن كتاب منزل، و لانبي مرسل ، و لاهو موافق لعقول العقلاء ، فقالت اليعقوبية[٢٥١] : صار جوهراً واحدا ، و طبيعة واحدة ، وأقنوما

١٠ واحداً ، كالماء فى اللبن .

و قالت النسطورية[٢٥٢] : بل هما جوهران ، و طبيعتان ، و مشيئتان ؛ لكن حل اللاهوت فى الناسوت حلول الماء فى الظرف .

و قالت الملكية[٢٥٣] : بل هما جوهر واحد ، له مشيئتان ،وطبيعتان ، أو فعلان ، كالنار فى الحديد .

١٥ و قد ذهب بعض الناس الى أن قوله تعالى : ﴿ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ ﴾[٢٥٤] :هم اليعقوبية .
و فى قوله : ﴿ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللهِ ﴾[٢٥٥] :هم الملكية.

---

(٢٥١) فرقة من النصارى قالوا بالاقانيم الثلاثة ـ راجع فيهم الفصل لابن حزم (٤٩/١) والملل والنحل للشهرستانى (٦٦/٢) .

(٢٥٢) فرقة اخرى من النصارى ، نسبة الى نسطور الذى قال ان الله تعالى واحد ذو اقانيم ثلاثة : الوجود والعلم والحياة .
راجع الفصل (٤٩/١) الملل والنحل (٦٤/٢) .

(٢٥٣) فرقة ثالثة و يقال لهم الملكائية ايضا قالوا : ان الكلمة اتحدث بجسد المسيح و تدرعت بناسوته .
راجع الفصل (٤٨/١) والملل والنحل (٦٢/٢) .

(٢٥٤) سورة المائدة (٧٢/٥) .

(٢٥٥) سورة التوبة (٣٠/٩) .

و قوله : ﴿ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ ﴾[256] : هم النسطورية .

و ليس بشيء ، بل الفرق الثلاث تقول المقالات التى حكاها الله عزوجل عن النصارى ، فكلهم يقولون : إنه الله و يقولون : إنه ابن الله ، و كذلك فى أمانتهم التى هم متفقون عليها ، يقولون اله حق من اله حق ، و أما قوله : ﴿ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ ﴾ فانه قال تعالى : ﴿ وَ إِذْ قَالَ اللهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ ءَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِى وَ أُمِّىَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ اللهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِى أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِى بِحَقٍّ ﴾[257].

قال ابو الفرج ابن الجوزى[258] فى قوله : ﴿ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ ﴾ . قال المفسرون : معنى الآية أن النصارى قالوا بأن الالهية مشتركة بين الله و عيسى و مريم ، كل واحد منهم اله .

و ذكر عن الزجاج[259] : الغلو : مجاوزة القدر في الظلم ، و غلو النصارى فى عيسى قول بعضهم : هو الله ، و قول بعضهم : هو ابن الله ، و قول بعضهم : هو ثالث ثلاثة . فعلماء النصارى الذين فسروا قولهم هو ابن الله بما ذكروه من ان الكلمة هى الابن ، و الفرق الثلاثة متفقة على ذلك ، و فساد قولهم معلوم بصريح العقل من وجوه :

احدها : انه ليس فى شيء من كلام الانبياء تسمية صفة الله ابنًا ، لا كلامه و لاغيره فتسميتهم صفة الله ابنًا تحريف لكلام الأنبياء عن مواضعه ، و ما نقلوه عن المسيح من قوله ، عمدوا الناس باسم الأب و الابن و روح القدس ، لم يرد بالابن صفة الله التى هي كلمته ، و لا بروح القدس حياته ، فانه لا يوجد فى كلام الأنبياء ارادة هذا المعنى ، كما قد بسط هذا فى الرد على النصارى .

---

(٢٥٦) سورة المائدة (٥/٧٣) .

(٢٥٧) نفس السورة (٥/١١٦) .

(٢٥٨) راجع تفسيره (٢/٤٠٣) .

(٢٥٩) نفس المرجع (٢/٢٦٠) و قال ابو عبيدة فى معنى الغلو : كل شيء زاد حتى يجاوز الحدّ من نبات او عظم او شباب . مجاز القرآن (١/١٤٣) و انظر الطبرى (٦/٣٤ ـ ٣٥) واللسان «غلا» .

قيل قصدهم ان الرب موجود حي عليم ، فالموجود هو الاب ، و العلم هو الابن ، و الحياة هو روح القدس ، هذا قول كثير منهم ، و منهم من يقول بل موجود عالم قادر ، و يقول العلم هو الكلمة ، و هو المتدرّع ، و القدرة هي روح القدس ، فهم مشتركون فى ان المتدرّع هو أقنوم الكلمة و هي الابن .

٥ ثم اختلفوا فى التدرّع و اختلفوا هل هما جوهر أو جوهران ؟ و هل لهما مشيئة أو مشيئتان ؟ و لهم فى الحلول و الاتحاد ، كلام مضطرب ليس هذا موضع بسطه . فان مقالة النصارى فيها من الاختلاف بينهم ما يتعذر ضبطه ، فان قولهم ليس مأخوذاً عن كتاب منزل، و لانبى مرسل ، و لاهو موافق لعقول العقلاء ، فقالت اليعقوبية[٢٥١] : صار جوهراً واحدا ، و طبيعة واحدة ، وأقنوما ١٠ واحداً ، كالماء فى اللبن .

و قالت النسطورية[٢٥٢] : بل هما جوهران ، و طبيعتان ، و مشيئتان ؛ لكن حل اللاهوت فى الناسوت حلول الماء فى الظرف .

و قالت الملكية[٢٥٣] : بل هما جوهر واحد ، له مشيئتان ،وطبيعتان ، أو فعلان ، كالنار فى الحديد .

١٥ و قد ذهب بعض الناس الى أن قوله تعالى : ﴿ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللّهَهُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ ﴾[٢٥٤] :هم اليعقوبية .
و فى قوله : ﴿ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللهِ ﴾[٢٥٥] :هم الملكية.

---

(٢٥١) فرقة من النصارى قالوا بالاقانيم الثلاثة - راجع فيهم الفصل لابن حزم (٤٩/١) والملل والنحل للشهرستانى (٦٦/٢) .

(٢٥٢) فرقة اخرى من النصارى ، نسبة الى نسطور الذى قال ان الله تعالى واحد ذو اقانيم ثلاثة : الوجود والعلم والحياة .
راجع الفصل (٤٩/١) الملل والنحل (٦٤/٢) .

(٢٥٣) فرقة ثالثة و يقال لهم الملكائية ايضا قالوا : ان الكلمة اتحدث بجسد المسيح و تدرعت بناسوته .
راجع الفصل (٤٨/١) والملل والنحل (٦٢/٢) .

(٢٥٤) سورة المائدة (٧٢/٥) .

(٢٥٥) سورة التوبة (٣٠/٩) .

و قوله : ﴿ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ ﴾[٢٥٦]: هم النسطورية .

و ليس بشيء ، بل الفرق الثلاث تقول المقالات التى حكاها الله عزوجل عن النصارى ، فكلهم يقولون : إنه الله و يقولون : إنه ابن الله ، و كذلك فى أمانتهم التى هم متفقون عليها ، يقولون اله حق من اله حق ، و أما قوله : ﴿ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ ﴾ فانه قال تعالى : ﴿ وَ إِذْ قَالَ اللهُ يَاعِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ ءَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِى وَ أُمِّىَ إِلَهَيْنِ مِن دُونِ اللهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِى أَنْ أَقُولَ مَالَيْسَ لِى بِحَقٍّ ﴾[٢٥٧].

قال ابو الفرج ابن الجوزى[٢٥٨] فى قوله : ﴿ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ ﴾ . قال المفسرون : معنى الآية أن النصارى قالوا بأن الالهية مشتركة بين الله و عيسى و مريم ، كل واحد منهم اله .

و ذكر عن الزجاج[٢٥٩]: الغلو : مجاوزة القدر في الظلم ، و غلو النصارى فى عيسى قول بعضهم:هو الله ، و قول بعضهم:هو ابن الله ، و قول بعضهم:هو ثالث ثلاثة . فعلماء النصارى الذين فسروا قولهم هو ابن الله بما ذكروه من ان الكلمة هى الابن ، و الفرق الثلاثة متفقة على ذلك ، و فساد قولهم معلوم بصريح العقل من وجوه :

احدها : انه ليس فى شيء من كلام الانبياء تسمية صفة الله ابنًا ، لا كلامه و لاغيره فتسميتهم صفة الله ابنًا تحريف لكلام الأنبياء عن مواضعه ، و ما نقلوه عن المسيح من قوله:عمدوا الناس باسم الأب و الابن و روح القدس ، لم يرد بالابن صفة الله التى هي كلمته ، و لا بروح القدس حياته ، فانه لا يوجد فى كلام الأنبياء ارادة هذا المعنى ، كما قد بسط هذا فى الرد على النصارى .

---

(٢٥٦) سورة المائدة (٧٣/٥) .

(٢٥٧) نفس السورة (١١٦/٥) .

(٢٥٨) راجع تفسيره (٤٠٣/٢) .

(٢٥٩) نفس المرجع (٢٦٠/٢) و قال ابو عبيدة فى معنى الغلو : كل شيء زاد حتى يجاوز الحد من نبات او عظم او شباب . مجاز القرآن (١٤٣/١) و انظر الطبرى (٣٤/٦ ـ ٣٥) واللسان «غلا» .

الوجه الثانى : أن هذه الكلمة التى هي الابن أهي صفة الله قائمة به ، أم هي جوهر قائم بنفسه ؟ فان كانت صفته بطل مذهبهم من وجوه :

أحدها : أن الصفة لا تكون الها يخلق و يرزق و يحي و يميت ، و المسيح عندهم اله يخلق و يرزق ، و يحي و يميت ، فاذا كان الذي تدرعه ليس باله فهو أولى أن لا يكون إلها .

الثانى : أن الصفة لا تقوم بغير الموصوف فلا تفارقه ، و ان قالوا : نزل عليه كلام الله او قالوا : انه الكلمة أو غير ذلك ، فهذا قدر مشترك بينه و بين سائر الانبياء .

الثالث : أن الصفة لا تتحد ، و تتدرع شيئا الا مع الموصوف ، فيكون الأب نفسه هو المسيح ، و النصارى متفقون على أنه ليس هو الأب ، فان قولهم متناقضٌ : ينقض بعضه بعضا ، يجعلونه إلها يخلق و يرزق ، و لايجعلونه الأب الذى هو الاله ، و يقولون : إله واحد ، و قدشبّهـه بعض متكلميهم - كيحيي[٢٦٠] بن عدى - بالرجل الموصوف بأنه طبيب و حاسب و كاتب ، و له بكل صفة حكم ، فيقال : هذا حق ، لكن قولهم ليس نظير هذا ، فاذا قلتم ان الرب موجود حي عالم ، و له بكل صفة حكم ، فمعلوم أن المتحد ان كان هو الذات المتصفة فالصفات كلها تابعة لها فانه إذا تدرع زيد الطبيب الحاسب الكاتب درعا كانت الصفات كلها قائمة به ، و ان كان المتدرع صفة دون صفة عاد المحذور . و ان قالوا : المتدرع الذات بصفة دون صفة لزم افتراق الصفتين ، و هذا ممتنع ؛ فان الصفات القائمة بموصوف واحد و هي لازمة له لا تفترق ، و صفات المخلوقين قد يمكن عدم بعضها مع بقاء الباقى ، بخلاف صفات الرب تبارك و تعالى .

الرابع : ان المسيح نفسه ليس هو كلمات الله ، ولا شيئا من صفاته ، بل هو مخلوق بكلمة الله ، و سمى كلمة لأنه خلق بكُنْ من غير الحبل المتعاد ، كما

---

(٢٦٠) ابو زكريا يحي بن عدى بن حميد بن زكريا . فيلسوف حكيم ، انتهت اليه الرياسة فى علم المنطق فى عصره . كان أوحد دهره و منهبه من مذاهب النصارى اليعقوبية . ترجم عن السريانية كثيرا الى العربية . توفى سنة ٣٦٤هـ .
انظر الفهرست لابن النديم (٣٢٢) والاعلام (١٥٦/٨) و معجم المؤلفين (٢١١/١٣) .

قال تعالى : ﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ : كُنْ فَيَكُونُ ﴾[٢٦١].

و قال تعالى : ﴿ ذَالِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ الَّذِى فِيهِ يَمْتَرُونَ ، مَا كَانَ للهِ أَن يَتَّخِذَ مِن وَلَدٍ سُبْحَانَهُ إِذَا قَضَى أَمْراً فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴾[٢٦٢].

و لو قدر أنه نفسه كلام الله كالتوراة و الانجيل و سائر كلام الله لم يكن كلام الله ، و لا شيء من صفاته خالقا و لا ربا و لاإلها . فالنصارى إذا قالوا : ان المسيح هو الخالق ، كانوا ضالين من جهة جعل الصفة خالقة ، و من جهة جعله هو نفس الصفة ، و إنما هو مخلوق بالكلمة ، ثم قولهم بالتثليث و ان الصفات ثلاث باطل ، و قولهم إيضا : بالحلول و الاتحاد باطل . فقولهم يظهر بطلانه من هذه الوجوه و غيرها .

فلو قالوا : ان الرب له صفات قائمة به ، و لم يذكروا اتحادا و لا حلولا ، كان هذا قول جماهير المسلمين المثبتين للصفات . و ان قالوا : إن الصفات اعيان قائمة بنفسها ، فهذا مكابرة ، فهم يجمعون بين المتناقضين .

و أيضا فجعلهم عدد الصفات ثلاثة باطل ، فان صفات الرب أكثر من ذلك فهو سبحانه موجود حي عليم قدير . و الأقانيم عندهم التى جعلوها الصفات ليست إلا ثلاثة ؛ و لهذا تارة يفسرونها بالوجود و الحياة والعلم ، و تارة يفسرونها بالوجود و القدرة و العلم ، و اضطرابهم كثير . فان قولهم فى نفسه باطل ، و لايضبطه عقل عاقل ، و لهذا يقال : لو اجتمع عشرة من النصارى لافترقوا على أحد عشر قولا .

و ايضا فكلمات الله كثيرة لا نهاية لها . كما قال سبحانه و تعالى : ﴿ قُل لَوْكَانَ الْبَحْرُ مِدَاداً لِّكَلِمَاتِ رَبِّى لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنْفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّى لَوجِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَداً ﴾[٢٦٣].

---

(٢٦١) سورة آل عمران (٣/٩٥) .

(٢٦٢) سورة مريم (١٩/٣٤ ـ ٣٥) .

(٢٦٣) سورة الكهف (١٨/١٠٩) .

و هذا قول جماهير الناس من المسلمين ، و غير المسلمين ، و هذا مذهب سلف الامة الذين يقولون لم يزل سبحانه متكلما بمشيئته . و قول من قال : انه لم يزل قادرا على الكلام لكن تكلم بمشيئته كلاما قائما بذاته حادثا ، و قول من قال كلامه مخلوق فى غيره .

٥ و أما من قال : كلامه شيء واحد قديم العين ، فهؤلاء منهم من يقول : انه امور لا نهاية لها مع ذلك . و منهم من يقول : بل هو معنى واحد ، ولكن العبارات عنه متعددة ، و هؤلاء يمتنع عندهم أن يكون ذلك المعنى قائما بغير الله ، و إنما يقوم بغيره عندهم العبارات المخلوقة ، و يمتنع ان يكون المسيح شيئا من تلك العبارات ، فاذاامتنع ان يكون المسيح غير كلام الله على قول ١٠ هؤلاء فعلى قول الجمهور أشد امتناعا ؛ لان كلمات الله كثيرة ، و المسيح ليس هو جميعها، بل و لامخلوقا بجميعها ، و انما خلق بكلمة منها ، و ليس هو عين تلك الكلمة : فان الكلمة صفة من الصفات ، و المسيح عين قائم بنفسه .

ثم يقال لهم : تسميتكم العلم و الكلمة ولدا و ابنا تسمية باطلة باتفاق العلماء و العقلاء ، و لم ينقل ذلك عن أحد من الانبياء ، قالوا لأن الذات يتولد عنها ١٥ العلم و الكلام كما يتولد ذلك عن نفس الرجل العالم منها ،فيتولد من ذاته العلم و الحكمة والكلام ، فلهذا سميت الكلمة ابنا .

قيل هذا باطل من وجوه :

أحدها : ان صفاتنا حادثة تحدث بسبب تعلمنا و نظرنا و فكرنا و استدلالنا ، و أما كلمة الرب و علمه فهو قديم لازم لذاته ، فيمتنع أن يوصف ٢٠ بالتولد ، الا أن يدعي المدعى ان كل صفة لازمة لموصوفها متولدة عنه ، و هي ابن له ، و معلوم أن هذا من ابطل الأمور فى العقول واللغات ، فان حياة الانسان و نطقه و غير ذلك من صفاته اللازمة له لايقال انها متولدة عنه ، و انها ابن له ، و ايضا فيلزم ان تكون حياة الرب ايضا ابنه و متولدة ، و كذلك قدرته ، والا فما الفرق بين تولد العلم و تولد الحياة و القدرة و غير ذلك من ٢٥ الصفات .

و ثانيها : ان هذا ان كان من باب تولد الجواهر و الاعيان القائمة بنفسها

فلا بد له من اصلين ، و لابد ان يخرج من الاصل جزء ، و أما علمنا و قولنا فليس عينا قائما بنفسه ، و ان كأن صفة قائمة بموصوف و عرضا قائما فى محل كعلمنا و كلامنا فذاك ايضا لا يتولدالا عن اصلين ، و لابد له من محل يتولد فيه ، و الواحد منا لا يحدث له العلم والكلام الا بمقدمات تتقدم على ذلك ، و تكون اصلاً للفروع و يحصل العلم و الكلام فى محل لم يكن حاصلا فيه قبل ذلك .

فان قلتم : ان علم الرب كذلك لزم ان يصير عالما بالاشياء بعد ان لم يكن عالما بها ،و ان تصير ذاته متكلمة بعد ان لم يكن متكلما ، و هذا مع انه كفر عند جماهير الامم من المسلمين و النصارى و غيرهم فهو باطل فى صريح العقل ، فان الذات التى لا تكون عالمة يمتنع ان تجعل نفسها عالمة بلا احد يعلمها ، و الله تعالى يمتنع عليه ان يكون متعلما من خلقه ، و كذلك الذات التى تكون عاجزة عن الكلام ، يمتنع ان تصير قادرة عليه بلا احد يجعلها قادرة ، و الواحد منها لا يولد جميع علومه ، بل ثَمّ علوم خلقت فيه لايستطيع دفعها ، فاذا نظر فيها حصلت له علوم اخرى . فلا يقول احد من بنى آدم : ان الانسان يولد علومه كلها ، و لا يقول احد : انه يجعل نفسه متكلمة بعد ان لم تكن متكلمة ، بل الذي يقدره على النطق هو الذى انطق كل شيء .

فان قالوا : ان الرب يولد بعض علمه ، و بعض كلامه دون بعض بطل تسمية العلم ـ الذى هو الكلمة مطلقا ـ الابن ، و صار لفظ الابن انما يسمى به بعض علمه ، او بعض كلامه ، و هم يدعون ان المسيح هو الكلمة ، و هو اقنوم العلم مطلقا ، و ذلك ليس متولدا عنه كله ، و لايسمى كله ابنا باتفاق العقلاء .

و ثالثها : ان يقال : تسمية علم العالم و كلامه و لدا له لايعرف في شيءمن اللغات المشهورة ، و هو باطل بالعقل ، فان علمه و كلامه كقدرته و علمه ، فان جاز هذا جاز تسمية صفات الانسان كلها الحادثة متولدات عنه له ، و تسميتها ابناءه ، و من قال من اهل الكلام القدرية : ان العلم الحاصل بالنظر متولد عنه ، فهو كقوله ان الشبع والري متولد عن الاكل و الشرب ، لايقول ان العلم ابنه و ولده ، كما لا يقول ان الشبع والري ابنه و لا ولده ،لان هذا من

باب تولد الاعراض والمعانى القائمة بالانسان ، و تلك لا يقال انها اولاده و ابناؤه . و من استعار فقال بُنَيّات فكره ، فهو كما يقال بُنَيّات الطريق ، و يقال ابن السبيل ، و يقال لطير الماء: ابن ماء ، و هذه تسمية مقيدة ، قد عرف انها ليس المراد بها ما هو المعقول من الاب و الابن والوالد و الولد ، و ايضا فكلام الانبياء ليس فى شيء منه تسمية شيء من صفات الله ابناً ، فمن حمل شيئا من كلام الانبياء على ذلك فقد كذب عليهم ، و هذا مما يقربه علماء النصارى ، و ما وجد عندهم من لفظ الابن فى حق المسيح و اسرائيل و غيرهما ، فهو اسم للمخلوق لا لشيء من صفات الخالق ، و المراد به انه مكرم معظم .

و رابعها : ان يقال فاذا قدر ان الامر كذلك فالذى حصل للمسيح ان كان هو ما علمه الله إياه من علمه و كلامه فهذا موجود لسائر النبيين ، فلا معنى لتخصيصه بكونه ابن الله ، و ان كان هو ان العلم و الكلام اله اتحد به فيكون العلم و الكلام جوهرا قائما بنفسه ، فان كان هو الاب فيكون المسيح هو الاب ، و ان كان العلم والكلام جوهرا آخر ، فيكون الهان قائمان بأنفسهما ، فتبين فساد ما قالوه بكل وجه .

و خامسها : أن يقال : من المعلوم عند الخاصة والعامة ان المعنى الذى خص به المسيح انما هو ان خلق من غير اب ، فلما لم يكن له أب من البشر جعل النصارى الرب أباه ، و بهذا ناظَرَ نصارى[٢٦٤] نجران النبى ﷺ وقالوا : ان لم يكن هو ابن الله . فقل لنا من ابوه ؟ فعلم ان النصارى انما ادعوا فيه البُنُوّة الحقيقيّة، و ان ما ذكر من كلام علمائهم هو تاويل منهم للمذهب ، ليزيلوا به الشناعة التى لا يبلغها عاقل ، و الا فليس فى جعله ابن الله وجه يختص به معقول ، فعلم ان النصارى جعلوه ابن الله ، و ان الله أحبلَ مريم ، والله هو ابوه ، و ذلك لا يكون الا بانزال جزء منه فيها ، و هو سبحانه الصمد ، و يلزمهم ان تكون مريم صاحبة و زوجة له ، و لهذا يتألهونها كما اخبر الله عنهم . و أى معنى ذكروه فى بُنَوّة عيسى غير هذا لم يكن فيه فرق بين عيسى و بين غيره ، و لا صار فيه معنى البنوة ، بل قالوا : كما قال بعض مشركى العرب انه صاهر الجن فولدت له الملائكة ، و اذا قالوا : اتخذه ابنا على سبيل الاصطفاء ، فهذا هو المعنى الفعلى ، و سياتى ان شاء الله تعالى ابطاله .

(٢٦٤) انظر القصة فى تفسير ابن جرير الطبرى (١٦٢/٣ - ١٦٣) و اسباب النزول للواحدى (٩١/٩٠) .

و قوله تعالى[٢٦٥]﴿ وَ رُوحٌ مِنْهُ ﴾ ليس فيه ان بعض الله صار فى عيسى ، بل من لابتداء الغاية كما قال : ﴿ وَ سَخَّرَ لَكُمْ مَا فِى السَّموات وَمَافِى الأَرْضِ جَمِيعاً مِّنْهُ ﴾.[٢٦٦]

و قال ﴿ وَ مَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍفَمِنَ اللهِ ﴾.[٢٦٧]

و ما اضيف الى الله او قيل هو منه فعلى وجهين :

ان كان عينا قائمة بنفسها فهو مملوك له ، و من لابتداء الغاية كما قال تعالى : ﴿ فَأَرْسَلْنَاإِلَيْهَارُوْحَنَا ﴾.[٢٦٨]

و قال فى المسيح : ﴿ وَ رُوحٌ مِنْهُ ﴾.[٢٦٩]

و ما كان صفة لايقوم بنفسه كالعلم والكلام فهو صفة له ، كما يقال كلام الله و علم الله ، و كما قال تعالى : ﴿ قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِالْحَقِّ ﴾.[٢٧٠]

و قال : ﴿ وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعلَمُونَ أَنَّهُ مُنَزَّلٌ مِّن رَّبِّكَ بِالْحَقِّ ﴾.[٢٧١]

و الفاظ المصادر يعبر بها عن المفعول فيسمى المأمور به أمرا ، والمقدور قدرة ، و المرحوم به رحمة ، و المخلوق بالكلمة كلمة . فاذا قيل فى المسيح : انه كلمة الله ، فالمراد به انه خلق بكلمة قوله كن ، و لم يخلق على الوجه المعتاد من البشر ، والا فعيسى بشر قائم بنفسه ليس هو كلاما صفة للمتكلم يقوم به ، و كذلك اذا قيل عن المخلوق : انه امر الله . فالمراد ان الله كونه بامره ، كقوله : ﴿ أَتَىأَمْرُ اللهِ فَلاَ تَسْتَعْجِلُوهُ ﴾.[٢٧٢]

(٢٦٥) سورة النساء (١٧١/٤) .

(٢٦٦) سورة الجاثية (١٣/٤٥) .

(٢٦٧) سورة النحل (٥٣/١٦) .

(٢٦٨) سورة مريم (١٧/١٩) .

(٢٦٩) النساء (١٧١/٤) .

(٢٧٠) النحل (١٠٢/١٦) .

(٢٧١) الانعام (١١٤/٦) .

(٢٧٢) النل (١/١٦) .

و قوله : ﴿ فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ ﴾[٢٧٣].

فالرب تعالى أحد صمد ، لا يجوز ان يتبعض و يتجزء ، فيصير بعضه فى غيره ، سواء سمى ذلك روحا أو غيره ، فبطل ما يتوهمه النصارى من كونه ابنا له ، وتبين انه عبد من عباد الله .

وقد قيل : منشأ ضلال القوم انه كان فى لغة من قبلنا يعبر عن الرب بالاب ، و بالابن عن العبد المربى الذي يربه الله و يربيه ، فقال المسيح : عمدوا الناس باسم الأب و الابن ، و روح القدس ، فامرهم أن يؤمنوا بالله و يؤمنوا بعبده و رسوله المسيح ، و يؤمنوا بروح القدس جبريل ، فكانت هذه الاسماء لله ، و لرسوله الملكى ، و رسوله البشرى ، قال الله تعالى : ﴿ اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ ﴾[٢٧٤].

و قد اخبر تعالى : فى غير آية انه أيد المسيح بروح القدس ، و هو جبريل عند جمهور المفسرين ، كقوله تعالى : ﴿ وَ لَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَ قَفَّيْنَا مِن بَعْدِهِ بِالرُّسُلِ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَ أَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ ﴾[٢٧٥].

فعند جمهور المفسرين ان روح القدس هو جبريل ؛ بل هذا قول ابن عباس[٢٧٦] و قتادة و الضحاك والسدى و غيرهم ، و دليل هذا قوله تعالى : ﴿ وَ إِذَا بَدَّلْنَا آيَةً مَّكَانَ آيَةٍ ـ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ ـ قَالُوا : إِنَّمَا أَنتَ مُفْتَرٍ ، بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ . قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِالْحَقِّ لِيُثَبِّتَ الَّذِينَ آمَنُوا وَ هُدًى وَ بُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ ﴾ .

---

(٢٧٣) هود (٨٢/١١) .

(٢٧٤) الحج (٧٥/٢٢) .

(٢٧٥) البقرة (٨٧/٢) .

(٢٧٦) راجع تفسير ابن الجوزى (١١٢/١) واخرج الطبرى اقوال قتادة والسدى والضحاك . و روى عن شهر بن حوشب مرفوعا بسند ضعيف (٤٠٤/١) قال ابن كثير فى تفسيره و الدليل على ان روح القدس هو جبريل ما رواه البخارى تعليقا قال لحسان «اللهم ايّد حسان بروح القدس كما نافح عن نبيّك» . و اخرجه ابو داود والترمذى ، و فى الصحيحين ان حسان قال لابى هريرة انشدك الله اسمعت رسول الله ﷺ يقول «أجب عنى اللهم ايّده بروح القدس» ، فقال اللهم نعم و فى بعض الروايات ان رسول الله ﷺ قال لحسان . «اهجهم و جبريل معك» انتهى ملخصا من تفسير ابن كثير (١٢٢/١) .

و روى الضحاك عن ابن عباس[٢٧٧] انه الاسم الذى كان يحي به الموتى .

و عن عبد الرحمن بن زيد بن اسلم انه الانجيل[٢٧٨] .

و قال تعالى : ﴿أولئك كتب في قلوبهم الإيمان و أيدهم بروح منه﴾[٢٧٩].

و قال تعالى : ﴿ و كذالك أوحينا إليك روحاً من أمرنا ما كنت تدرى ما الكتاب و لا الإيمان و لكن جعلناه نوراً نهدى به من نشاء من عبادنا ﴾[٢٨٠].

و قال تعالى : ﴿ ينزل الملائكة بالروح من أمره على من يشاء من عباده﴾[٢٨١].

فما ينزله الله فى قلوب أنبيائه مما تحيا به قلوبهم من الايمان الخالص يسميه روحا ، و هو ما يؤيد الله به المؤمنين من عباده فكيف بالمرسلين منهم ؟ ! والمسيح عليه السلام من اولى العزم ، فهو أحق بهذا من جمهور الرسل والانبياء .

و قال تعالى : ﴿ تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض منهم من كلم الله و رفع بعضهم درجات و آتينا عيسى ابن مريم البينات و أيدناه بروح القدس ﴾[٢٨٢].

و قد ذكرالزجاج فى تأييده بروح القدس ثلاثة اوجه[٢٨٣] :

أحدها : انه أيده به لاظهار أمره و دينه .

الثانى :لدفع بنى اسرائيل عنه اذ أرادوا قتله .

الثالث : انه أيده به فى جميع أحواله .

---

(٢٧٧) تفسير ابن الجوزى (١١٣/١) . و اخرجه الطبرى (٤٠٤/١) و ذكره ابن كثير برواية ابن ابى حاتم (٤٠٥/١) و به فسره ابو عبيدة فى مجاز القرآن (٣٦٨/١) .

(٢٧٨) ابن الجوزى (١١٣/١) و اخرجه الطبرى (٤٠٤/١) و ذكره ابن كثير بروايته (٤٠٥/١) .

(٢٧٩) سورة المجادلة (٢٢/٥٨) .

(٢٨٠) سورة الشورى (٥٢/٤٢) .

(٢٨١) سورة النحل (٢/١٦) .

(٢٨٢) سورة البقرة (٢٥٣/٢) .

(٢٨٣) راجع تفسير ابن الجوزى (١١٢/١ - ١١٣) .

و مما يبين ذلك ان لفظ الابن فى لغتهم ليس مختصا بالمسيح ، بل عندهم ان الله تعالى قال فى التوراة لاسرائيل : أنت ابنى بكرى ، والمسيح كان يقول أبى و أبوكم فيجعله أبا للجميع ، و يسمى غيره ابنا له ، فعلم انه لا اختصاص للمسيح بذلك ، و لكن النصارى يقولون : هو ابنه بالطبع ، و غيره ابنه بالوضع ، فيفرقون فرقا لا دليل عليه ، ثم قولهم هو ابنه بالطبع يلزم عليه من المحالات عقلا و سمعا ما يبين بطلانه .



فصـــل

و اما مايقوله الفلاسفة القائلون بان العالم قديم صدر عن علة موجبة بذاته ، و انه صدر عنه عقل ، ثم عقل ، ثم عقل ، الى تمام عشرة عقول ، و تسعة انفس . و قد يجعلون العقل بمنزلة الذكر ، والنفس بمنزلة الانثى فهولاء قولهم افسد من قول مشركى العرب و اهل الكتاب عقلا و شرعا ، و دلالة القران على فساده ابلغ ، و ذلك من وجوه . ٥

احدها : أن هؤلاء يقولون : بقدم الافلاك ، و قدم هذه الروحانيات التى يثبتونها ، و يسمونها المجردات والمفارقات ، و الجواهر العقلية ، و أن ذلك لم يزل قديما ازليا ، و ما كان قديما ازليا امتنع ان يكون مفعولا بوجه من الوجوه ، و لايكون مفعولا الا ما كان حادثا ، و هذه قضية بديهية عند جماهير العقلاء ، و عليها الاولون و الآخرون من الفلاسفة ، و سائر الامم ، و لهذا كان جماهير الامم يقولون كل ممكن ان يوجد ، و ان لايوجد فلايكون إلا حادثا ، و انما ادعى وجود ممكن قديم معلول طائفة من المتأخرين : كابن سينا ، و من وافقه : زعموا ان الفلك قديم معلول لعلة قديمة . و اما الفلاسفة القدماء فمن كان منهم يقول بحدوث الفلك ، و هم جمهورهم ، و من كان قبل ارسطو ، فهؤلاء موافقون لاهل الملل ، و من قال بقدم الفلك كارسطو و شيعته ، فانما يثبتون له علة غائية يتشبه الفلك بها ، لا يثبتون له علة فاعلة ، و ما يثبتونه من العقول و النفوس فهو من جنس الفلك ، كل ذلك قديم واجب بنفسه ، و ان كان له علة غائية ، و هؤلاء أكفر من هؤلاء المتأخرين ، لكن الغرض ان يعرفوا ان قول هؤلاء ليس قول اولئك . ١٠ ١٥ ٢٠

الثانى : أن هؤلاء يقولون : إن الرب واحد ، والواحد لا يصدر عنه إلا واحد ، ويعنون بكونه واحدا انه ليس له صفة ثبوتية أصلا ، ولا يعقل فيه معان متعددة ؛ لأن ذلك عندهم تركيب ، ولهذا يقولون : لا يكون فاعلا وقابلا لأن جهة الفعل غير جهة القبول ، وذلك يستلزم تعدد الصفة المستلزم للتركيب ، ومع هذا يقولون : انه عاقل ومعقول وعقل ، وعاشق ومعشوق وعشق ، ولذيذ وملتذٌ ولذّة ، الى غير ذلك من المعانى المتعددة ، ويقولون : ان كل واحدة من هذه الصفات هى الصفة الاخرى ، والصفة هى الموصوف ، والعلم هو القدرة ، وهو الارادة والعلم هو العالم وهو القادر .

و من المتأخرين منهم من قال : العلم هو المعلوم ، فاذا تصور العاقل أقوالهم حق التصور تبين له ان هذا الواحد الذى اثبتوه لايتصور وجوده إلا فى الأذهان ، لافى الأعيان ، و قد بسط الكلام عليه ، و بين فساد ما يقولونه فى التوحيد و الصفات ، و بين فساد شبه التركيب من وجوه كثيرة فى مواضع غير هذا ، و اذا كان كذلك فالاصل الذى بنوا عليه قولهم : « ان الواحد لا يصدر عنه الا واحد » اصل فاسد .

الثالث : أن يقال قولهم بصدور الأشياء مع ما فيها من الكثرة والحدوث عن واحد بسيط فى غاية الفساد .

الرابع : انه لا يعلم فى العالم واحد بسيط صدر عنه شيء لا واحد ولا اثنان ، فهذه الدعوى الكلية لا يعلم ثبوتها فى شيء اصلا .

الخامس : أنهم يقولون صدر عنه واحد ، و عن ذلك الواحد عقل و نفس وفلك ، فيقال : ان كان الصادر عنه واحدًا من كل وجه ، فلا يصدر عن هذا الواحد الا واحد أيضا ، فيلزم ان يكون كل ما فى العالم إنما هو واحد عن واحد و هو مكابرة ، و ان كان فى الصادر الاول كثرة ما بوجه من الوجوه فقد صدر عن الاول ما فيه كثرة ليس واحدا من كل وجه ، فقد صدر عن الواحد ما ليس بواحد .

و لهذا اضطرب متأخروهم ، فابو البركات[284] صاحب « المعتبر » أبطل هذا

(٢٨٤) ابو البركات هبة الله بن على بن ملكا البلدى البغدادى ، المعروف باوحد الزمان .

القول ورده غاية الرد ، وابن رشد الحفيد[٢٨٥] زعم أن الفلك بما فيه صادر عن الاول . والطوسي[٢٨٦] وزير الملاحدة يقرب من هذا ؛ فجعل الأول شرطا فى الثانى ، والثانى شرطا فى الثالث ، و هم مشتركون فى الضلال و هو اثبات جواهر قائمة بنفسها أزلية مع الرب لم تزل و لاتزال معه ، لم تكن مسبوقة بعدم ، و جعل الفلك ايضا ازليا ، و هذا وحده فيه من مخالفة صريح المعقول والكفر بما جاءت به الرسل ما فيه كفاية ، فكيف اذا ضم اليه غير ذلك من اقاويلهم المخالفة للعقل و النقل ؟ !

الوجه السادس : أن الصوادر المعلومة فى العالم انما تصدر عن اثنين ، و اما واحد وحده فلا يصدر عنه شيء ، كما تقدم التنبيه عليه فى المتولدات من الاعيان و الأعراض . و كل ما يذكرونه من صدور الحرارة عن الحار ، والبرودة عن البارد، و الشعاع عن الشمس ، و غير ذلك : فانما هو صدور اعراض ، ومع هذا فلا بد لها من اصلين . و أما صدور الاعيان عن غيرها فهذا لا يعلم إلا بالولادة المعروفة ، و تلك لاتكون إلا بانفصال جزء من الاصل ، و هذا الصدور و التولد والمعلولية التى يدعونها فى العقول والنفوس والافلاك يقولون انها جواهر قائمة بانفسها صدرت عن جوهر واحد بسيط ، فهذا من ابطل قول قيل فى الصدور والتولد ، لأن فيه صدور جواهر عن جوهر واحد ، و هذا لايعقل ، و فيه صدوره عنه من غير جزء منفصل من الاصل ، و هذا لايعقل ، و هم غاية ما عندهم ان يشبهوا هذا بحدوث بعض الأعراض كالشعاع عن الشمس، و حركة الخاتم عن حركة اليد ، و هذا تمثيل باطل ، لأن تلك ليست علة فاعلة ، و انما هى شرط فقط ، والصادر هناك لم يكن عن اصل واحد ، بل عن اصلين ، والصادر عرض لا جوهر قائم بنفسه .

كان يهوديا فاسلم و كان فى خدمة المستنجد بالله ، و حظى عنده ، له مشاركة فى المنطق و الفلسفة . توفى سنة ٥٥٠هـ .
انظر الاعلام (٧٤/٨) و معجم المؤلفين (١٤٣/١٣) السير (٤١٩/٢٠) .

(٢٨٥) محمد بن احمد بن محمد بن احمد ، القرطبى ، ابو الوليد المعروف بابن رشد الحفيد .
عالم ذوالفنون ، له مشاركة فى الفقه ، والطب ، و المنطق ، و الفلسفة ، و العلوم الرياضية والالهية . صنف نحو خمسين كتابا . توفى سنة ٥٩٥هـ .
راجع الاعلام (٣١٨/٥) كحالة : معجم المؤلفين (٣١٣/٨) الوافى (١١٤/٢) السير (٣٠٧/٢١ ـ ٣١٠) .

(٢٨٦) محمد بن محمد بن الحسن ، نصير الدين .
عالم فيلسوف رياضى ، شارك فى انواع من العلوم ، كان هولاكو يكرمه و يجلّه و يطيعه فيما يشير به . توفى سنة ٦٧٢هـ .
راجع الاعلام (٣٠/٧) معجم المؤلفين (٢٠٧/١١) الوافى (١٧٩/١ ـ ١٨٣) فوات الوفيات (٢٤٦/٣ ـ ٢٥٢) .

فتبين ان ما ذكره هؤلاء من التولد العقلى الذي يدعونه من ابعد الامور عن التولد والصدور ، و هو ابعد من قول النصارى و مشركى العرب ، و هم جعلوا مفعولاته بمنزلة صفة أزلية لازمة لذاته ، و قد ذكرنا ان هذا مما يمتنع آن يقال فيه انه متولد عنه ، و حينئذ فهم فى دعواهم إلهية العقول والنفوس والكواكب اكفر من هؤلاء و هؤلاء .

و من جعل من المنتسبين الى الملل منهم هؤلاء هم المالكية ، فقوله فى جعل الملائكة متولدين عن الله شر من قول العرب و عوام النصارى ، فان اولئك اثبتوا ولادة حسية ، و كونه صمدا يبطلها ؛ لكن ما اثبتوه معقول ، و هؤلاء ادعوا تولدا عقليا باطلا من كل وجه ابطل مما ادعته النصارى من تولد الكلمة عن الذات ، فكان نفى ما ادعوه اولى من نفى ما ادعاه اولئك لان المحال الذى يعلم امتناعه فى الخارج لا يمكن تصوره موجودا فى الخارج ، فانه يمتنع وجوده فى الخارج ، بل هو يفرض فى الذهن وجوده فى الخارج ، و ذلك انما يمكن اذا كان له نظير من بعض الوجوه فيقدر له فى الوجود الخارجى ما يشبهه ، كما اذا قدر مع الله الها آخر ، و قدر ان له ولدا فانه يشبه من له ولد من العباد ، و من له شريك من العباد ، ثم يبين امتناع ذلك عليه ، فكلما كان المحال أبعد عن مشابهة الموجود كان أعظم استحالة .

والولادة التى ادعتها النصارى ثم هؤلاء الفلاسفة ، ابعد عن مشابهة الولادة المعلومة من الولادة التى ادعاها بعض مشركى العرب و عوام النصارى واليهود . فكانت هذه الولادة العقلية أشد استحالة من تلك الولادة الحسية ، اذ الولادة الحسية تعقل فى الأعيان القائمة بنفسها ، و أما الولادة العقلية فلا تعقل فى الأعيان أصلا ، و ايضا فاولئك أثبتوا ولادة من اصلين ، و هذا هو الولادة المعقولة ، و هؤلاء أثبتوا ولادة من اصل واحد ، و أولئك أثبتوا ولادة بانفصال جزء ، و هذا معقول . و هؤلاء أثبتوا ولادة بدون ذلك ، و هو لا يعقل ، و اولئك أثبتوا ولادة قاسوها على ولادة الأعيان للأعيان ، و هؤلاء أثبتوا ولادة قاسوها على تولد الأعراض عن الأعيان ، فعلم أن قول أولئك اقرب الى المعقول و هو باطل كما بين الله فساده و انكره ، فقول هؤلاء أولى بالبطلان ، و هذا كما ان الله اذا كفر من اثبت مخلوقا يتخذ شفيعا معبودا من دون الله ، فمن اثبت قديما دون الله يعبد ، و يتخذ شفيعا كان اولى بالكفر . و من انكر المعاد مع

قوله بحدوث هذا العالم فقد كفره الله ، فمن انكره مع قوله بقدم هذا العالم فهو اعظم كفرا عند الله تعالى .

و هذا كما ان النبي ﷺ لما نهى امته عن مشابهة فارس المجوس والروم النصارى فنهيه عن مشابهة اليونان المشركين والهند المشركين اعظم واعظم ، و اذا كان ما دخل فى بعض المسلمين من مشابهة اليهود والنصارى و فارس والروم مذموما عند الله و رسوله فما دخل من مشابهة اليونان و الهند والترك المشركين و غيرهم من الامم الذين هم ابعد عن الاسلام من اهل الكتاب و من فارس والروم اولى ان يكون مذموما عند الله تعالى ، و ان يكون ذمه أعظم من ذاك .

فهؤلاء الامم الذين هم أبعد عن الاسلام الذين ابتلى بهم أواخر المسلمين ، شر من الامم الذين ابتلى بهم أوائل المسلمين ؛ و ذلك لأن الاسلام كان أهله أكمل و أعظم علما و دينا ، فاذا ابتلى بمن هو أرجح من هؤلاء غلبهم المسلمون لفضل علمهم و دينهم ، و أما هؤلاء المتاخرون فالمسلمون وإن كانوا أنقص من سلفهم فانه يظهر رجحانهم على هؤلاء لعظم بعدهم عن الاسلام ، و لكن لما كثرت البدع من متأخري المسلمين استطال عليهم من استطال من هؤلاء ، و لبسوا عليهم دينهم ، و صارت شبه الفلاسفة أعظم عند هؤلاء من غيرهم ، كما صار قتال الترك الكفار اعظم من قتال من كان قبلهم عند أهل الزمان ، لأنهم إنما ابتلوا بسيوف هؤلاء ، وألسنة هؤلاء ، و كان فيهم من نقص الايمان ما اورث ضعفا فى العلم والجهاد ، و كما كان كثير من العرب فى زمن النبي ﷺ فهذا هذا .

و مما يبين هذا أن مشركى العرب واليهود والنصارى يقولون إن الله خلق السموات والارض بمشيئته و قدرته ؛ بل يقولون : إنه خلق ذلك فى ستة ايام ، و هؤلاء المتفلسفة عندهم لم يحدثها بعد ان لم تكن ، فضلا عن ان يكون ذلك فى ستة أيام ، ثم يلبسون على المسلمين فيقولون العالم محدث ، يعنون بحدوثه أنه معلول بعلة قديمة ، فهو بمنزلة قولهم متولد عن الله تعالى ، لكن هو امر لاحقيقة له و لا يعقل .

و أيضا فمشركوا العرب و أهل الكتاب يقرون بالملائكة و ان كان كثير منهم يجعلون الملائكة والشياطين نوعا واحدا ، فمن خرج منهم عن طاعة الله اسقطه و

صار شيطانا ، و ينكرون ان يكون إبليس كان أبا الجن ، و أن يكون الجن ينكحون و يولدون و يأكلون و يشربون ، فهؤلاء النصارى الذين ينكرون هذا مع كفرهم هم خير من هؤلاء المتفلسفة فان هؤلاء لا حقيقة للملائكة عندهم الا ما يثبتونه من العقول و النفوس ، أو من اعراض تقوم بالاجسام كالقوى الصالحة ، و كذلك الجن جمهور أولئك يثبتونها ، فان العرب كانت تثبت الجن ، و كذلك أكثر اهل الكتاب ، و هؤلاء لا يثبتونها ، و يجعلون الشياطين : القوى الفاسدة ، و أيضا فمشركوا العرب مع اهل الكتاب يدعون الله ، و يقولون انه يسمع دعاءهم و يجيبهم .

و هؤلاء عندهم لا يعلم شيئا من جزئيات العالم ، و لا يسمع دعاء أحد و لا يجيب أحدا ، ولا يحدث فى العالم شيئا و لاسبب للحدوث عندهم إلا حركات الفلك ، و الدعاء عندهم يؤثر ، لأنه تصرف النفس الناطقة فى هيولى العالم .

و قد ثبت فى الصحيح[٢٨٧] من حديث ابى هريرة رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال : (**يقول الله عزوجل : شتمنى ابن آدم و ما ينبغى له ذلك ، و كذبنى ابن آدم و ما ينبغى له ذلك ، فاما شتمه إياى فقوله انى اتخذت ولدا و أنا الاحد ، الصمد ، الذى لم ألد و لم أولد ، و لم يكن لى كفؤا أحد ، و أما تكذيبه اياى فقوله لن يعيدنى كما بدأنى و ليس أول الخلق بأهون على من اعادته**) .

و هذا و ان كان متناولا قطعا لكفار العرب الذين قالوا هذا و هذا ، كما قال تعالى : ﴿ **وَ يَقُولُ الإِنسَانُ أَءِذَا مَا مِتُّ لَسَوفَ أُخرَجُ حَيًّا** ﴾[٢٨٨] ــ الى قوله : ﴿ **وَ قَالُوا اتَّخَذَ الرَّحمَنُ وَلَداً ، لَقَد جِئتُم شَيئاً إِدًّا ، تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَتَفَطَّرنَ مِنهُ** ﴾[٢٨٩]

فذكر الله هذا وهذا فتناول النصوص لهؤلاء بطريق الاولى ، فان هؤلاء ينكرون الاعادة والابتداء أيضا ، فلا يقولون : ان الله ابتدأ خلق السموات والارض ، و لا كان للبشر ابتداء أولهم آدم ، و أما شتمهم إياه بقولهم اتخذ ولدا فهؤلاء عندهم

---

(٢٨٧) اخرجه البخارى فى التفسير من حديث ابى هريرة (٦/٩٥) .
و اخرجه ايضا النسائى فى الجنائز (٤/١١٢) و احمد فى مسنده (٢/٣١٧،٣٥٠،٣٩٤) .

(٢٨٨) سورة مريم (١٩/٦٦) .

(٢٨٩) الآيات (١٩/٨٨ ـ ٩٠) .

الفلك كله لازم له ، معلول له أعظم من لزوم الولد والده ، والوالد له اختيار و قدرة فى حدوث الولد منه ، و هؤلاء عندهم ليس لله مشيئة و قدرة فى لزوم الفلك له ، بل و لايمكنه ان يدفع لزومه عنه ، فالتولد الذى يثبتونه أبلغ من التولد الموجود فى الخلق ، و لا يقولون : إنه اتخذ ولدا بقدرته ، فانه لا يقدر عندهم على تغيير شيء من العالم ، بل ذلك لازم له لزوما حقيقته انه لم يفعل شيئا ؛ بل و لا هو موجود ، و ان سموه علة و معلولا فعند التحقيق لا يرجعون الى شيء محصل ، فان فى قولهم من التناقض و الفساد اعظم مما فى قول النصارى .

و قد ذكر طائفة من اهل الكلام ان قولهم بالعلة والمعلول من جنس قول غيرهم بالوالد والولد ، و ارادوا بذلك ان يجعلوهم من جنسهم فى الذم ، وهذا تقصير عظيم ، بل اولئك خير من هؤلاء ، و هؤلاء اذا حققت ما يقوله من هو اقربهم الى الاسلام ،كابن رشد الحفيد وجدت غايته ان يكون الرب شرطا فى وجود العالم لا فاعلا له ، و كذلك من سلك مسلكهم من المدعين للتحقيق من ملاحدة الصوفية ، كابن عربي[(٢٩٠)] و ابن سبعين[(٢٩١)] ، حقيقة قولهم ان هذا العالم موجود واجب ازلى ، ليس له صانع غير نفسه ، و هم يقولون : الوجود واحد ، و حقيقة قولهم انه ليس فى الوجود خالق خلق موجودا آخر ، و كلامهم فى المعاد والنبوات والتوحيد شر من كلام اليهود والنصارى و عباد الاصنام ، فان هؤلاء يجوزون عبادة كل صنم فى العالم ، لايخصون بعض الاصنام بالعبادة .

✡ ✡ ✡

---

(٢٩٠) محمد بن على بن محمد بن احمد بن عبد الله الطائى ، الحاتمى الاندلسى ، الشيخ الاكبر .
صوفى من الاندلس ، قدوة القائلين بوحدة الوجود ، و لذلك انتقده العلماء و كفره بعض ، رحل من الاندلس الى دمشق و استقر فيهاحتى توفى سنة ٦٣٨هـ .
له مؤلفات كثيرة .
ترجمته فى السير (٤٨/٢٣) فوات الوفيات (٤٣٥/٣ ـ ٤٤٠) و راجع الاعلام (٢٨١/٦) و معجم المؤلفين (٤٠/١١ ـ ٤٢) .

(٢٩١) عبد الحق بن ابراهيم بن محمد بن نصر الاشبيلى ، الشهير بابن السبعين .
صوفى من الاندلس ، شارك فى انواع من العلوم . له مصنفات ، فى كلامه كثير من المفوات . توفى سنة ٦٦٩هـ .
راجع الاعلام (٢٨٠/٣) معجم المؤلفين (٩٠/٥) فوات الوفيات (٢٥٣/٢ ـ ٢٥٥) .

فصـــل

و قد احتج بـ (سورة الاخلاص) من اهل الكلام المحدث من يقول : الرب تعالى جسم كبعض الذين وافقوا هشام بن[292] الحكم ، و محمد بن كرام ، و غيرهما ، و من ينفي ذلك و يقول ليس بجسم ممن وافق جهم بن صفوان ، و أبا الهذيل العلاف[293] ، و نحوهما ، فأولئك قالوا : هو صمد والصمد لا جوف له ، و هذا إنما يكون فى الاجسام المصمتة ، فانها لاجوف لها ، كما فى الجبال والصخور و ما يصنع من عواميد الحجارة ، و كما قيل : ان الملائكة صمد ؛ و لهذا قيل إنه لا يخرج منه شيء ، ولا يدخل فيه شيء ، و لا ياكل و لا يشرب ، و نحو ذلك ، و نفى هذا لايعقل الا عمّا هو جسم ، و قالوا : أصل ﴿ الصَّمَدُ ﴾ الاجتماع ، و منه تصميد المال ، و هذا انما يعقل فى الجسم المجتمع ، و اما النفاة فقالوا : ﴿ الصَّمَدُ ﴾ الذي لايجوز عليه التفرق والانقسام ، و كل جسم فى العالم يجوز عليه التفرق والانقسام .

---

(٢٩٢) هشام بن الحكم الشيبانى ، ابو محمد الكوفى ، شيخ الامامية فى وقته تنسب اليه الفرقة الهشامية له مؤلفات ، توفى سنة ١٩٩هـ .
راجع آراءه فى الفرق بين الفرق (٥١/٤٨) والملل والنحل للشهرستانى (٢١/٢) و انظر الاعلام (١٨٥/٨) و معجم المؤلفين (١٤٨/١٣) .

(٢٩٣) محمد بن الهذيل بن عبد الله العلاف . يعدّ رائد التاليف فى علم الكلام عند المعتزلة ، قال بفناء الجوهر يعرف اتباعه بالهذيلية . توفى سنة ٢٢٦هـ .
انظر آراءه والكلام عليهـا فى الفرق بين الفرق (١١٣/١٠٢) والملل والنحل (٦٢/١) و راجع ابن خلكان (٢٦٥/٤ ـ ٢٦٧) و تاريخ التراث (٦٦/٤ ـ ٦٨) .

و قالوا ايضا : ﴿ الأَحَدُ ﴾ الذى لا يقبل التجزى والانقسام ، و كل جسم فى العالم يجوز عليه التفرق والتجزى والانقسام . و قالوا : اذا قلتم هو جسم كان مركبا مؤلفا من الجواهر الفردة ، أو من المادة والصورة ، و ما كان مركبا مؤلفا من غيره كان مفتقرا إليه ، و هو سبحانه صمد ، والصمد الغنى عما سواه ، فالمركب لا يكون صمدا . ٥

فيقال : اما القول بانه سبحانه مركب مؤلف من اجزاء ، و انه يقبل التجزى والانقسام والانفصال فهذا باطل شرعا و عقلا ، فان هذا ينافى كونه صمدا ، كما تقدم ، و سواء أريد بذلك انه كانت الاجزاء متفرقة ، ثم اجتمعت ، او قيل : انها لم تزل مجتمعة لكن يمكن انفصال بعضها عن بعض ، كما فى بدن الانسان و غيره من الاجسام ، فان الانسان و ان كان لم يزل مجتمع الاعضاء ، ١٠ لكن يمكن ان يفرق بين بعضه من بعض ، والله سبحانه منزه عن ذلك ؛ و لهذا قدمنا ان كمال الصمدية له ، فان هذا انما يجوز على ما يجوز ان يفنى بعضه او يعدم ، و ما قبل العدم و الفناء لم يكن واجب الوجود بذاته ، و لا قديما ازليا ؛ فاِن ما وجب قدمه امتنع عدمه ، و كذلك صفاته التى لم يزل موصوفا بها و هى من لوازم ذاته ، فيمتنع ان يعدم اللازم الا مع عدم الملزوم . ١٥

و لهذا قال من قال من السلف : ﴿ الصَّمَدُ ﴾ هو الدائم ، و هو الباقى بعد فناء خلقه ، فان هذا من لوازم الصمدية ، اد لو قبل العدم لم تكن صمديته لازمة له ؛ بل جاز عدم صمديته فلا يبقى صمدا ، و لا تنتفى عنه الصمدية الا بجواز العدم عليه ، و ذلك محال . فلا يكون مستوجبا للصمدية ، الا اذا كانت لازمة له ، و ذلك ينافى عدمه ، و هو مستوجب للصمدية ، لم يصر صمدا بعد ان ٢٠ لم يكن ـــ تعالى و تقدس ـــ فان ذلك يقتضى انه كان متفرقا فجمع ، وانه مفعول محدث مصنوع ، وهذه صفة مخلوقاته . و اما الخالق القديم الذى يمتنع عليه ان يكون معدوما او مفعولا او محتاجا الى غيره بوجه من الوجوه ، فلا يجوز عليه شيء من ذلك ، فعلم انه لم يزل صمدا ، و لايزال صمدا ، فلا يجوز ان يقال : كان متفرقا فاجتمع ، و لا انه يجوز ان يتفرق ، بل و لايخرج منه شيء ٢٥ و لايدخل فيه شيء .

و هذا مما هو متفق عليه بين طوائف المسلمين ، سنيهم و بدعيهم ، و ان كان احد من الجهال او من لا يعرف قد يقول خلاف ذلك ، فمثل هؤلاء لاتنضبط خيالاتهم الفاسدة ، كما انه ليس فى طوائف المسلمين من يقول انه مولود و والد ، و ان كان هذا قد قاله بعض الكفار ، و قد قال المتفلسفة المنتسبون الى الاسلام من التولد والتعليل ما هو شر من قول اولئك . ٥

و امااثبات الصفات له ، و انه يُرى فى الآخرة ، و انه يتكلم بالقرآن و غيره ، و كلامه غير مخلوق : فهذا مذهب الصحابة والتابعين لهم باحسان ، و ائمة المسلمين و اهل السنة و الجماعة ، من جميع الطوائف . والخلاف فى ذلك مشهور مع الجهمية والمعتزلة ، و كثير من الفلاسفة و الباطنية .

١٠ و هؤلاء يقولون ان اثبات الصفات يوجب ان يكون جسما و ليس بجسم ، فلا تثبت له الصفات . قالوا : لان المعقول من الصفات اعراض قائمة بجسم ، و لاتعقل صفته الا كذلك . قالوا : والرؤية لا تعقل الا مع المعاينة ، فالمعاينة لا تكون الا اذا كان المرئى بجهة ، و لايكون بجهة الا ما كان جسما . قالوا : و لانه لو قام به كلام او غيره للزم ان يكون جسما ، فلا يكون الكلام المضاف اليه الا مخلوقا منفصلا عنه . ١٥

و هذه المعانى مما ناظروا بها الامام احمد فى « المحنة » ، و كان ممن احتج على ان القرآن مخلوق بنفى التجسيم ابو عيسى محمد بن عيسى برغوث[٢٩٤] ، تلميذ حسين النجار ، و هو من اكابر المتكلمين ، فان ابن أبى دُواد[٢٩٥] كان قد جمع للامام احمد من امكنه من متكلمي البصرة و بغداد و غيرهم ممن يقول : ان القرآن مخلوق ، و هذا القول لم يكن مختصا بالمعتزلة كما يظنه بعض الناس ؛ فان كثيرا من ٢٠

(٢٩٤) محمد بن عيسى الملقب ببرغوث ، كان على مذهب النجار فى اكثر مذاهبه و خالفه فى تسمية المكتسب فاعلا و خالفه ايضا فى المتولدات فزعم انها فعل الله تعالى بايجاب الطبع .
راجع الفرق بين الفرق (١٩٧) والملل والنحل (١/١١٤) .

(٢٩٥) احمد بن ابى دواد بن جرير بن مالك الايادى ، ابو عبد الله ،
احد القضاة المشهورين من المعتزلة ، و راس فتنة القول بخلق القرآن . و كان جهميا بغيضا . توفى سنة ٢٤٠هـ .
انظر الفهرست لابن النديم (٢١٢) وفيات ابن خلكان (١/٨١ ـ ٩١) تاريخ بغداد (٤/١٤١ ـ ١٥٦) الوافى (٧/٢٨١) لسان الميزان (١/ ١٧١) السير (١١/١٦٩ ـ ١٧١) .

اولئــك المتكلمين او اكثرهم لم يكــونــوا معتزلــة ، و بشر المريسي[٢٩٦] لم يكن من المعتزلة ، بل فيهم نجـاريـة ، و منهم برغوث . و فيهم ضراريـة . و حفص[٢٩٧] الفرد الذى ناظر الشافعي كان من الضرارية اتباع ضراربن عمرو . و فيهم مرجئـة ، و منهم بشر المريسي . و منهم جهميـة محضـة ، ومنهم معتزلـة ، و ابن ابى دؤاد لم يكن معتزليا ؛ بل كان جهميا ينفى الصفات ، والمعتزلة تنفى الصفـات ، فنفـاة الصفات الجهمية اعم من المعتزلة ، فلما احتج عليـه برغوث بـانـه لو كان يتكلم و يقوم بـه الكلام لكان جسما ، و هـذا منفى عنـه ، و احـمـد و امثـالـه من السلف كانوا يعلمون ان هذه الالفاظ التى ابتدعها المتكلمون كلفـظ الجسم و غيره ينفيهـا قوم ليتـوصلـوا بنفيهـا الى نفى مـا اثبتـه الله تعـالى و رسـولـه ، و يثبتهـا قـوم ليتوصلوا باثباتها الى اثبات ما نفاه الله و رسوله .

فالاولى : طريقـة الجهميـة : من المعتزلـة و غيرهم : ينفون الجسم حتى يتوهم المسلمون ان قصدهم التنزيه ، و مقصودهم بذلك ان الله لا يرى فى الآخرة ، و انه لم يتكلم بالقرآن و لاغيره بل خلق كلاما فى غيره ، و انه ليس له علم يقوم بـه ، و لاقدرة و لاحياة ، و لاغير ذلك من الصفات قال الامـام احـمـد فى خطبتـه فى « الرد على الجهمية والزنادقة » :☆

« الحمد لله الذي جعل فى كل زمان فترة من الرسل بقايا من اهل العلم يدعون من ضـل الى الهـدى ، و يصبرون منهم على الاذى ، يحيـون بكتـاب الله المـوتى ، و يبصرون بنوره اهل العمى ، فكم من قتيل لابليس قد احيوه ، و كم ضـال تـائـه قد هدوه ، فـما احسن اثرهم على النـاس ، و اقبح اثر النـاس عليهم ، ينفون عن كتـاب الله تحريف الغـالين ، و انتحـال المبطلين ، و تـاويل الجـاهلين ، الـذين عقدوا ألوية البدعة ، و اطلقوا عنان الفتنـة ، فهم مختلفون فى الكتـاب مخـالفون للكتاب مجتمعون على مخالفة الكتاب ، يقولون على الله و فى الله و فى كتـاب الله بغير علم ، يتكلمون بالمتشابه من الكلام ، و يخدعون جهـال النـاس بمـا يشبهون عليهم ، فنعوذ بالله من فتن المضلين » .

(٢٩٦) بشر بن غياث بن ابى كريمة عبد الرحمن المرّيسى .
فقيه معتزلى ، عارف بالفلسفة ، يرمى بالزندقة ، و هو راس الطـائفـة «المريسيـة» القـائلـة بـالارجـاء ، توفى سنة ٢١٨هـ .
راجع الاعلام (٥٥/٢) معجم المؤلفين (٤٦/٣) تاريخ التراث (٦٥/٤) الفرق بين الفرق (١٩٢) .

(٢٩٧) حفص الفرد . كان من المجبّرة و كان اولا معتزليا ثم قال بخلق الافعال و له كتب .
راجع الفهرست (٢٣٩) والفرق بين الفرق (٢٠٢) . ☆ راجع الرد على الزنادقة والجهمية ص ٦

والثانية : طريقة هشام و اتباعه يحكى عنهم : انهم اثبتوا ما قد نزه الله نفسه عنه من اتصافه بالنقائص ، و مماثلته للمخلوقات ، فاجابهم الامام احمد بطريقة الانبياء و اتباعهم و هو الاعتصام بحبل الله الذى قال الله فيه : ﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِيْنَ آمَنُوا اتَّقُوااللهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَ لاَتَمُوتُنَّ إلاَّ وَأَنْتُم مُسْلِمُونَ ، وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللهِ جَمِيعاً وَ لاَ تَفَرَّقُوا ﴾.[298]

و قال : ﴿ كَانَ النَّاسُ أُمَّةًوَاحِدَةً فَبَعَثَ اللهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَ مُنْذِرِينَ وَ أَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ وَمَااخْتَلَفَ فِيهِ إلاَّ الَّذِينَ أُوتُوهُ مِن بَعْدِمَاجَاءتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ بَغْياً بَيْنَهُمْ فَهَدَى اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ وَاللهُ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾.[299]

و قال تعالى : ﴿ الٓمٓصٓ ، كِتَابٌ أُنْزِلَ إِلَيْكَ فَلاَيَكُن فِى صَدْرِكَ حَرَجٌ مِّنْهُ لِتُنْذِرَ بِهِ وَ ذِكْرَى لِلْمُومِنِينَ ، اتَّبِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَ لا تَتَّبِعُوا مِن دُونِهِأَوْلِيَاءَقَلِيلاً مَّا تَذَكَّرُونَ ﴾.[300]

و قال تعالى : ﴿ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدىً فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَاىَ فَلاَ يَضِلُّ وَلاَيَشْقَى ، وَ مَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكاً وَ نَحْشُرُهُ يَومَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى ، قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِى أَعْمَى وَ قَدْ كُنْتُ بَصِيراً ، قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَ كَذلِكَ الْيَومَ تُنْسَى ﴾.[301]

و قال تعالى : ﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوااللهَ وَأَطِيعُواالرَّسُولَ وَ أُولِى الأَمْرِ مِنكُمْ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَىاللهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُومِنُونَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً ﴾.[302]

و قال تعالى[303]: ﴿ يَاأَيُّهَاالَّذِينَ آمَنُوا لاَتُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَىِاللهِ وَ رَسُولِهِ وَاتَّقُوااللهَ إِنَّ اللهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ، يَاأَيُّهَاالَّذِينَ آمَنُوا لاَتَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوتِ النَّبِىِّ وَ لاَ تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ

(٢٩٨) سورة ال عمران (١٠٢/٣ ـ ١٠٣) .

(٢٩٩) سورة البقرة (٢١٢/٢) .

(٣٠٠) الاعراف (١/٧ـ ٣) .

(٣٠١) طـه (١٢٣/٢٠ ـ ١٢٦) .

(٣٠٢) النساء (٥٩/٤)

(٣٠٣) الحجرات (١/٤٩ـ ٢)

لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنتُمْ لاَ تَشْعُرُونَ ﴾ .

و قال تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَ مَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَ قَدْ أُمِرُوا أَن يَكْفُرُوا بِهِ وَ يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلاَلاً بَعِيداً ، وَ إِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوا إِلَى مَا أَنزَلَ اللهُ وَ إِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُوداً ، فَكَيْفَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ بِمَاقَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ثُمَّ جَاءُوكَ يَحْلِفُونَ بِاللهِ إِن أَرَدْنَا إِلاَّ إِحْسَاناً وَ تَوْفِيقاً ، أُوْلَئِكَ الَّذِينَ يَعْلَمُ اللهُ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ وَ قُل لَّهُمْ فِي أَنفُسِهِمْ قَولاً بَلِيغاً ، وَ مَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلاَّ لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللهِ وَ لَو أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللهَ تَوَّاباً رَّحِيمًا ، فَلاَ وَ رَبِّكَ لاَ يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لاَ يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجاً مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيماً ﴾[٣٠٤].

و قوله تعالى : ﴿ وَ أَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيماً فَاتَّبِعُوهُ وَلاَتَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ﴾[٣٠٥].

و قوله تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَ كَانُوا شِيَعاً لَّسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴾[٣٠٦].

و قوله تعالى : ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفاً فِطْرَتَ اللهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لاَ تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَ لَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَيَعْلَمُونَ ، مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَاتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا الصَّلاَةَ وَلاَ تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ، مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَ كَانُوا شِيَعاً كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴾[٣٠٧].

و قوله : ﴿ شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَاوَصَّى بِهِ نُوحاً وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيكَ وَمَاوَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلاَتَتَفَرَّقُوا فِيهِ ﴾[٣٠٨].

---

(٣٠٤) النساء (٤/٦٠ - ٦٥)

(٣٠٥) الانعام (٦/١٥٣)

(٣٠٦) ايضا (٦/١٥٩)

(٣٠٧) سورة الروم (٣٠/٣٠ - ٣٢)

(٣٠٨) الشورى (٤٢/١٣)

فهذه النصوص و غيرها تبين ان الله ارسل الرسل ، و انزل الكتب لبيان الحق من الباطل ، و بيان ما اختلف فيه الناس ، و ان الواجب على الناس اتباع ما انزل اليهم من ربهم ، ورد ما تنازعوا فيه الى الكتاب والسنة ، و ان من لم يتبع ذلك كان منافقا ، و ان من اتبع الهدى الذى جاءت به الرسل فلا يضل و لا يشقى ، و من اعرض عن ذلك حشر أعمى ضالا شقيا معذبا ، و ان الذين فرقوا دينهم قد بريء الله و رسوله منهم .

فاتبع الامام احمد طريقة سلفه من ائمة السنة والجماعة المعتصمين بالكتاب والسنة ، المتبعين ما انزل (الله) اليهم من ربهم ، و ذلك ان ننظر فما وجدنا الرب قد اثبته لنفسه فى كتابه اثبتناه ، و ما وجدناه قد نفاه عن نفسه نفيناه ، و كل لفظ وجد فى الكتاب و السنة بالاثبات اثبت ذلك اللفظ ، و كل لفظ وجد منفيا نفي ذلك اللفظ ، و اما الالفاظ التى لا توجد فى الكتاب والسنة ، بل و لا فى كلام الصحابة والتابعين لهم باحسان ، و سائر ائمة المسلمين لا اثباتها و لانفيها ،وقد تنازع فيها الناس ، فهذه الالفاظ لا تثبت و لا تنفى إلا بعد الاستفسار عن معانيها ، فان وجدت معانيها مما اثبته الرب لنفسه أثبتت ، و ان وجدت مما نفاه الرب عن نفسه نفيت ، و ان وجدنا اللفظ اثبت به حق و باطل ، او نفى به حق و باطل ، او كان مجملا يراد به حق و باطل ، و صاحبه اراد به بعضها . لكنه عند الاطلاق يوهم الناس او يفهمهم ما اراد و غير ما اراد ، فهذه الالفاظ لا يطلق اثباتها و لا نفيها ، كلفظ الجوهر و الجسم و التحيز و الجهة و نحو ذلك من الالفاظ التى تدخل فى هذا المعنى ، فقل من تكلم بها نفيا او إثباتا إلا و أدخل فيها باطلا ، و إن أراد بها حقا .

والسلف والائمة كرهوا هذا الكلام المحدث ؛ لا شتماله على باطل و كذب ، و قول على الله بلا علم ، و كذلك ذكر احمد فى رده على الجهمية أنهم يفترون على الله فيما ينفونه عنه ، و يقولون عليه بغير علم ، و كل ذلك مما حرمه الله و رسوله ، و لم يكره السلف هذه لمجرد كونها اصطلاحية ، و لاكرهوا الاستدلال بدليل صحيح جاء به الرسول ، بل كرهوا الاقوال الباطلة المخالفة للكتاب والسنة ، و لايخالف الكتاب و السنة إلا ما هو باطل ، لايصح بعقل و لاسمع .

و لهذا لما سئل ابو العباس ابن سريج[(٣٠٩)] عن التوحيد فذكر توحيد المسلمين و قال : و اما توحيد أهل الباطل فهو الخوض فى الجواهر و الاعراض ، و انما بعث (الله) النبي ﷺ بانكار ذلك ، و لم يرد بذلك انه انكر هذين اللفظين ، فانهما لم يكونا قد احدثا فى زمنه ، و انما اراد إنكار ما يعنى بهما من المعانى الباطلة ، فان اول من احدثها الجهمية و المعتزلة ، و قصدهم بذلك انكار صفات الله تعالى او ان يُرى ، او ان يكون له كلام يتصف به ، و انكرت الجهمية اسماءه أيضا .

و اول من عرف عنه إنكار ذلك الجعد بن درهم[(٣١٠)] ، فضحى به خالد بن عبد الله القسري بواسط . و قال : يا ايها الناس ضحوا تقبل الله ضحاياكم ، فانى مضح بالجعد بن درهم ، انه زعم ان الله لم يتخذ ابراهيم خليلا ، و لم يكلم موسى تكليما ، تعالى الله عما يقول الجعد علوا كبيرا . ثم نزل فذبحه .

و كلام السلف و الائمة فى ذم هذا الكلام و اهله مبسوط فى غير هذا الموضع .

والمقصود هنا : ان ائمة السنة كأحمد بن حنبل و غيره كانوا اذا ذكرت لهم اهل البدع الالفاظ المجملة : كلفظ الجسم والجوهر والحيز و نحوها لم يوافقهم لا على اطلاق الاثبات ، و لا على اطلاق النفي ، و اهل البدع بالعكس ابتدعوا الفاظا و معانى ، إما فى النفي ، و اما فى الاثبات ، و جعلوها هي الاصل المعقول المحكم ، الذى يجب اعتقاده ، والبناء عليه ، ثم نظروا فى الكتاب والسنة فما امكنهم ان يتأولوه على قولهم تأولوه ، و إلا قالوا هذا من الالفاظ المتشابهة المشكلة التى لا ندرى ما اريد بها . فجعلوا بدعهم اصلا محكما ، و ما جاء به الرسول فرعا له و مشكلا : إذا لم يوافقه . و هذا أصل الجهمية و القدرية و امثالهم ، و اصل الملاحدة من الفلاسفة الباطنية ، جميع كتبهم توجد على هذا الطريق ، و معرفة الفرق بين هذا و هذا من اعظم ما يعلم به الفرق بين

---

(٣٠٩) ابو العباس احمد بن عمر بن سريج البغدادى القاضى الشافعى ،
كان يلقب بالباز الاشهب ، منه انتشر المذهب الشافعى ، و كان فهرست كتبه يشتمل على اربعمائة مصنف . توفى سنة ٣٠٦هـ .
ترجمته فى تاريخ بغداد (٢٨٧/٤ ـ ٢٩٠) وفيات ابن خلكان (٦٦/١ ـ ٦٧) الوافى (٢٦٠/٧ ـ ٢٦١) السير (٢٠١/١٤) تاريخ التراث (١٩٩/٣) .

(٣١٠) من اول القائلين بخلق القرآن ، و ضحى به خالد فى سنة ١١٨هـ .
راجع الاعلام (١٢٠/٢) لسان الميزان (١٠٥/٢) الفرق بين الفرق (٢٦٢) .

الصراط المستقيم الذي بعث الله به رسوله ، و بين السبل المخالفة له ، و كذلك الحكم في المسائل العلمية الفقهية ، و مسائل اعمال القلوب و حقائقها و غير ذلك ، كل هذه الامور قد دخل فيها الفاظ و معان محدثة ، و الفاظ و معان مشتركة .

٥ فالواجب ان يجعل ما انزله الله من الكتاب و الحكمة اصلا فى جميع هذه الامور ، ثم يرد ما تكلم فيه الناس الى ذلك ، و يبين ما فى الالفاظ المجملة من المعانى الموافقة للكتاب و السنة فتقبل ، و ما فيها من المعانى المخالفة للكتاب و السنة فترد .

و لهذا كل طائفة انكر عليها ما ابتدعت احتجت بما ابتدعته الاخرى ، كما ١٠ يوجد فى الفاظ اهل الرأى والكلام والتصوف ، و انما يجوز ان يقال فى بعض الآيات انه مشكل و متشابه اذا ظن انه يخالف غيره من الآيات المحكمة البينة ، فاذا جاءت نصوص بينة محكمة بامر ، و جاء نص آخر يظن ان ظاهره يخالف ذلك يقال فى هذا انه يرد المتشابه الى المحكم ، أما إذا نطق الكتاب او السنة بمعنى واحد لم يجز ان يجعل ما يضاد ذلك المعنى هو الاصل ، و يجعل ما فى القرآن و ١٥ السنة مشكلا متشابها فلا يقبل ما دل عليه .

نعم ، قد يشكل على كثير من الناس نصوص لا يفهمونها ، فتكون مشكلة بالنسبة اليهم لعجز فهمهم عن معانيها ، و لايجوز ان يكون فى القرآن ما يخالف صريح العقل و الحس الا و فى القرآن بيان معناه ، فان القرآن جعله الله شفاءاً لما فى الصدور ، و بيانا للناس ، فلا يجوز ان يكون بخلاف ذلك ؛ لكن قد ٢٠ تخفى آثار الرسالة فى بعض الامكنة والازمنة ، حتى لا يعرفون ما جاء به الرسول ﷺ : إما أن لايعرفوا اللفظ ، و اما ان يعرفوا اللفظ و لايعرفوا معناه ، فحينئذ يصيرون فى جاهلية بسبب عدم نور النبوة ، و من ههنا يقع الشرك ، و تفريق الدين شيعا ، كالفتن التى تحدث بالسيف ، فالفتن القولية والعملية هى من الجاهلية بسبب خفاء نور النبوة عنهم ، كما قال مالك بن ٢٥ انس : اذا قل العلم ظهر الجفاء ، و إذا قلت الآثار ظهرت الأهواء .

و لهذا شبهت الفتن بقطع الليل المظلم ، و لهذا قال احمد فى خطبته : الحمد

الله الذى جعل فى كل زمان فترة بقايا من اهل العلم . فالهدى الحاصل لاهل الارض انما هو من نور النبوة كما قال تعالى : ﴿ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِّنِّى هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَاىَ فَلاَ يَضِلُّ وَلاَيَشْقَى ﴾.(٣١١)

فاهل الهدى والفلاح : هم المتبعون للانبياء و هم المسلمون المؤمنون فى كل زمان و مكان . و اهل العذاب و الضلال : هم المكذبون للانبياء ، يبقى اهل الجاهلية الذين لم يصل اليهم ما جاءت به الانبياء . فهؤلاء في ضلالٍ وجهلٍ ٥

وشركٍ وشرٍّ، لكن الله يقول :

﴿ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِيْنَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُوْلاً ﴾(٣١٢) .

و قال : ﴿ رُسُلاً مُّبَشِّرِيْنَ وَ مُنْذِرِينَ لِئلاَّ يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ ﴾.(٣١٣) ١٠

و قال : ﴿ وَ مَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَى حَتَّى يَبْعَثَ فِى أُمِّهَا رَسُولاً يَتْلُوا عَلَيْهِمْ ءَايَاتِنَا وَمَا كُنَّا مُهْلِكِى الْقُرَى إِلاَّ وَ أَهْلُهَا ظَالِمُونَ ﴾.(٣١٤)

فهؤلاء لايهلكهم الله و يعذبهم حتى يرسل اليهم رسولا ، و قد رويت آثار متعددة(٣١٥) فى ان من لم تبلغه الرسالة فى الدنيا فانه يبعث اليه رسول يوم القيامة فى عرصات القيامة . ١٥

(٣١١) سورة طـه (١٢٣/٢٠) .

(٣١٢) سورة الاسراء (١٥/١٧) .

(٣١٣) سورة النساء (١٦٥/٤) .

(٣١٤) سورة القصص (٥٩/٢٨) .

(٣١٥) اخرج احمد عن الاسود بن سريع ان النبى ﷺ قال :
«اربعة يحتجُون يوم القيامة : رجل اصمّ لا يسمع شيئا ، و رجل احمق ، و رجل هرم ، و رجل مات فى الفترة .
فاما الاصمّ فيقول : ربّ لقد جاء الاسلام و ما اسمع شيئا .
و اما الاحمق فيقول : ربّ لقد جاء الاسلام و الصبيان يحذفوننى بالبعر ،
و اما الهرم فيقول : ربّ لقد جاء الاسلام و ما اعقل شيئا ،
و اما الذى مات فى الفترة فيقول : ربّ ما اتانى لك رسول ،
فياخذ مواثيقهم ليطيعنه ، فيرسل اليهم رسولا ان ادخلوا النار .
قال فوالذى نفس محمد بيده ! لو دخلوها لكانت عليهم بردا و سلاما ، ثم ذكر سندا آخر الى ابى هريرة و ذكر انه روى عنه مثل هذا غير انه قال :
فمن دخلها كانت عليه بردا و سلاما ، و من لم يدخلها سحب اليها ، راجع المسند (٢٤/٤) ،
وقال الهيثمى و رواه الطبرانى ، و رجال احمد فى طريق الاسود بن سريع و ابى هريرة رجال الصحيح ، و كذا رجال الطبرانى فيهما ، مجمع الزوائد (٢١٦/٧) ،

و قد زعم بعضهم ان هذا يخالف دين المسلمين ؛ فان الآخرة لا تكليف فيها ، و ليس كما قال ، انما ينقطع التكليف إذا دخلوا دار الجزاء الجنة او النار ، و الا فهم فى قبورهم ممتحنون و مفتونون ، يقال لأحدهم : من ربك ؟ و ما دينك ؟ و من نبيك ؟ و كذلك فى عرصات القيامة يقال : ليتبع كل قوم ما كانوا يعبدون ، فيتبع من كان يعبد الشمس الشمس ، و من كان يعبد القمر القمر ، و من كان يعبد الطواغيت الطواغيت ، و تبقى هذه الامة فيها منافقوها ، فيأتيهم الله فى صورة غير الصورة التى رأوه فيها اول مرة ، و يقول : انا ربكم ، فيقولون : نعوذ بالله منك ، هذا مكاننا حتى يأتينا ربنا . و فى رواية فيسألهم و يثبتهم ، و ذلك امتحان لهم ، هل يتبعون غير الرب الذى عرفوا انه الله الذى تجلى لهم اول مرة فيثبتهم الله تعالى عند هذه المحنة ، كما يثبتهم فى فتنة القبر ، فاذا لم يتبعوه لكونه اتى فى غير الصورة التى يعرفون ، اتاهم حينئذ فى الصورة التى يعرفون فيكشف عن ساق ، فاذا رأوه خروا له سجداً ، الا من كان منافقا فانه يريد السجود فلا يستطيعه ، يبقى ظهره مثل الطبق و هذا المعنى مستفيض عن النبي ﷺ فى عدة احاديث ثابتة من حديث ابى هريرة[316] ، و ابى سعيد[317] ، و قد اخرجاها فى الصحيحين .

ومن حديث جابر قد رواه مسلم[318]،ومن حديث ابن مسعود[319] ، و ابى موسى[320] .

و اخرجه البيهقى فى الاعتقاد (٩٢) بالطريقين : و هو عند ابن حبان من حديث الاسود (١٨٢٧ موارد) .

و نسبه السيوطى فى الدر المنثور (٢٥٢/٥) الى اسحاق بن راهويه ، و ابى نعيم فى المعرفة ، و ابن مردويه .

واخرجه ابن جرير فى تفسيره عن ابى هريرة موقوفا عليه (٥٤/١٥) .

(٣١٦) حديث ابى هريرة اخرجه البخارى مطولا فى الاذان (١٩٤/١) و فى الرقاق(٢٠٥/٧) فى التوحيد (١٧٩/٨) و مسلم فى الايمان (١٦٣/١ ـ ١٦٧) و الدارمى (٧٢٢) و احمد فى مسنده (٥٣٤،٢٩٣،٢٧٥/٢) .

(٣١٧) و حديث ابى سعيد اخرج البخارى مطولا فى التوحيد (١٨١/٨) و مختصرا فى التفسير (٧٢/٦) و مسلم فى الايمان (١٦٧/١) و احمد (١٧/٣) .

(٣١٨) اخرجه مسلم (١٧٧/١) و احمد (٣٤٥/٣ ـ ٣٨٣) .

(٣١٩) اخرجه الحاكم مطولا فى كتاب الاهوال (٥٩١/٤ ـ ٥٩٢) و صححه و قال الذهبى : ما انكره حديثا على جودة اسناده ! و ابو خالد شيعى منحرف .

و رواه الطبرانى من طرق و رجال احدها رجال الصحيح غير ابى خالد الدالانى و هو ثقة .

قاله الهيثمى فى مجمع الزوائد (٣٤٠/١٠ ـ ٣٤٣) .

و هو معروف من رواية احمد و غيره ، فدل ذلك على ان المحنة انما تنقطع اذا دخلوا دار الجزاء ، و اما قبل دار الجزاء امتحان و ابتلاء .

فاذا انقطع عن الناس نور النبوة و قعوا فى ظلمة الفتن ، و حدثت البدع و الفجور ، كما فى الصحيح[٣٢١] عن النبي ﷺ انه قال : (**سألت ربى ثلاثا فأعطانى اثنتين ، و منعنى الثالثة ، سألته ان لا يهلك امتى بسنة عامة فأعطانيها ، و سألته ان لا يسلط عليهم عدوا من غيرهم فيجتاحهم فأعطانيها ، و سألته ان لا يجعل بأسهم بينهم فمنعنيها**) .

والبأس مشتق من البؤس . قال الله تعالى :﴿ **قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَىٰ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ ، أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَ يُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ** ﴾[٣٢٢].

و فى الصحيحين[٣٢٣] عن النبي ﷺ « انه لما نزل قوله تعالى : ﴿ **قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَىٰ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ** ﴾ **قال اعوذ بوجهك** ﴿ **أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ** ﴾ **قال : اعوذ بوجهك.** ﴿ **أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ** ﴾ **قال هاتان اهون** » .

فدل على انه لا بد ان يلبسهم شيعا ، و يذيق بعضهم بأس بعض ، مع براءة الرسول فى هذه الحال ، و هم فيها فى جاهلية .

(قلت) ابو خالد الدالانى اسمه يزيد بن عبد الرحمن ، قال الذهبي : محدث مشهور ، قال ابو حاتم : صدوق ، و قال احمد : لا باس به ، و قال ابن حبان : فاحش الوهم ، لايجوز الاحتجاج به ، راجع الميزان (٤٣٢/٤) .

و نسبه السيوطى فى الدر المنثور (٢٥٧/٨) الى اسحاق بن راهويه ، و عبد بن حميد ، و ابن ابى الدنيا والآجرى فى الشريعة ، والدارقطنى فى الرؤية ، وابن مردويه ، و البيهقى فى البعث .

(٣٢٠) اخرجه الطبرانى فى الكبير والاوسط وقال الهيثمى : فيه فرات بن السائب و هو ضعيف ، مجمع الزوائد (٣٤٣/١٠) و ذكره السيوطى فى الدر المنثور برواية ابن عساكر (٣٥٣/٨) .

(٣٢١) اخرجه مسلم بلفظ مختلف فى حديث طويل عن ثوبان ، فى الفتن (٢٢١٥) و اخرجه ايضا ابو داود (٤٥٠/٤ ـ ٤٥٢) والترمذى (٤٧٢/٤) وابن ماجة (١٣٠٤/٢ رقم ٣٩٥٢) كلهم فى الفتن و احمد فى المسند (٢٧٨/٥ ـ ٢٨٤) .
كما اخرج مسلم عن سعد بن ابى وقاص الا ان فيه السوال عن عدم الهلاك بالغرق بدل تسليط العدو (٢٢١٦/٣) واخرجه احمد (١٧٥/١ ـ ١٨٢) .
و روى الحديث بالفاظ مختلفة و عن عدد من الصحابة راجع تفسير ابن كثير (١٤٠/٢ ـ ١٤٢) و مجمع الزوائد (٢٢١/٧ ـ ٢٢٣) والدر المنثور (٣/ ٢٨٤ ـ ٢٨٩) .

(٣٢٢) سورة الانعام (٦٥/٦) .

(٣٢٣) اخرجه البخارى فى التفسير (١٩٣/٥) و فى الاعتصام (١٥٠/٨) و فى التوحيد (١٧١/٨) عن جابر و لم اجده فى صحيح مسلم و لم ينسبه اليه ابن كثير فى تفسيره (١٣٩/٢) و ان كان ذكر طرقا متعددة لهذا الحديث ، و كذا لم ينسبه اليه السيوطى فى الدر المنثور (٢٨٣/٣) .

و لهذا قال الزهرى(٣٢٤): وقعت الفتنة و اصحاب رسول الله ﷺ متوافرون ، فاجمعوا على ان كل دم او مال او فرج اصيب بتاويل القرآن فهو هدر ، انزلوهم منزلة الجاهلية ، و قد روى مالك باسناده الثابت عن عائشة رضى الله عنها انها كانت تقول : ترك الناس العمل بهذه الآية تعنى قوله تعالى : ﴿ وَ إِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا ﴾(٣٢٥) فان المسلمين لما اقتتلوا كان الواجب الاصلاح بينهم كما امر الله تعالى ، فلما لم يعمل بذلك صارت فتنة و جاهلية .

و هكذا مسائل النزاع التى تنازع فيها الامة فى الاصول و الفروع اذا لم ترد الى الله والرسول لم يتبين فيها الحق ، بل يصير فيها المتنازعون على غير بينة من امرهم ، فان رحمهم الله أقر بعضهم بعضا ، ولم يبغ بعضهم على بعض ، كما كان الصحابة فى خلافة عمر و عثمان يتنازعون فى بعض مسائل الاجتهاد فيقر بعضهم بعضا ، و لا يعتدى عليه ، و ان لم يرحموا وقع بينهم الاختلاف المذموم ، فبغى بعضهم على بعض ، إما بالقول مثل تكفيره و تفسيقه ، و إما بالفعل مثل حبسه و ضربه و قتله . و هذه حال اهل البدع و الظلم كالخوارج و أمثالهم ، يظلمون الامة و يعتدون عليهم ، إذا نازعوهم فى بعض مسائل الدين ، و كذلك سائرأهل الأهواء ، فانهم يبتدعون بدعة ، و يكفرون من خالفهم فيها ، كما تفعل الرافضة و المعتزلة والجهمية و غيرهم ، والذين امتحنوا الناس بخلق القرآن كانوا من هؤلاء : ابتدعو بدعة و كفروا من خالفهم فيها ، و استحلوا منع حقه و عقوبته .

فالناس اذا خفي عليهم بعض ما بعث الله به الرسول ﷺ اما عادلون ، و اما ظالمون ، فالعادل فيهم الذى يعمل بما وصل إليه من آثار الأنبياء و لا يظلم

(٣٢٤) محمد بن مسلم بن عبيد الله بن عبد الله بن شهاب ، ابو بكرالقرشى الزهرى .
الامام ، العلم ، حافظ زمانه ، قال الليث بن سعد : ما رأيت عالما قط اجمع من ابن شهاب كان من كبار ائمة الحديث ، سمع و اسمع كثيرا . كان اعلم اهل المدينة ، و اثنى عليه عمر بن عبد العزيز فقال : ما ساق الحديث احد مثل الزهرى ، توفى سنة ١٢٤هـ .
انظر ترجمته فى السير (٣٢٦/٥ - ٣٥٠) وفيات ابن خلكان (١٧٧/٤ - ١٧٩) حلية الاولياء (٣٦٠/٣ - ٣٨١) تذكرة الحفاظ (١٠٨/١ - ١١٣)تاريخ التراث (٧٤/٢ - ٧٩) .
و قوله اخرجه البيهقى فى سننه بمعناه (١٧٥/٨) و ذكره البغوى والخازن فى تفسيرهما (٢٢٥/٤) .

(٣٢٥) سورة الحجرات (٥/٤٩) ،
و اخرج البيهقى فى سننه (١٧٢/٨) عن عائشة قالت ، ما رأيت مثل ما رغبت عنه هذه الامة من هذه الآية «و ان طائفتان من المومنين اقتتلوا» الاية ،

غيره ، والظالم الذي يعتدي على غيره ، وهؤلاء ظالمون مع علمهم بأنهم يظلمون ، كما قال تعالى : ﴿ وَ مَا اخْتَلَفَ الَّذِيْنَ أُوْتُوا الْكِتَابَ إِلاَّ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءهُمْ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ ﴾.[٣٢٦]

والا فلو سلكوا ماعلموه من العدل أقر بعضهم بعضا ، كالمقلدين لأئمة الفقه الذين يعرفون من انفسهم انهم عاجزون عن معرفة حكم الله ورسوله في تلك المسائل ، فجعلوا أئمتهم نوابا عن الرسول ، وقالوا هذه غاية ماقدرنا عليه ، فالعادل منهم لايظلم الآخر ، ولايعتدي عليه بقول ولافعل ، مثل ان يدعي ان قول متبوعه هو الصحيح بلا حجة يبديها ، ويذم من يخالفه من انه معذور .

وكان الذين امتحنوا احمد وغيره من هؤلاء الجاهلين فابتدعوا كلاما متشابها نفوا به الحق ، فأجابهم أحمد لما ناظروه في المحنة ، وذكروا الجسم ونحو ذلك ، وأجابهم بأنى أقول كما قال الله تعالى :﴿ قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ ، اللهُ الصَّمَدُ ﴾ وأما لفظ الجسم فلفظ مبتدع محدث ، ليس على أحد ، ان يتكلم به البتة ، والمعنى الذي يراد به مجمل ، ولم تبينوا مرادكم حتى نوافقكم على المعنى الصحيح ، فقال مادري ماتقولون ؟ لكن اقول ﴿ اللهُ أَحَدٌ ، اَللهُ الصَّمَدُ ، لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُوْلَدْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ ﴾ .

يقول : ماأدرى ماتعنون بلفظ الجسم ، فانا لا اوافقكم على إثبات لفظ ونفيه ، إذ لم يرد الكتاب والسنة باثباته ولانفيه ، ان لم ندر معناه الذي عناه المتكلم ، فان عنى في النفي والاثبات مايوافق الكتاب والسنة وافقناه ، وان عنى مايخالف الكتاب والسنة في النفي والاثبات لم نوافقه .

ولفظ « الجسم » و « الجوهر »ونحوهما لم يات في كتاب الله ولاسنة رسوله ، ولاكلام أحد ــ من الصحابة والتابعين لهم بإحسان الى يوم الدين وسائر أئمة المسلمين ــ التكلم بها في حق الله تعالى ، لابنفي ولااثبات ، ولهذا قال احمد في رسالته[٣٢٧] إلى المتوكل .

---

(٣٢٦) سورة آل عمران (١٩/٣) وجاء فى الاصل والنسختين المطبوعتين «وما تفرق» خطأ .

(٣٢٧) ذكره ابو نعيم فى الحلية (٢١٧/٩) و ذكر خبر المحنة بطوله (٢٠٤/٩ ـ ٢٢٠) .

(لااحب الكلام في شيء من ذلك إلا ما كان في كتاب الله ، او في حديث عن رسول الله ﷺ او عن الصحابة او التابعين لهم بإحسان ، وأما غير ذلك فان الكلام فيه غير محمود) وذكر ايضا فيا حكاه عن الجهمية انهم يقولون : ليس فيه كذا ولاكذا ولاكذا ، وهو كا قال ، فان لفظ الجسم له في اللغة التي نزل بها القرآن معنى ، كا قال تعالى : ﴿ وَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَ إِنْ يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ ﴾.[328]

وقال تعالى : ﴿ وَ زَادَهُ بَسْطَةً فِى الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ ﴾.[329]

قال ابن عباس :[330] كان طالوت اعلم بني اسرائيل بالحرب ، وكان يفوق الناس بمنكبيه وعنقه ورأسه ، و ﴿ الْبَسْطَةُ ﴾ السعة .

قال ابن قتيبة :[331] هو من قولك بسطت الشيء إذا كان مجموعا ففتحته و وسعته ، قال بعضهم : والمراد بتعظيم الجسم فضل القوة ، إذ العادة أن من كان أعظم جسما كان أكثر قوة ، فهذا لفظ الجسم في لغة العرب التي نزل بها القرآن .

قال الجوهري : قال ابو زيد الانصاري : الجسم :[332] الجسد ، وكذلك الجسمان والجثمان ، وقال الاصمعي : الجسم ، والجسمان ، والجسد ، والجثمان : الشخص ، وقال جماعة جسم الانسان يقال له الجسمان وقد جسم الشيء أي عظم ، فهو جسيم وجسام ، والجسام بالكسر جمع جسيم .

قال ابوعبيدة : تجسمت فلانا من بين القوم أي اخترته ، كأنك قصدت جسمه . كا تقول : تاتيته أى قصدت أتيه وشخصه ، وأنشد ابو عبيدة :

تجسمته من بينهن بمرهف

وتجسمت الارض إذا أخذت نحوها تريدها ، وتجسم من الجسم ،

---

(٣٢٨) سورة المنافقون (٦٣/٤) .

(٣٢٩) سورة البقرة (٢/٢٤٧) .

(٣٣٠) نقله ابن الجوزى فى تفسيره (١/٢٩٤) .

(٣٣١) راجع تفسير غريب القرآن (٣١٤) .

(٣٣٢) راجع اللسان «جسم» .

وقال ابن السكيت :[٣٣٣] تجسمت الامر : أي ركبت اجسمه وجسيمه ، أى معظمه ، وقال : وكذلك تجسمت الرمل والجبل أي ركبت أعظمه ، والأجسم الأضخم قال عامر بن الطفيل :[٣٣٤]

لقد علم الحي من عامر   بأن لنا الذروة الأجسما

فهذا الجسم في لغة العرب ، وعلى هذا فلا يقال للهواء جسم ، ولاللنفس الخارج من الانسان جسم ، ولالروحه المنفوخة فيه جسم ، ومعلوم ان الله سبحانه لا يماثل شيئا من ذلك ، لابدن الانسان ولاغيره فلا يوصف الله تعالى بشيء من خصائص المخلوقين ، ولا يطلق عليه من الاسماء ما يختص بصفات المخلوقين ، فلا يجوز ان يقال : هو جسم ، ولاجسد .

(و أما اهل الكلام) فالجسم عندهم أعم من هذا ، و هم مختلفون فى معناه اختلافا كثيرا عقليا و اختلافا لفظيا اصطلاحيا ، فهم يقولون كل ما يشار إليه اشارة حسية فهو جسم ، ثم اختلفوا بعد هذا فقال كثير منهم : كل ما كان كذلك فهو مركب من الجواهر الفردة ، ثم منهم من قال : الجسم أقل ما يكون جوهراً ، بشرط ان ينضم الى غيره ، و قيل بل الجوهران ، والجواهر فصاعدا ، و قيل بل اربعة فصاعدا ، و قيل بل ستة ، و قيل بل ثمانية ، و قيل بل ستة عشر ، و قيل بل اثنان و ثلاثون ، و هذا قول من يقول ان الاجسام كلها مركبة من الجواهر التى لا تنقسم .

و قال آخرون من اهل الفلسفة كل الاجسام مركبة من الهيولى ، والصورة لا من الجواهر الفردة .

و قال كثير من اهل الكلام و غير اهل الكلام :
ليست مركبة لامن هذا ولامن هذا ، و هذا قول الهشامية والكلابية

(٣٣٣) يعقوب بن اسحاق ، ابو عبد الله ،
من ائمة اللغة والادب ، قال الذهبي : ديّن خيّر ، حجّة فى العربية ، له نحو عشرين كتابا اشهرها «اصلاح المنطق» ، توفى سنة ٢٤٤هـ .
انظر ترجمته فى تاريخ بغداد (٢٧٣/١٤) و فيات ابن خلكان (٣٩٥/٦ ـ ٤٠٢) السير (١٦/١٢) .

(٣٣٤) عامر بن الطفيل العامرى ، من شعراء الجاهلية ، ادرك الاسلام و لكنه لم يسلم .
والبيت فى اللسان «جسم» .

والضرارية و غيرهم من الطوائف الكبار ، لايقولون بالجوهر الفرد و لابالمادة والصورة ، و آخرون يدعون إجماع المسلمين على إثبات الجوهر الفرد ، كما قال أبو المعالى[٣٣٥] و غيره ، اتفق المسلمون على ان الاجسام تتناهى فى تجزئها و انقسامها حتى تصير افرادا ، و مع هذا فقد شك هو فيه ، و كذلك شك فيه أبو الحسين[٣٣٦] البصرى . و ابو عبد الله الرازى . ٥

و معلوم ان هذا القول لم يقله أحد من ائمة المسلمين لا من الصحابة و لا من التابعين لهم باحسان ، و لا أحد من ائمة العلم المشهورين بين المسلمين ، و اول من قال ذلك فى الاسلام طائفة من الجهمية و المعتزلة ، و هذا من الكلام الذى ذمه السلف و عابوه ، و لكن حاكي هذا الاجماع لما لم يعرف أصول الدين إلا ما فى كتب الكلام ، و لم يجد إلا من يقول بذلك اعتقد هذا اجماع المسلمين ، و القول بالجوهر الفرد باطل ، و القول بالهيولى والصورة باطل ، و قد بسط الكلام على هذه المقالات فى مواضع أخر . ١٠

و قال آخرون : الجسم هو القائم بنفسه ، و كل قائم بنفسه جسم ، و كل جسم فهو قائم بنفسه ، و هو مشار إليه ، و اختلفوا فى الاجسام هل هي متماثلة أم لا ؟ على قولين مشهورين . ١٥

و إذا عرف ذلك فمن قال : إنه جسم ، و أراد أنه مركب من الاجزاء فهذا قوله باطل ، و كذلك ان اراد أنه يماثل غيره من المخلوقات فقد علم بالشرع و العقل ان الله ليس كمثله شيء فى شيء من صفاته ، فمن أثبت لله مثلا فى شيء من صفاته فهو مبطل ، و من قال إنه جسم بهذا المعى فهو مبطل ، و من قال إنه ليس بجسم بمعنى أنه لا يُرى فى الآخرة ، و لا يتكلم بالقرآن و غيره من ٢٠

(٣٣٥) عبد الملك بن عبد الله بن يوسف ، الجوينى ، شيخ الشافعية ، المعروف بامام الحرمين .
من فقهاء الشافعية الكبار ، له مشاركة فى الاصول و الكلام والتفسير ، قال ابو سعد السمعانى : كان ابو المعالى امام الائمة على الاطلاق ، مجمعا على امامته شرقا و غربا ، لم تر العيون مثله ، توفى سنة ٤٧٨هـ .
راجع ترجمته فى وفيات ابن خلكان (١٦٧/٣ ـ ١٧٠) طبقات السبكى (١٦٥/٥ ـ ٢٢٢) السير (٤٦٨/١٨ ـ ٤٧٧) .

(٣٣٦) محمد بن على بن الطيب ، ابو الحسين البصرى ، شيخ المعتزلة و صاحب التصانيف الكلامية كان فصيحا بليغا ، عذب العبارة ، يتوقّد ذكاء ، و له اطلاع كبير . توفى سنة ٤٣٦هـ .
راجع تاريخ بغداد(١٠٠/٣) وفيات ابن خلكان (٢٧١/٤) الوافى (١٢٥/٤) السير (٥٨٧/١٧) لسان الميزان (٢٩٨/٥) .

الكلام ، و لا يقوم به العلم و القدرة و غيرهما من الصفات ، و لا ترفع الأيدى إليه فى الدعاء ، و لا عرج بالرسول ﷺ إليه ، و لايصعد إليه الكلم الطيب و لاتعرج الملائكة والروح إليه فهذا قول باطلٌ .

و كذلك كل من نفى ما اثبته الله و رسوله ، و قال ان هذا تجسيم فنفيه باطل ، و تسمية ذلك تجسيما تلبيس منه ، فانه ان اراد ان هذا فى اللغة يسمى جسما فقد أبطل ، و ان أراد أن هذا يقتضى أن يكون جسما مركبا من الجواهر الفردة أو من المادة والصورة ، او ان هذا يقتضى ان يكون جسما ، و الاجسام متماثلة ، قيل له اكثر العقلاء يخالفونك فى تماثل الاجسام المخلوقة ، و فى أنها مركبة ، فلا يقولون : ان الهواء مثل الماء و لا أبدان الحيوان مثل الحديد والجبال ، فكيف يوافقونك على ان الرب تعالى يكون مماثلا لخلقه ، إذا أثبتوا له ما اثبت له الكتاب والسنة ؟! والله تعالى قد نفى المماثلات فى بعض المخلوقات ، و كلاهما جسم كقوله : ﴿ وَإِنْ تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ ﴾ (٣٣٧)

مع ان كلاهما بشر . فكيف يجوز ان يقال : إذا كان لرب السموات علم و قدرة انه يكون مماثلا لخلقه ؟! و الله تعالى ليس كمثله شيء لا فى ذاته و لا فى صفاته و لا فى أفعاله .

و نكتة الامر أن الجسم فى اعتقاد هذا النافى يستلزم مماثلة سائر الاجسام ، و يستلزم ان يكون مركبا من الجواهر الفردة ، او من المادة والصورة ، و أكثر العقلاء يخالفونه فى هذا التلازم ، و هذا التلازم منتف باتفاق الفريقين ، و هو المطلوب .

فاذا اتفقوا على انتفاء النقص المنفى عن الله شرعا و عقلا بقى بحثهم فى الجسم الاصطلاحى ، هل هو مستلزم لهذا المحذور ؟ و هو بحث عقلى ، كبحث الناس فى الاعراض هل تبقى او لا تبقى ؟ و هذا البحث العقلى لم يرتبط به دين المسلمين ، بل لم ينطق كتاب و لا سنة و لا اثر من السلف بلفظ الجسم فى حق الله تعالى لا نفيا و لا اثباتا ، فليس لاحد أن يبتدع اسما مجملا يحتمل معانى

(٣٣٧) سورة محمد (٤٧/٣٨) .

مختلفة ، لم ينطق به الشرع و يعلق به دين المسلمين ، و لو كان قد نطق باللغة العربية ، فكيف إذا أحدث للفظ معنى آخر ؟!

و المعنى الذى يقصده إذا كان حقا عبر عنه بالعبارة التى لا لبس فيها فاذا كان معتقده أن الاجسام متماثلة ، وان الله ليس كمثله شيء ، و هو سبحانه لا سمى له ، و لا كفو له ، و لاند له ، فهذه عبارات القرآن تؤدى هذا المعنى بلا تلبيس و لا نزاع ، و ان كان معتقده ان الاجسام غير متماثلة ، و ان كل ما يرى و تقوم به الصفات فهو جسم ، فان عليه أن يثبت ما أثبته الله و رسوله من علمه و قدرته و سائر صفاته . كقوله : ﴿ وَ لاَ يُحِيطُونَ بِشَىْءٍ مِّن عِلْمِهِ إلاَّ بِمَا شَآءَ ﴾ .[338]

و قوله :﴿ إنَّ اللهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ ﴾ .[339]

و قوله عليه السلام فى حديث الاستخارة[340] : **(اللهم إنى استخيرك بعلمك و استقدرك بقدرتك)** .

و قوله فى الحديث الآخر[341] : **(اللهم بعلمك الغيب ، و قدرتك على الخلق)** .

و يقول كما قال رسول الله ﷺ[342] : **(انكم ترون ربكم يوم القيامة عيانا كما ترون الشمس و القمر لاتضامون فى رؤيته)** .

فشبه الرؤية بالرؤية ، و ان لم يكن المرئى كالمرئى .

فهذه عبارات الكتاب والسنة عن هذا المعنى الصحيح بلا تلبيس و لا نزاع بين أهل السنة المتبعين للكتاب و السنة و أقوال الصحابة ، ثم بعد هذا من كان قد تبين

---

(٣٣٨) سورة البقرة (٢/٢٥٥) .

(٣٣٩) سورة الذاريات (٥١/٥٨) .

(٣٤٠) رواه البخارى عن جابر فى التهجد (٢/٥١) و فى الدعوات (٧/١٦٢) و فى التوحيد (٨/١٦٨) . و اخرجه البيهقى فى شعب الايمان فراجع تخريجه فيه .

(٣٤١) رواه النسائى (٣/٥٤) و احمد (٤/٢٦٤) عن عمار بن ياسر .

(٣٤٢) اخرجه البخارى فى المواقيت (١/١٣٩ ـ ١٤٣) و فى التفسير (٦/٤٨) و فى التوحيد (٨/١٧٩) و مسلم فى المساجد (١/٤٣٩) و ابو داود فى السنة (٥/٩٧) والترمذى فى صفة الجنة (٤/٦٨٧) وابن ماجة فى المقدمة (١/٦٣ رقم١٧٧) واحمد (٤/٣٦٠،٣٦٢،٣٦٥) .
من حديث جرير ، و فيه ذكر القمر فقط ، و جاء فى روايات اخرى ذكر الشمس والقمر بلفظ مختلف .

له معنى من جهة العقل انه لازم للحق لم يـدفعـه عن عقلـه ، فلازم الحق حق ، لكن ذلك المعنى لا بد ان يدل الشرع عليه فيبينه بالألفاظ الشرعية ، و ان قدر ان الشرع لم يدل عليـه لم يكن مما يجب على النـاس اعتقـاده ، و حينئـذ فليس لأحد ان يدعو الناس إليه ، و ان قدر أنه فى نفسه حق .

(و مسألة) تماثل الأجسام و تركيبهـا من الجواهر الفردة قـد اضطرب فيهـا جماهير اهل الكلام . و كثير منهم يقول بهـذا تـارة و بهـذا تـارة . و أكثر ذلـك لأجل الألفاظ المجملة والمعانى المتشـابهـة ، و قـد بسـط الكلام عليـه فى غير هـذا الموضع .

لكن المقصـود هنـا : أنـه لـو قـدر ان الانسـان تبين لـه ان الاجسـام ليست متماثلـة ، و لامركبـة لا من هـذا و لا من هـذا لم يكن لـه ان يبتـدع فى دين الاسـلام قـولـه : ان الله جسم ، و ينـاظر على المعنى الصحيـح الـذى دل عليـه الكتاب والسنة ، بل يكفيه اثبات ذلك المعنى بالعبارات الشرعية.و لو قـدر أنـه تبين له أن الاجسام متماثلـة ، و ان الجسم مركب ، لم يكن لـه أن يبتـدع القول بهذا الاسم ، و ينـاظر على معنـاه الـذى اعتقـده بعقلـه ؛ بل ذلـك المعنى المعلوم بـالشرع و العقـل يمكن اظهـاره بعبـارة لا إجمـال فيهـا و لا تلبيس ، والـذين يقولون : ان الجسم مركب من الجواهر ، يـدعى كثير منهم انـه كـذلـك فى لغـة العرب ؛ لأن العرب يقولون هذا أجسم من هـذا ، يريـدون بـه أنـه اكثر أجزاء منه . و يقولون : هذا جسيم ، أى كثير الأجزاء .

قال : والتفضيل بصيغة أفعل . انما يكون لمـا يدلُّ عليـه الاسم ، فـاذا قيل : هذا أعلم وأحلم ، كان ذلك دالا على الفضيلة فيما دل عليـه لفـظ العلم و الحلم ، فلما قـالوا : اجسم ، لمـا كان اكثر اجزاء دل على ان لفـظ الجسم عنـدهم المراد بـه المركب ، فمن قال جسم و ليس بمركب فقد خرج عن لغة العرب .

قـالـوا : و هـذه تخليطـة فى اللفـظ ، و ان كنـا لا نكفره ، اذا لم يثبت خصائص الجسم من التركيب والتأليف ، و قد نازعهم بعضهم فى قولهم هـذا أجسم من هـذا ، و قـالـوا : ليس هـذا اللفـظ من لغـة العرب ، كما يحكى عن ابى زيـد فيقال لـه : لا ريب ان العرب تقول هـذا جسيم أى عظيم الجثـة . و هـذا أجسم

من هـذا أى أعظم جثـة ، لكن كون العرب تعتقـد أن ذلـك لكثرة الأجزاء التى هي الجواهر الفردة ، انما يكون اذا كان أهل اللغـة قـاطبـة يعتقـدون ان الجسم مركب من الجواهر الفردة ، والجوهر الفرد هو شيء قد بلغ من الصغر و الحقـارة الى انه لا يتميز يمينه من يساره . و معلوم ان اكثر العقلاء من بنى آدم لا يتصور الجوهر الفرد ، والذين يتصورونه اكثرهم لا يثبتونه ، والذين أثبتوه انما يثبتونـه بطرق خفية طويلة بعيدة ، فيمتنع ان يكون اللفظ الشـائع فى اللغـة التى ينطق بها خواصها و عوامها أرادوا به هذا .

و قد علم بالاضطرار ان احدا من الصحابة والتـابعين لهم بـاحسـان لم ينطق باثبات الجوهر الفرد ، و لابما يدل على ثبوتـه عنـده ، بل و لا العرب قبلهم ، و لا سائر الأمم الباقين على الفطرة ، و لا اتباع الرسل ، فكيف يدعى عليهم انهم لم يقولوا لفظ جسم الا لما كان مركبـا مؤلفـا ؟! و لو قلت لمن شئت من العرب الشمس والقمر و السماء مركب عنـدك من اجـزاء صغـار كل منهـا لا يقبـل التجزى ، او الجبال او الهواء او الحيوان أو النبـات لم يتصور هـذا المعنى الا بعد كلفة ، ثم اذا تصوره قد يكذبـه بفطرتـه ، و يقول : كيف يمكن ان يكون شيء لا يتميز منـه جـانب عن جـانب ؟! و أكثر العقلاء من طـوائف المسلمين و غيرهم ينكرون الجـوهر الفرد ، فـالفقهـاء قـاطبـة تنكره ، و كـذلـك أهـل الحـديث والتصوف .

و لهذا كان الفقهاء متفقين على استحالة بعض الاجسام الى بعض ، كاستحالـة العـذرة رمـادا ، والخنزير ملحـا ، ثم تكلموا فى هـذه الاستحـالـة هل تطهر ام لا تطهر ؟ والقائلون بالجوهر الفرد لا تستحيل الـذوات عنـدهم . بل تلـك الجواهر التى كانت فى الاول هى بعينهـا فى الثـانى ، و إنمـا اختلف التركيب ، و لهـذا يتكلم بلفظ التركيب فى الماء و نحوه من الفقهاء المتأخرين من كان قد اخذ هـذا التركيب عن المتكلمين ، و يقـول : ان المـاء يفـارق غيره فى التركيب فقـط . و كذلك القائلون بالجوهر الفرد عندهم انا لم نشاهـد قـط احـداث الله تعـالى لشيء من الجواهر والأعيان القائمة بنفسهـا ، وان جميع مـا يخلقـه من الحيوان والنبـات والمعدن والثمار والمطر والسحاب و غير ذلك انمـا هو جمع الجواهر و تفريقهـا ، و تغيير صفاتها من حال الى حال ، لا انه يبدع شيئا من الجواهر والاجسام القائمة

بأنفسها ، و هذا القول اكثر العقلاء ينكره ، و يقول : هو مخالف للحس والعقل والشرع ، فضلا عن ان يكون الجسم فى لغة العرب مستلزما لهذا المعنى .

ثم الجسم قد يراد به الغلظ نفسه ، و هو عرض قائم بغيره ، و قد يراد به الشيء الغليظ ، و هو القائم بنفسه . فنقول : هذا الثوب له جسم : اي غلظ ، و قوله : ﴿ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِى الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ ﴾[٣٤٣] قد يحتج به على هذا ، فانه ٥
قرن الجسم بالعلم الذى هو مصدر . فنقول المعنى ﴿ زَادَهُ بَسْطَةً ﴾ فى قدره ، فجعل قدر بدنه اكبر من بدن غيره ، فيكون الجسم هو القدر نفسه لا نفس المقدر .

و كذلك قوله تعالى : ﴿ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ ﴾[٣٤٤] أى صورهم القائمة بأبدانهم ، كما تقول : أعجبنى حسنه و جماله و لونه و بهاؤه ، فقد يراد صفة ١٠
الأبدان ، و قد يراد نفس الابدان ، و هم إذا قالوا : هذا اجسم من هذا ارادوا انه اغلظ و اعظم منه ، اما كونهم يريدون بذلك ان ذلك العظم و الغلظ كان لزيادة الأجزاء فهذا مما يعلم قطعا انه لم يخطر ببال اهل اللغة ، الا من اخذ ذلك عمن اعتقده من اهل الكلام المحدث الذى احدث فى الاسلام بعد انقراض عصر الصحابة ، و اكثر التابعين ، فان هذا لم يعرف فى الاسلام من تكلم به او ١٥
بمعناه إلا فى اواخر الدولة الأموية ، لما ظهر جهم بن صفوان ، و الجعد بن درهم ، ثم ظهر فى المعتزلة .

فقد تبين أن من قال : الجسم هو المؤلف المركب ، واعتقد أن الأجسام مركبة من الجواهر الفردة فقد ادعى معنى عقليا ينازعه فيه أكثر العقلاء من بنى آدم ، و لم ينقل عن أحد من السلف انه وافقه عليه ، وأنه جعل لفظ الجسم فى ٢٠
اصطلاحه يدل على معنى لا يدل عليه اللفظ فى اللغة ، فقد غير معنى اللفظ فى اللغة ، و ادعى معنى عقليا فيه نزاع طويل ، و ليس معه من الشرع ما يوافق ما ادعاه من معنى اللفظ ، و لا ما ادعاه من المعنى العقلى ، فاللغة لا تدل على ما قال ، و الشرع لا يدل على ما قال ، و العقل لم يدل على مسميات الألفاظ ، و إنما يدل على المعنى المجرد ، و ذلك فيه نزاع طويل ، و نحن نعلم بالاضطرار ٢٥

(٣٤٣) سورة البقرة (٢٤٧/٢) .

(٣٤٤) سورة المنافقين (٤/٦٣) .

أن ذلك المعنى الذى و جب نفيه عن الله لا يحتاج نفيه إلى ما أحدثه هذا من دلالة اللفظ ، و لا ما ادعاه من المعنى العقلى ، بل الذين جعلوا هذا عمدتهم فى تنزيه الرب على نفى مسمى الجسم ، لا يمكنهم ان ينزهوه عن شيء من النقائص ألبتة ، فانهم اذا قالوا : هذا من صفات الاجسام ، فكل ما اثبتوه هو ايضا من صفات الاجسام ، مثل كونه حيا عليما قديرا ، بل كونه موجودا قائما بنفسه ، فانهم لا يعرفون هذا فى الشاهد الا جسما ، فاذا قال المنازع : انا أقول فيما نفيتموه نظير قولكم فيما أثبتموه انقطعوا .

ثمّ هؤلاء لهم فى استحقاق الرب لصفات الكمال عندهم ، هل علم بالاجماع فقط ، او علم بالعقل ايضا . فيه قولان : فمن قال إن ذلك لم يعلم بالعقل كأبى المعالى والرازى و غيرهما لم يبق معهم دليل عقلى ينزهون به الرب عن كثير من النقائص ، هذا اذا لم ينف الا ما يجب نفيه عن الله ، مثل نفيه للنقائص ، فانه يجب تنزيه الرب عنها ، و ينفى عنه مماثلة المخلوقات ، فانه كما يجب تنزيه الرب عن كل نقص و عيب يجب تنزيهه عن ان يماثله شيء من المخلوقات فى شيء من صفات الكمال الثابتة له ، و هذان النوعان يجمعان التنزيه الواجب لله ، و ﴿ قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ ﴾ دلت على النوعين .

فقوله : ﴿ أَحَدٌ ﴾ مع قوله : ﴿ لَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ ﴾ ينفى المماثلة والمشاركة ، و قوله : ﴿ ٱلصَّمَدُ ﴾ يتضمن جميع صفات الكمال ، فالنقائص جنسها منفى عن الله تعالى ، و كل ما اختص به المخلوق فهو من النقائص التى يجب تنزيه الرب عنها ، بخلاف ما يوصف به الرب . و يوصف العبد بما يليق به : مثل العلم والقدرة و الرحمة ، و نحو ذلك ، فان هذه ليست نقائص ، بل ما ثبت لله من هذه المعانى فانه يثبت لله على وجه لا يقاربه فيه أحد من المخلوقات ، فضلا عن ان يماثله فيه ، بل ما خلقه الله فى الجنة من المآكل والمشارب و الملابس ، لا يماثل ما خلقه فى الدنيا و ان اتفقا فى الاسم ، و كلاهما مخلوق .

قال ابن عباس رضى الله عنهما : (ليس فى الدنيا مما فى الجنة إلا الاسماء)[(٣٤٥)] فقد اخبر الله أن فى الجنة لبنا و خمرا و عسلا و ماء و حريرا و ذهبا و فضة ،

---

(٣٤٥) اخرجه ابن جرير الطبرى فى تفسيره (١٧٤/١) و راجع تخريجه فى شعب الايمان للبيهقى .

وتلك الحقائق ليست مثل هذه ، و كلاهما مخلوق ، فالخالق تعالى أبعد عن مماثلة المخلوقات من المخلوق الى المخلوق .

و قد سمى الله نفسه عليما ، حليما ، رؤوفا رحيما ، سميعا ، بصيرا ، عزيزا ، ملكا ، جبارا ، متكبرا ، مؤمنا ، عظيما ، كريما ، غنيا ، شكورا ، كبيرا ، حفيظا ، شهيدا ، حقا ، وكيلا ، وليا ، و سمى ايضا بعض مخلوقاته بهذه الأسماء فسمى الانسان سميعا بصيرا ، و سمى نبيه رؤوفا رحيما ، و سمى بعض عباده ملكا ، و بعضهم شكورا ، و بعضهم عظيما ، و بعضهم حليما و عليما ، و سائر ما ذكر من الاسماء مع العلم بأنه ليس المسمّى بهذه الأسماء من المخلوقين مماثلا للخالق جل جلاله فى شيء من الاشياء .

و كذلك النزاع فى لفظ التحيز و الجهة و نحو ذلك ، فمن الناس من يقول : هو متحيز ، و هو فى جهة ، و منهم من يقول : ليس بمتحيز ، و ليس فى جهة ، و منهم من يقول : هو فى جهة و ليس بمتحيز ، و لفظ المتحيز يتناول الجسم ، والجوهر الفرد ، و لفظ الجوهر قد يراد به المتحيز ، و قد يراد به الجوهر الفرد . و من الفلاسفة من يدعى إثبات جواهر قائمة بأنفسها غير متحيزة . و متأخروا أهل الكلام كالشهرستانى[(٣٤٦)] والرازى و الآمدى و نحوهم يقولون : ليس فى العقل ما يحيل ذلك ، و لهذا كان من سلك سبيل هؤلاء — و هو إنما يثبت حدوث العالم بحدوث الأجسام — يقول بتقدير و جود جواهر عقلية ، فليس فى هذا الدليل ما يدل على حدوثها ، و لهذا صار طائفة ممن خلط الكلام بالفلسفة الى قدم الجواهر العقلية ، و حدوث الاجسام ، و ان السبب الموجب لحدوثها هو حدوث تصور من تصورات النفس ، و بعض أعيان المصنفين كان يقول بهذا .

و كذلك الارموى[(٣٤٧)] صاحب «اللباب» الذى أجاب عن شبهة الفلاسفة على دوام الفاعلية المتضمنة أنه لا بد للحدوث من سبب ، فأجاب بالجواب الباهر

(٣٤٦) ابو الفتح محمد بن عبد الكريم بن احمد الشهرستانى ، صاحب كتاب «الملل والنحل» و شيخ اهل الكلام والحكمة ، كان كثير المحفوظ ، قوىّ الفهم ، مليح الوعظ ، توفى سنة ٥٤٨هـ .
انظر وفيات ابن خلكان (٢٧٣/٤ ـ ٢٧٥) الوافى (٢٧٨/٣ ـ ٢٧٩) السير (٢٨٦/٢٠ ـ ٢٨٨) معجم المؤلفين (١٨٧/١٠) .

(٣٤٧) محمد بن ابى بكر بن حامد بن احمد التنوخى ، سراج الدين .
فقيه شافعى ، له اهتمام بالاصول و علم الكلام والفلسفة ، توفى سنة ٦٨٢هـ .
و كتابه «اللباب» تلخيص لكتاب «الاربعين فى اصول الدين» للفخر الرازى .
انظر كشف الظنون لحاجى خليفة (٦١/١) و معجم المؤلفين (١٥٥/١٢) .

الذى أخذه من كلام الرازى فى «المطالب العالية» فانه أجاب به و هوفى «المطالب العالية» يخلط كلام الفلاسفة بكلام المتكلمين ، و هو فى مسألة الحدوث و القدم حائر ، و هذا الجواب من أفسد الأجوبة .

فإنه يقال : ما الموجب لحدوث تلك التصورات دائما ، ثم ان النفس عندهم لا بد ان تكون متصلة بالجسم ، فيمتنع وجود نفس بدون جسم . ٥

و أيضا فالذى علم بالاضطرار من دين الرسل ان كل ما سوى الله مخلوق محدث كائن بعد أن لم يكن .

و أيضا فما تثبته الفلاسفة من الجواهر العقلية إنما يوجد فى الذهن لا فى الخارج ، و أما أكثر المتكلمين فقالوا انتفاء هذه معلوم بضرورة العقل . و قد بسط الكلام على هذا فى غير هذا الموضع ، و بيّن أن ما تدعى الفلاسفة اثباته ١٠ من الجواهر العقلية التى هى العقل والنفس والمادة والصورة فلا حقيقة لها فى الخارج ، و إنما هى أمور معقولة فى الذهن يجردها العقل من الامور المعينة كما يجرد العقل الكليات المشتركة بين الاصناف :كالحيوانية الكلية ، والانسانية الكلية ، والكليات انما تكون كليات فى الاذهان لا فى الاعيان .

١٥ و من هؤلاءمن يظن أنها تكون فى الخارج كليات ، و ان فى الخارج ماهيات كلية مقارنة للاعيان غير الموجودات المعينة ، و كذلك منهم من يثبت كليات مجردة عن الاعيان يسمونها «المثل الافلاطونية» ، و منهم من يثبت دهرا مجردا عن المتحرك و الحركة ، و يثبت خلاءا مجردا ليس هو متحيزا و لا قائما بمتحيز . و يثبت هيولى مجردة عن جميع الصور ، والهيولى فى لغتهم بمعنى المحل . يقال ٢٠ الفضة هيولى الخاتم ، و الدرهم؛و الخشب هيولىٰ الكرسى . أى هذا المحل الذى تصنع فيه هذه الصورة ، وهذه الصورة الصناعية عرض من الاعراض ، و يدعون أن للجسم هيولى محل الصورة الجسمية غير نفس الجسم القائم بنفسه ، و هذا غلط . و انما هذا يقدر فى النفس كما يقدر امتداد مجرد عن كل ممتد ، و عدد مجرد عن كل معدود ، و مقدار مجرد عن كل مقدر ، و هذه كلها أمور مقدرة فى ٢٥ الأذهان ، لا وجود لها فى الاعيان . و قد اعترف بذلك من عادته نصر الفلاسفة من اهل النظر ، كما قد بسط هذا فى غير هذا الموضع .

فالجواهر العقلية التى يثبتها هؤلاء الفلاسفة يعلم بصريح العقل بعد التصور التام انتفاءها فى الخارج . و أما الملائكة الذين أخبر الله عنهم فهذه لا يعرفها هؤلاء الفلاسفة اتباع ارسطو ، و لا يذكرونها بنفى و لا اثبات ، كما لا يعرفون النبوات ، و لا يتكلمون عليها بنفى و لا اثبات ، انما تكلم فى ذلك متأخروم كابن سينا[(٣٤٨)] و أمثاله ، الذين ارادوا ان يجمعوا بين النبوات و بين الفلسفة ، فلبسوا و دلسوا .

و كذلك «العلة الاولى» التى يثبتونها لهذا العالم انما أثبتوا علة غائية يتحرك الفلك للتشبه بها ، و تحريكها للفلك من جنس تحريك الامام المقتدى به للمؤتم المقتدى ، اذا كان يحب ان يتشبه بامامه و يقتدى بامامه ، و لفظ «الاله» فى لغتهم يراد به المتبوع الامام الذى يتشبه به ، فالفلك عندهم يتحرك للتشبه بالاله ، و لهذا جعلوا «الفلسفة العليا» و «الحكمة الاولى» انما هى التشبه بالاله على قدر الطاقة ، و كلام أرسطو فى علم ما بعد الطبيعة فى «مقالة اللام» التى هى منتهى فلسفته و فى غيرها كله يدور على هذا ، و تارة يشبه تحريكه للفلك بتحريك المعشوق للعاشق، لكن التحريك هنا قد يكون لمحبة العاشق ذات المعشوق ، او لغرض يناله منه ، و حركة الفلك عندهم ليست كذلك ، بل يتحرك ليتشبه بالعلة الاولى ، فهو يحبها أى يحب التشبه بها لا يحب ان يعبدها ، و لايحب شيئا يحصل منها ، و يشبه ذلك ارسطو بحركة النواميس لإتباعها أى اتباع الناموس قائمون بما فى الناموس ، و يقتدون به ، والناموس عندهم هى السياسية الكلية للمدائن التى و ضعها لهم ذوو الرائ والعقل ، لمصلحة دنياهم ؛ لئلا يتظالموا و لا تفسد دنياهم .

و من عرف النبوات منهم يظن أن شرائع الأنبياء من جنس نواميسهم ، و أن المقصود بها مصلحة الدنيا ؛ بوضع قانون عدلى ؛ و لهذا اوجب ابن سينا و امثاله النبوة ، و جعلوا النبوة لا بد منها لأجل و ضع هذا الناموس ، و لما كانت الحكمة العمليّة عندهم هى الخلقية ، و المنزلية ، والمدنية : جعلوا ما جاءت به الرسل من العبادات و الشرائع والاحكام هى من جنس الحكمة الخلقية ،

(٣٤٨) ابو على ، الحسين بن عبد الله بن الحسن بن على بن سينا ، و يلقب بالشيخ الرئيس العلامة الشهير ، صاحب التصانيف فى الطب والفلسفة والمنطق . توفى سنة ٤٢٨هـ .
انظر ترجمته وفيات ابن خلكان (١٥٧/٢ ـ ١٦٢) الوافى (٣٩١/١٢ ـ ٤١٢) عيون الانباء فى طبقات الاطباء (٤٣٧ ـ ٤٥٩) السير (٥٣١/١٧ ـ ٥٣٦) .

والمنزلية ، والمدنية . فان القوم لا يعرفون الله ، بل هم أبعد عن معرفته من كفار اليهود والنصارى بكثير . و أرسطو المعلم الاول من اجهل الناس برب العالمين الى الغاية . لكن لهم معرفة جيدة بالامور الطبيعة ، و هذا بحر علمهم ، و له تفرغوا ، و فيه ضيعوا زمانهم ، و أما معرفة الله تعالى فحظهم منها مبخوس جدا ، و أما ملائكته و انبياؤه و كتبه و رسله و المعاد . فلا يعرفون ذلك ألبتة ، و لم يتكلموا فيه لا بنفى و لااثبات ، و انما تكلم فى ذلك متأخروهم الداخلون فى الملل .

و أما قدماء اليونان فكانوا مشركين من اعظم الناس شركا و سحرا ، يعبدون الكواكب و الأصنام ، و لهذا عظمت عناياتهم بعلم الهيئة والكواكب لأجل عبادتها . و كانوا يبنون لها الهياكل ، و كان آخر ملوكهم (بطليموس) صاحب «المجسطى» و لما دخلت الروم فى النصرانية فجاء دين المسيح صلوات الله عليه و سلامه ابطل ما كانوا عليه من الشرك .

و لهذا بدل من بدل دين المسيح فوضع دينا مركبا من دين الموحدين و دين المشركين ، فان اولئك كانوا يعبدون الشمس و القمر والكواكب ، و يصلون لها و يسجدون ، فجاء قسطنطين ملك النصارى و من اتبعه فابتدعوا الصلاة الى المشرق ، و جعلوا السجود الى الشمس بدلا عن السجود لها ، و كان اولئك يعبدون الاصنام المجسدة التى لها ظل ، فجاءت النصارى و صورت تماثيل القداديس فى الكنائس ، و جعلوا الصور المرقومة فى الحيطان والسقوف بدل الصور المجسدة القائمة بأنفسها التى لها ظل .

و ارسطو كان وزير الاسكندر بن فيلبس المقدونى — نسبه الى مقدونية — و هي جزيرة هؤلاء الفلاسفة اليونانين ، الذين يسمون المشائين ، و هى اليوم خراب أو غمرها الماء ، و هو الذي يؤرخ له النصارى و اليهود التاريخ الرومى ، و كان قبل المسيح بنحو ثلاثمائة سنة ، فيظن من يعظم هؤلاء الفلاسفة انه كان وزيراً لذى القرنين المذكور فى القرآن ، ليعظم بذلك قدره ، و هذا جهل ؛ فان ذا القرنين كان قبل هذا بمدة طويلة جدا ، و ذوالقرنين بنى سد يأجوج و مأجوج ، وهذا المقدونى ذهب الى بلاد فارس ولم يصل الى بلاد الصين ، فضلا عن السد .

والملائكة التى اخبر الله ورسوله بها لا يعلم عددهم إلا الله تعالى . ليسوا عشرة ولا تسعة، وهم عبادالله أحياء ناطقون،ينزلون الى الارض،و يصعدون الى السماء ، و لا يفعلون الا باذن ربهم ، كما اخبر الله عنهم بقوله : ﴿ وَقَالُوا اتَّخَذَالرَّحْمنُ وَلَداً سُبْحَانَهُ بَلْ عِبَادٌ مُكْرَمُونَ ، لاَ يَسْبِقُوْنَهُ بِالْقَولِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ ، يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَ مَا خَلْفَهُمْ وَ لاَ يَشْفَعُونَ إلاَّ لِمَنِ ارْتَضَى وَهُمْ مِّن خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ ﴾[٣٤٩].

و قال تعالى : ﴿ وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِي السَّموَاتِ لاَ تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا إلاَّ مِن بَعْدِ أَن يَأْذَنَ اللّهُ لِمَن يَشَاءُ وَ يَرْضَى ﴾[٣٥٠] و أمثال هذه النصوص .

و هؤلاء يدعون أن العقول قديمة أزلية ، و أن العقل الفعال هو رب كل ما تحت هذا الفلك ، والعقل الاول هو رب السموات والارض و ما بينهما ، و الملاحدة الذين دخلوا معهم من اتباع بنى عبيد : كأصحاب رسائل اخوان[٣٥١] الصفا ، و غيرهم ، و كملاحدة المتصوفة : مثل ابن عربى ، و ابن سبعين ، و غيرهما يحتجون لمثل ذلك بالحديث الموضوع[٣٥٢] : «أول ما خلق الله العقل» . و فى كلام أبى حامد الغزالى[٣٥٣] فى «الكتب المضنون بها على غير أهلها» و غير ذلك من معانى هؤلاء قطعة كبيرة ، و يعبر عن مذاهبهم بلفظ الملك والملكوت و الجبروت ، و مراده بذلك الجسم و النفس و العقل ، فيأخذ هؤلاء العبارات الاسلامية ، و يودعونها معانى هؤلاء ، و تلك العبارات مقبولة عند المسلمين ، فاذا سمعوها قبلوها ثم اذا عرفوا المعانى التى قصدها هؤلاء ضل بها من لم يعرف حقيقة دين الاسلام ، و أن هذه معانى هؤلاء الملاحدة ليست هى المعانى التى

---

(٣٤٩) سورة الانبياء (٢٦/٢١ ـ ٢٨) .

(٣٥٠) سورة النجم (٢٦/٥٣) .

(٣٥١) اخوان الصفا : رجال لم يعرف اسماؤهم بالتحديد تجمعوا تحت هذا الاسم ، و كوّنوا جمعية سرّية ذات طابع سياسى دينى ، و كان اعضاؤها من الفرقة الاسماعلية الباطنية .

(٣٥٢) راجع الفوائد المجموعة للشوكانى (ص ٤٧٨) .

(٣٥٣) محمد بن محمد بن محمد احمد ، الطوسى ، ابو حامد ، حجة الاسلام .
صاحب التصانيف فى الفقه ، و الاصول ، والتصوف والحكمة ، و قد انكر العلماء عليه اشياء ، اما كتاب «المضنون به على غير اهله» فقال الذهبى : معاذ الله ان يكون له ، توفى سنة ٥٠٥هـ .
راجع وفيات ابن خلكان (٢١٦/٤ ـ ٢١٩) الوافى (٢٧٤/١ ـ ٢٧٧) السير (٣٢٢/١٩ ـ ٣٤٦) و معجم المؤلفين (٢٦٦/١١ ـ ٢٦٩) .

عناها محمد رسول الله ـ ﷺ ـ و اخوانه المرسلون : مثل موسى و عيسى ـ صلوات الله و سلامه عليهم أجمعين .

و لهذا ضلّ كثير من المتأخرين بسبب هذا الالتباس ، و عدم المعرفة بحقيقة ما جاء به الرسول ، و ما يقوله هؤلاء حتى يضل بهم خلق من اهل العلم والعبادة و التصوف ، و من ليس له غرض فى مخالفة محمد ﷺ ، بل يحب اتباعه مطلقا ، و لو عرف ان هذا مخالف لما جاء به لم يقبله ، لكن لعدم كمال علمه بمعانى ما أخبر به الرسول و مقاصد هؤلاء ، يقبل هذا . لا سيما اذا كان المتكلم به ممن له نصيب وافر فى العلم والكلام و التصوف والزهد والفقه والعبادة . و رأى الطالب أن هذا مرتبته فوق مرتبة الفقهاء الذين انما يعرفون الشرع الظاهر ، و فوق مرتبة المحدث ، الذي غايته ان ينقل ألفاظا لا يعلم معانيها ، و كذلك المقرى والمفسر ، و رأى من يعظمه من اهل الكلام ، اما موافق لهم و إما خائف منهم ، و رأى بحوث المتكلمين معهم فى مواضع كثيرة لم يأتوا بتحقيق يبين فساد قولهم ، بل تارة يوافقونهم على أصول لهم تكون فاسدة ، و تارة يخالفونهم فى أمر قالته الفلاسفة و يكون حقا ، مثل من يرى كثيرا من المتكلمين يخالفهم فى امور طبيعية و رياضية ظانا أنه ينصر الشرع ، و يكون الشرع موافقا لما علم بالعقل . مثل استدارة الافلاك ، فانه لم يعلم بين السلف خلاف فى أنها مستديرة و الآثار بذلك معروفة ، و الكتاب و السنة قد دلا على ذلك ، و كذلك استحالة الأجسام بعضها الى بعض ، هو مما اتفق عليه الفقهاء ، كما قال هؤلاء . الى امور أخر .

لكن كثير من المتكلمين او اكثرهم لا خبرة لهم بما دل عليه الكتاب والسنة و آثار الصحابة والتابعين لهم باحسان ؛ بل ينصر مقالات يظنها دين المسلمين ، بل اجماع المسلمين ، و لا يكون قد قالها أحد من السلف : بل الثابت عن السلف مخالف لها ، فلما وقع بين المتكلمين تقصير و جهل كثير بحقائق العلوم الشرعية ، و هم فى العقليات تارة يوافقون الفلاسفة على باطلهم ، و تارة يخالفونهم فى حقهم ، صارت المناظرات بينهم دولا . و ان كان المتكلمون أصح مطلقا فى العقليات الالهية والكلية ، كما انهم أقرب الى الشرعيات من الفلاسفة ؛ فان الفلاسفة كلامهم فى الالهيات والكليات العقلية كلام قاصر جدا ، و فيه تخليط

كثير ، و انما يتكلمون جيدا فى الامور الحسية الطبيعة ، و فى كلياتها ، فكلامهم فيها فى الغالب جيد .

و أما الغيب الذى تخبر به الأنبياء ، و الكليات العقلية التى تعم الموجودات كلها ، و تقسيم الموجودات كلها قسمة صحيحة فلا يعرفونها ألبتة ؛ فان هذا لا يكون الا ممن أحاط بأنواع الموجودات ، و هم لا يعرفون الا الحسيات و بعض لوازمها ، و هذا معرفة بقليل من الموجودات جدا ، فان مالا يشهده الآدميون من الموجودات أعظم قدرا و صفة مما يشهدونه بكثير . ٥

و لهذا كان هؤلاء الذين عرفوا ما عرفته الفلاسفة اذا سمعوا أخبار الأنبياء بالملائكة و العرش والكرسي والجنة والنار ، و هم يظنون أن لا موجود الا ما علموه هم والفلاسفة : يصيرون حائرين متأولين لكلام الأنبياء على ما عرفوه ، و ان كان هذا لادليل عليه ، و ليس لهم بهذا النفى علم ؛فان عدم العلم ليس علما بالعدم لكن نفيهم هذا كنفى الطبيب للجن ؛ لأنه ليس فى صناعة الطب ما يدل على ثبوت الجن ، و الا فليس فى علم الطب ما ينفى وجود الجن ، و هكذا تجد من عرف نوعا من العلم و امتاز به على العامة الذين لا يعرفونه فيبقى بجهله نافيا لما لم يعلمه ، و بنوا آدم ضلالهم فيما جحدوه ونفوه بغير علم اكثر من ضلالهم فيما أثبتوه و صدقوا به . قال تعالى : ﴿ بَلْ كَذَّبُوا بِمَالَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ وَ لَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ ﴾ و هذا لان الغالب على الآدميين صحة الحس و العقل ، فاذا أثبتوا شيئا و صدقوا به كان حقا . ١٠ ١٥

و لهذا كان التواتر مقبولا من جميع أجناس بنى آدم ؛ لأنهم يخبرون عما شاهدوه و سمعوه ، و هذا أمر لا يشترك الخلق العظيم فى الغلط فيه ، و لافى تعمد الكذب فيه ، فاذا علم انهم لم يتواطؤا عليه ، و لم يأخذه بعضهم عن بعض ، كما تؤخذ المذاهب والآراء التى يتلقاها المتأخر عن المتقدم ، و قد علم ان هذا مما لا يغلط فيه عادة علم قطعا صدقهم ، فان المخبر اما أن يتعمد الكذب ، و اما أن يغلط ، و كلاهما مأمون فى المتواترات ، بخلاف ما نفوه و كذبوا به ، فان غالبهم او كثيرا منهم ينفون ما لا يعلمون، و يكذبون بما لم يحيطوا بعلمه . ٢٠ ٢٥

فصار هؤلاء الذين ظنوا الموجودات ما عرفه هؤلاء المتفلسفة ، اذا سمعوه ما

أخبرت بـه الأنبيـاء من العرش و الكرسى قـالوا : العرش هو الفلـك التـاسع ، و الكرسى هو الثامن ، و قد تكلمنا على ذلك فى «مسألـة الاحـاطـة» و بينـا جهل من قـال هـذا عقلا و شرعـا ، و اذا سمعهم يـذكرون المـلائكـة ظن انهم العقـول والنفـوس التى يثبتهـا المتفلسفـة ، و القـوى التى فى الاجسـام ، و كـذلـك الجن والشياطين يظن أنها اعراض قائمة بالنفوس ، حيث كان هذا مبلغـه من العلم ، و كذلك يظن ما ذكره ابن سينا و أمثالـه من ان الغرائب فى هـذا العـالم سببهـا قوة فلكية ، او طبيعيـة أو نفسـانيـة و يجعل معجزات الأنبيـاء من بـاب القوى النفسـانية ، و هى من جنس السحر ، لكن السـاحر قصده الشر ، والنبى قصـده الخير ، و هذا كله من الجهل بالامور الكلية المحيطة بالموجودات و أنواعها ، و من الجهل بما جاء بـه الرسول ، فلا يعرفون من العلوم الكليـة و لاالعلوم الالهيـة الا ما يعرفه الفلاسفة المتقدمون ، و زيادات تلقوها عن بعض أهل الكلام ، او عن أهل الملة .

فلهذا صار كلام المتأخرين كابن سينا و أمثاله فى الالهيات و الكليـات أجود من كلام سلفه ، و لهذا قربت فلسفة اليونان الى أهل الالحـاد المبتـدعـة من أهل الملل ، لما فيها من شوب الملة ، و لهذا دخل فيها بنو عبيـد الملاحـدة ، فـأخـذوا عن هـؤلاء الفـلاسفـة الصـابئـة المشركين العقـل والنفس ، و عن المجـوس النـور والظلمة ، و سموه هم السابق والتالى ، و كذلك الملاحدة المنتسبون الى التصوف و التـألـه : كابن سبعين ، و أمثـالـه سلكـوا مسلكا جمعـوا فيــه بـزعمهم بين الشرع والفلسفة ، و هم ملاحدة ليسوا من الثنتين و السبعين فرقة ، و قـد بسـط الكلام على هؤلاء و هؤلاء فى غير هذا الموضع .

و انما ذكروا هنـا لأن أهل الكلام المحدث صـاروا ـــ لعـدم علمهم بمـا علمـه السلف و ائمة السنة من الكتاب والسنة و آثـار الصحـابـة ، و لمـا وقعوا فيـه من الكلاميات الباطلة ـــ يدخل بسببهم هؤلاء الفلاسفة فى الاسلام امورا بـاطلـة ، و يحصل بهم من الضلال و الغي مالا يتسع هذا الموضع لذكره .

و لما أحدثت الجهمية محنتهم ، و دعوا النـاس اليهـا و ضرب أحمـد بن حنبل فى سنة عشرين و مائتين ، كان مبدأ حـدوث القرامطـة الملاحـدة البـاطنيـة من ذلك الزمـان ، فصـارت البـدع بـاب الالحـاد ، كما ان المعـاصى بريـد الكفر ، و لبسط هذا موضع آخر .

و المقصود هنا : الكلام على لفظ التحيز و الجهة ، و هؤلاء المتكلمون المتفلسفة صار بينهم نزاع فى الملائكة ، هل هي متحيزة أم لا ؟ فمن مال الى الفلسفة ورأى ان الملائكة هى العقول والنفوس التى يثبتها الفلاسفة ، و ان تلك ليست متحيزة ، قال: ان الملائكة ليست متحيزة ، لاسيا و طائفة من الفلاسفة لم تجعل عددها عشرة عقول و تسعة نفوس ، كما هو المشهور عن المشائين ، بل قال : لا دليل على نفى الزيادة ، و رأى النبوات قد أخبرت بكثرة الملائكة ، فأراد أن يثبت كثرتهم بطريقة فلسفية ، كما فعل ذلك ابو البركات صاحب «المعتبر» والرازى فى «المطالب العالية» و غيرهما .

و أما المتكلمون فانهم يقولون : ان كل ممكن او كل محدث ، أو كل مخلوق ، فهو إما متحيز ، و اما قائم بمتحيز ، و كثير منهم يقول : كل موجود اما متحيز ، و اما قائم بمتحيز ، و يقولون : لا يعقل موجود الا كذلك ، كما قاله طوائف من اهل الكلام و النظر ، ثم المتفلسفة كابن سينا و اتباعه ، والشهرستانى والرازى و غيرهم ، لما ارادوا اثبات موجود ليس كذلك ، كان اكبر عمدتهم اثبات الكليات كالانسانية المشتركة ، و الحيوانية المشتركة ، و اذا كانت هذه لا تكون كليات الا فى الذهن ، فلم ينازعهم الناس فى ذلك ، و انما نازعوهم فى اثبات موجود خارج الذهن قائم بنفسه ، لايمكن الا حساس به بحال ، بل لا يكون الاَّ معقولاً .

و قالوا لهم : المعقول ما كان فى العقل ، و اما ما كان موجودا قائما بنفسه فلا بد ان يمكن الاحساس به ، و ان لم نحس نحن به فى الدنيا ، كما لا نحس بالجن والملائكة و غير ذلك ، فلا بد ان يحس به غيرنا كالملائكة والجن ، و ان يحس به بعد الموت ، او فى الدار الآخرة، اويحس به بعض الناس دون بعض فى الدنيا ، كالانبياء الذين رأوا الملائكة ، و سمعوا كلامهم .

و هذه الطريقة ـــ و هو ان كل قائم بنفسه يمكن رؤيته ـــ هى التى سلكها ائمة النظار : كابن كلاب و غيره ، و سلكها ابن الزاغونى[٣٥٤] و غيره ، و اما من

(٣٥٤) ابو الحسن على بن عبيد الله بن نصر ، ابن الزاغونى . شيخ الحنابلة ، ذوالفنون ، صاحب التصانيف ، كان من بحور العلم . قال الذهبى : رأيت لابى الحسن مقالة فى الحرف والصوت عليه فيها مآخذ والله يغفر له ، فياليته سكت !
انظر ترجمته فى السير (١٩/٦٠٥ ـ ٦٠٧) الوافى (١٢/١١٢) شذرات (٤/٨٠ ـ ٨١) .

قال : ان كل موجود يجوز رؤيته أو يجوز ان يحس بسائر الحواس الخمس ، كما يقوله الاشعرى و موافقوه كالقاضى ابى يعلى[355] ،و ابى المعالى و غيرهما ، فهذه الطريقة مردودة عند جماهير العقلاء ، بل يقولون فسادها معلوم بالضرورة ، بعد التصور التام كما بسط فى موضعه .

٥ و كذلك نزاعهم فى روح الانسان التى تفارقه بالموت على قول الجمهور الذين يقولون : هى عين قائمة بنفسها ، ليست عرضا من اعراض البدن كالحياة و غيرها ، و لاجزءا من اجزاء البدن كالهواء الخارج منه ، فان كثيرا من المتكلمين زعموا انها عرض قائم بالبدن ، او جزء من اجزاء البدن ، لكن هذا مخالف للكتاب والسنة ، واجماع السلف والخلف ، و لقول جماهير العقلاء من جميع
١٠ الامم ، و مخالف للادلة العقلية .

و هذا مما استطال به الفلاسفة على كثير من اهل الكلام . قال القاضى ابو[356] بكر : اكثر المتكلمين على ان الروح عرض من الاعراض ،و بهذا نقول اذا لم يعن بالروح النفس ، فانه قال : الروح الكائن فى الجسد ضربان :

احدهما : الحياة القائمة به ، والآخر النفس ، والنفس ريح ينبث به ، والمراد
١٥ بالنفس ما يخرج بنفس التنفس من اجزاء الهواء المتحلل من المسام ، و هذا قول الاسفرائينى[357] و غيره .

---

(٣٥٥) محمد بن الحسين بن محمد بن خلف البغدادى ، ابن الفرّاء .
شيخ الحنابلة ، صاحب التصانيف المفيدة فى المذهب ، كان ذا عبادة و تهجد و ملازمة للتصنيف مع الجلالة والمهابة . توفى سنة ٤٥٨هـ .
انظر ترجمته فى تاريخ بغداد (٢٥٦/٢) طبقات الحنابلة (١٩٣/٢ ـ ٢٣٠) الوافى (٧/٣ ـ ٨) السير (٨٩/١٨ ـ ٩١) .

(٣٥٦) هو القاضى ابو بكر محمد بن الطيب بن محمد بن جعفر بن القاسم البصرى ، ابن الباقلانى .
صاحب التصانيف ، كان يضرب المثل بفهمه و ذكائه ، له اهتام بعلم الكلام و الاصول ، صنف فى الرد على الرافضة و المعتزلة والخوارج والكرامية ، و انتصر لمذهب الاشعرى ، توفى سنة ٤٠٣هـ .
ترجمته فى تاريخ بغداد (٣٧٩/٥ ـ ٣٨٣) وفيات ابن خلكان (٢٦٩/٤ ـ ٢٧٠) الوافى (١٧٧/٣) السير (١٩٠/١٧) معجم المؤلفين (١٠٩/١٠) .

(٣٥٧) الاستاذ ابو اسحاق ابراهيم بن محمد بن ابراهيم الاسفراييني .
من فقهاء الشافعية ، و كبار ائمة الاصول ، أحد المجتهدين فى عصره ، و صاحب المصنفات الباهرة . توفى سنة ٤١٨هـ .
انظر وفيات ابن خلكان (٢٨/١) الوافى (١٠٤/٦) طبقات السبكى (٢٥٦/٦ ـ ٢٦٢) السير (٣٥٣/١٧ ـ ٣٥٦) .

و قال ابن فورك : هو ما يجرى فى تجاويف الاعضاء ، و ابو المعالى خالف هؤلاء و أحسن فى مخالفتهم فقال : ان الروح اجسام لطيفة مشابكة للاجسام المحسوسة ، أجرى الله العادة بحياة الاجساد ما استمرت مشابكتها لها ، فاذا فارقتها تعقب الموت الحياة فى استمرار العادة .

و مذهب الصحابة والتابعين لهم باحسان و سائر سلف الامة و ائمة السنة ان الروح عين قائمة بنفسها ، تفارق البدن ، و تنعم و تعذب ، ليست هى البدن ، و لا جزءاً من اجزائه ، كالنفس المذكور . و لما كان الامام احمد ممن نص على ذلك ، كما نص عليه غيره من الائمة لم يختلف أصحابه فى ذلك ؛ لكن طائفة منهم كالقاضى ابى يعلى زعموا انها جسم ، و انها الهواء المتردد فى مخاريق البدن ؛ موافقة لاحد المعنيين الذين ذكرهما ابن الباقلانى . و هذه الاقوال لما كانت من أضعف الاقوال تسلط بها عليهم خلق كثير .

والمقصود هنا ان الذين قالوا : انها عين قائمة بنفسها غير البدن و أجزائه و أعراضه تنازعوا : هل هى جسم متحيز ؟ على قولين ، كتنازعهم فى الملائكة .

فالمتكلمون منهم يقولون : جسم ، والمتفلسفة يقولون : جوهر عقلى ليس بجسم ، و قد أشرنا فيما تقدم الى أن ما تسميه المتفلسفة جواهر عقلية ، لا توجد الا فى الذهن ، و أصل تسميتهم المجردات والمفارقات هو مأخوذ من نفس الانسان فانها لما كانت تفارق بدنه بالموت . و تتجرد عنه سموها مفارقة مجردة ثم أثبتوا ما أثبتوه من العقول والنفوس و سموها مفارقات و مجردات ، بناء على ذلك ، و هم يريدون بالمفارق للمادة ما لايكون جسما و لا قائما بجسم ، لكن النفس متعلقة بالجسم تعلق التدبير و العقل ، و لا تعلق له بالاجسام أصلا ، و لا ريب ان جماهير العقلاء على اثبات الفرق بين البدن والروح التى تفارق ،والجمهور يسمون ذلك روحا ، و هذا جسما ، لكن لفظ الجسم فى اللغة ليس هو الجسم فى اصطلاح المتكلمين ، بل الجسم هو الجسد كما تقدم ، و هو الجسم الغليظ او غلظه ، و الروح ليست مثل البدن فى الغلظ و الكثافة ، و لذلك لا تسمى جسما ، فمن جعل الملائكة و الارواح و نحو ذلك ليست اجساما بالمعنى اللغوى فقد أصاب فى ذلك ، و رب العالمين اولى ان لا يكون جسما ، فانه من المشهور فى اللغة الفرق بين الارواح و الاجسام .

(و اما اهل الاصطلاح) من المتكلمين و المتفلسفة فيجعلون مسمى الجسم أعم من ذلك ، و هو ما أمكنت الاشارة الحسية اليه ، و ما قيل انه هنا و هناك، و ما قبل الابعاد الثلاثة ، و نحوذلك .

و كذلك المتحيز فى الاصطلاح هؤلاء هو الجسم ، و يدخل فيه الجوهر الفرد عند من اثبته ، و قد تقدم معنى الجسم فى اللغة ، و أما المتحيز فقد قال تعالى : ﴿ وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ إِلاَّ مُتَحَرِّفاً لِّقِتَالٍ أَو مُتَحَيِّزاً إِلَى فِئَةٍ فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِّنَ اللهِ ﴾[٣٥٨].

و قال الجوهرى[٣٥٩] : الحوز:الجمع ، و كل من ضم الى نفسه شيئا فقد حازه حوزا ، و حيازة ، و احتازه ايضا ، والحوز والحيز:السوق اللين ، و قد حاز الابل يحوزها و يحيزها ، و حوز الابل ساقها الى الماء .

و قال الاصمعى : اذا كانت الابل بعيدة المرعى عن الماء فأول ليلة توجهها الى الماء ليلة الحوز ، و تحوزت الحية و تحيزت:تلوت . يقال مالك تتحوز تحوز الحية ، و تتحيز تحيز الحية ، قال سيبويه هو تفعل من حزت الشيء قال القطامى[٣٦٠] :

تَحَيَّزُ مِنّي خَشْيَةً أَنْ أُضِيفَهَا كَمَا انحَازَت الأفعَى مَخافَةَ ضَارب

يقول تتنحى عنّىهذه العجوزُ و تتأخر خشية ان انزل عليها ضيفا .و الحيز ما انضم الى الدار من مرافقها ، و كل ناحية حيز ، و أصله من الواو . والحَيْزُ تخفيف الحيِّز ،مثل حين و حين ، و لين و لين ، و الجمع أحياز ، و الحوزة الناحية ، و انحاز عنه:انعدل ، و انحاز القوم.تركوا مركزهم الى آخر ، يقال للاولياء انحازوا عن العدو ، و حاصوا ،و الاعداء انهزموا و ولوا مدبرين ، و تحاوز الفريقان فى الحرب,انحاز كل فريق عن الآخر .

(٣٥٨) سورة الانفال (١٦/٨) .

(٣٥٩) راجع اللسان «حوز» .

(٣٦٠) اسمه عمير بن شييم من بنى تغلب . كان شاعر الغزل ، حسن التشبيب .
راجع الشعر والشعراء (٤٨٣) و ورد فيه البيت و لكن الشطر الاول : فردت كلاما كارها ثم اعرضت و
راجع اللسان «حوز» و فيه «تحوز عنى» .

فهذ المذكور عن اهل اللغة فى هذا اللفظ و مادته يقتضى ان التحيز والانحياز والتحوز و نحو ذلك يتضمن عدولا من محل الى محل ، و هذا اخص من كونه يحوزه أمر موجود ، فهم يراعون فى معنى الحوز ذهابه من جهة الى جهة ؛ و لهذا يقولون : حزت المال ، وحزت الابل ، و ذلك يتضمن نقله من جهة الى جهة ، فالشيء المستقر فى موضعه كالجبل والشمس و القمر لا يسمونه متحيزا ، و اعم من هذا ان يراد بالمتحيز ما يحيط به حيز موجود ، فيسمى كل ما احاط به غيره انه متحيز ، و على هذا فما بين السماء والارض متحيز ؛ بل ما فى العالم متحيز إلا سطح العالم الذى لا يحيط به شيء ، فان ذلك ليس بمتحيز ، و كذلك العالم جملة ليس بمتحيز بهذا الاعتبار ، فانه ليس فى عالم آخر احاط به ، و المتكلمون يريدون بالمتحيز ما هو اعم من هذا ، و الحيز عندهم اعم من المكان ، فالعالم كله فى حيز ، و ليس هو فى مكان ، و المتحيز عندهم لا يعتبر فيه انه يحوزه غيره ، و لا يكون له حيز و جودى ، بل كلما اشير اليه و امتاز منه شيء عن شيء فهو متحيز عندهم .

ثم هم مختلفون بعد هذا فى المتحيز : هل هو مركب من الجواهر المنفردة ؟! او من المادة والصورة ؟ او هو غير مركب لا من هذا و لا من هذا ؟ كما تقدم نزاعهم فى الجسم ، فالجسم عندهم متحيز ، و لا يخرج عنه شيء الا الجوهر الفرد عند من اثبته ، و هؤلاء يعتقد كثير منهم او اكثرهم ان كل متحيز فهو مركب اى يقبل الانقسام الى جزء لا يتجزأ بل يظن بعضهم ان هذا اجماع المسلمين ، و اكثرهم يقولون المتحيزات متماثلة فى الحد والحقيقة ، و من كان معنى المتحيز عنده هذا فعليه ان ينزه الله تعالى ان يكون متحيزا بهذا الاعتبار ، و اذا قال : الملائكة متحيزون بهذا الاعتبار ، او الروح متحيزة بهذا الاعتبار نازعه فى ذلك جمهور العقلاء من المسلمين و غيرهم ؛ بل لا يعرف احد من سلف الامة و ائمتها يقول : ان الملائكة متحيزة بهذا الاعتبار ، و لا قالوا لفظا يدل على هذا المعنى ، و كذلك روح بنى آدم التى تفارقه بالموت لم يقل احد من السلف انها متحيزة بهذا الاعتبار ، و لا قال فيها لفظا يدل على هذا المعنى ، فاذا كان اثبات هذا التحيز للملائكة و الروح بدعة فى الشرع و باطلا فى العقل ، فلأن يكون ذلك بدعة و باطلا فى رب العالمين بطريق الاولى و الأحرى .

و من هنا يتبين ان عامة ما يقوله المتفلسفة و هؤلاء المتكلمة فى نفوس بنى آدم و فى الملائكة باطلة ، فكيف بما يقولونه فى رب العالمين و لهذا توجد الكتب المصنفة التى يذكر فيها مقالات هؤلاء و هؤلاء فى هذه المسائل الكبار فى رب العالمين ، و فى ملائكته ، و فى ارواح بنى آدم ، و فى المعاد ، و فى النبوات ليس فيها قول يطابق العقل و الشرع و لا يعرفون ما قاله السلف و الائمة فى هذا الباب ، و لا ما دل عليه الكتاب و السنة .

فلهذا يغلب على فضلائهم الحيرة ، فانهم اذا انهوا النظر لم يصلوا الى علم ؛ لان ما نظروا فيه من كلام الطائفتين مشتمل على باطل من الجانبين ، و لهذا قال ابو عبد الله الرازى فى آخر عمره :

«لقد تاملت الطرق الكلامية ، و المناهج الفلسفية ، فما رأيتها تشفى عليلا ، و لاتروى غليلا ، و رأيت اقرب الطرق طريقة القران اقرأ فى الاثبات :
﴿ إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ ﴾[361] .
﴿ الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى ﴾[362] .
و اقرأ فى النفى : ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ﴾[363] .
﴿ وَلاَ يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا ﴾[364] و من جرب مثل تجربتى عرف مثل معرفتى .

و اما من اعتقد ان المتحيز هو ما باين غيره فانحاز عنه ، و ليس من شرطه ان يكون مركبا من الاجزاء المنفردة ، و لا انه يقبل التفريق والتقسيم ، فاذا قال ، ان الرب متحيز بهذا المعنى ، اى انه بائن عن مخلوقاته فقد اراد معنى صحيحا ؛ لكن اطلاق هذه العبارة بدعة ، و فيها تلبيس ، فان هذا الذى اراده ليس معنى المتحيز فى اللغة ، و هو اصطلاح له و لطائفته ، و فى المعنى المصطلح نزاع بين العقلاء ، فصار يحتمل معنى فاسدا يجب تنزيه الرب عنه ، و ليس للانسان ان يطلق لفظا يدل عند غيره على معنى فاسد ، و يفهم ذلك الغير ذلك الفاسد من غير بيان مراده ؛ بل هؤلاء المتكلمون الذين ارادوا بالمتحيز ما كان مؤلفا من اجزاء لا تقبل القسمة ، و هو ما كان قابلا للقسمة اذا قالوا ان كل

(٣٦١) سورة فاطر (١٠/٣٥) .

(٣٦٢) سورة طه (٥/٢٠) .

(٣٦٣) سورة الشورى (١١/٤٢) .

(٣٦٤) سورة طه (١١٠/٢٠) .

ممكن او كل محدث او كل مخلوق فهو : اما متحيز ، واما قائم بمتحيز كان جماهير العقلاء يخالفونهم فى هذا التقسيم ، و لم يكن احد من ائمة المسلمين لا من الصحابة و لا من التابعين لهم باحسان الى يوم الدين ، و لا سائر ائمة المسلمين ، وموافقا لهم على هذا التقسيم ، فكيف اذا قال من قال منهم : كل موجود فهو اما متحيز ، و اماقائم بمتحيز ، و اراد بالمتحيز ما اراده هؤلاء ، فان قوله حينئذ يكون ابعد عن الشرع والعقل من قول اولئك ، و لهذا طالبهم متأخروهم بالدليل على هذا الحصر ، و ليس خطأ هولاء من جهة ما اثبته المتفلسفة من الجواهر العقلية ، فان تلك قد علم بطلانها بصريح العقل ايضا .

و ما يقوله هؤلاء المتفلسفة فى النفس الناطقة من انها لا يشار اليها و لا توصف بحركة و لا سكون ، و لا صعود و لا نزول ، و ليست داخل العالم و لا خارجه ، هو ايضا كلام ابطل من كلام اولئك المتكلمين عند جماهير العقلاء ، و لا سيا من يقول منهم ـــ كابن سينا و امثاله ـــ انها لاتعرف شيئا من الامور الجزئية ، و انما تعرف الامور الكلية ؛ فان هذا مكابرة ظاهرة ، فانها تعرف بدنها ، و تعرف كل ما تراه بالبدن و تشمه و تسمعه و تذوقه و تقصده ، و تامر به و تحبه و تكرهه ، الى غير ذلك مما تتصرف فيه بعلمها و عملها ، فكيف يقال انها لا تعرف الامور المعينة . وانما تعرف امورا كلية ؟!

و كذلك قولهم ان تعلقها بالبدن ليس الا مجرد تعلق التدبير والتصريف ، كتدبير الملك لمملكته من أفسد الكلام ، فان الملك يدبر أمر مملكته فيأمر و ينهى ، ولكن لا يصرفهم هو بمشيئته و قدرته ان لم يتحركوا هم بارادتهم و قدرتهم ، و الملك لا يلتذ بلذة أحدهم ، و لا يتألم بتألمه ، و ليس كذلك الروح والبدن ، بل قد جعل الله بينهما من الاتحاد و الائتلاف ما لا يعرف له نظير يقاس به ، و لكن دخول الروح فيه ليس هو مماثلا لدخول شيء من الاجسام المشهودة ، فليس دخولها فيه كدخول الماء و نحوه من المائعات فى الاوعية ، فان هذه انما تلاقي السطح الداخل من الاوعية ، لا بطونها و لا ظهورها . و انما يلاقى الاوعية منها اطرافها دون اوساطها ، و ليس كذلك الروح و البدن ؛ بل الروح متعلقة بجميع اجزاء البدن باطنه و ظاهره ، و كذلك دخولها فيها ليس كدخول الطعام و الشراب فى بدن الآكل ، فان ذلك له مجار معروفة ، و هو

مستحيل . — الى غير ذلك من صفاته — و لا جريانها فى البدن كجريان الدم ، فان الدم يكون فى بعض البدن دون بعض .

ففى الجملة كل ما يذكر من النظائر لا يكون كل شيء منه متعلقا بالآخر ؛ بخلاف الروح و البدن ، لكن هى مع هذا فى البدن قد ولجت فيه ، و تخرج منه وقت الموت ، و تسل منه شيئا فشيئا فتخرج من البدن شيئا فشيئا لا تفارقه كما يفارق الملك مدينته التى يدبرها ، والناس لما لم يشهدوا لها نظيرا عسر عليهم التعبير عن حقيقتها ، و هذا تنبيه لهم على ان رب العالمين لم يعرفوا حقيقته ، و لاتصوروا كيفيته سبحانه و تعالى ، و ان ما يضاف اليه من صفاته هو على ما يليق به جل جلاله ، فان الروح التى هى بعض عبيده توصف بانها تعرج اذا نام الانسان ، و تسجد تحت العرش ، و هى مع هذا فى بدن صاحبها لم تفارقه بالكلية ، و الانسان فى نومه يحس بتصرفات روحه تصرفات تؤثر فى بدنه ، فهذا الصعود الذى توصف به الروح لا يماثل صعود المشهودات ، فانها اذا صعدت الى مكان فارقت الاول بالكلية ، و حركتها الى العلو حركة انتقال من مكان الى مكان ، و حركة الروح بعروجها و سجودها ليس كذلك .

فالرب سبحانه اذا و صفه رسوله ﷺ بانه ينزل الى سماء الدنيا كل ليلة ، و انه يدنو عشية عرفة الى الحجاج ، و انه كلم موسى فى الوادى الايمن فى البقعة المباركة من الشجرة ، و انه استوى الى السماء و هى دخان ، فقال لها و للارض ائتيا طوعا او كرها قالتا أتينا طائعين : لم يلزم من ذلك ان تكون هذه الافعال من جنس ما نشاهده من نزول هذه الاعيان المشهودة ، حتى يقال ذلك يستلزم تفريغ مكان و شغل آخر ، فان نزول الروح و صعودها لا يستلزم ذلك فكيف برب العالمين ؟! و كذلك الملائكة لهم صعود و نزول من هذا الجنس .

فلا يجوز نفى ما اثبته الله و رسوله من الاسماء و الصفات ، و لايجوز تمثيل ذلك بصفات المخلوقات ،لا سيما ما لا نشاهده من المخلوقات فان ما ثبت لما لا نشاهده من المخلوقات من الاسماء والصفات ليس مماثلا لما نشاهده منها ، فكيف برب العالمين الذى هو ابعد عن مماثلة كل مخلوق من مماثلة مخلوق لمخلوق ؟! و كل مخلوق فهو اشبه بالمخلوق الذى لا يماثله من الخالق بالمخلوق ، سبحانه و تعالى عما يقول الظالمون علوا كبيرا .

و هذا الذي نبهنا عليه مما يظهر به ان ما يذكره صاحب «المحصل» و أمثاله من تقسيم الموجودات على رأى المتفلسفة و المتكلمة كله تقسيم غير حاصر ، و كل من الفريقين مقصر عن سلفه . اما المتكلمون فلم يسلكوا من التقسيم المسلك الذى دل عليه الكتاب والسنة ، و كان عليه سلف الامة ، و كذلك هؤلاء المتفلسفة اتباع ارسطو لم يسلكوا مسلك الفلاسفة الاساطين المتقدمين ، فان ٥ اولئك كانوا يقولون بحدوث هذا العالم ، و كانوا يقولون : ان فوق هذا العالم عالما آخر يصفونه ببعض ما وصف النبي ﷺ به الجنة ، و كانوا يثبتون معاد الأبدان ، كما يوجد هذا فى كلام سقراط و تاليس و غيرهما من اساطين الفلاسفة ، و قد ذكروا ان اول من قال منهم بقدم العالم ارسطو .



فصـــــل

و هذه الالفاظ المحدثة المجملة النافيـة مثل لفـظ «المركب» و «المؤلف» و «المنقسم» و نحـو ذلـك ، قـد صـار كل من اراد نفى شيء مما أثبتـه الله لنفسـه من الاسماء والصفات عبر بها عن مقصوده ، فيتوهم من لا يعرف مراده ان المراد تنزيه الرب الذى ورد به القرآن ، و هو اثبات أحديته و صمـديتـه ، و يكون قـد ادخل فى تلك الالفاظ ما رآه هو منفيا و عبر عنه بتلـك العبـارة وضعـا لـه و اصطلاحـا اصطلح عليه هو و من وافقه على ذلك المـذهب ، و ليس ذلـك من لغـة العرب التى نـزل بهـا القرآن ، و لا من لغـة احـد من الامم ، ثم يجعـل ذلـك المعنى هـو مسمى الاحـد والصمـد والواحـد ، و نحو ذلـك من الاسماء الموجودة فى الكتـاب و السنة ، و يجعل ما نفاه من المعانى التى اثبتها الله و رسوله من تمام التوحيد .

و اسم «التوحيـد» اسم معظم جـاءت بـه الرسـل . و نـزلت بـه الكتب فـاذا جعل تلك المعانى التى نفاها من التوحيد ، ظن من لم يعرف مخـالفـة مراده لمراد الرسول ﷺ انـه يقول بـالتوحيـد الـذى جـاءت بـه الرسـل ، و يسمى طائفته المـوحـدين ، كما يفعـل ذلـك الجهميـة و المعتزلـة و من وافقهم على نفى شيء من الصفـات ، و يسمون ذلـك توحيـدا . و طـائفتهم الموحـدين و يسمون علمهم علم التـوحيـد ، كما تسمى المعتزلـة و من وافقهم نفى القـدر عـدلا ،و يسمـون انفسهم العدلية ، و اهل العدل .

و مثل هذه البدع كثير جدا يعبر بألفاظ الكتاب و السنةعن معان مخالفة لما اراده الله و رسوله بتلك الالفاظ ، و لا يكون أصحاب تلك الاقوال تلقوها ابتداء عن الله عزوجل ، و رسوله ﷺ ، بل عن شبه حصلت لهم ، و ائمة لهم ، و جعلوا التعبير عنها بالفاظ الكتاب والسنة حجة لهم ، و عمدة لهم ، ليظهر بذلك انهم متابعون للرسول الله ﷺ لا مخالفون له ، و كثير منهم لا يعرفون ان ما ذكروه مخالف للرسول الله ﷺ ؛ بل يظن ان هذا المعنى الذى اراده هو المعنى الذى اراده الرسول ﷺ و اصحابه فلهذا يحتاج المسلمون الى شيئين :

أحدهما : معرفة ما اراد الله و رسوله ﷺ بالفاظ الكتاب والسنة ، بان يعرفوا لغة القرآن التى بها نزل ، و ما قاله الصحابة والتابعون لهم باحسان ، و سائر علماء المسلمين فى معانى تلك الالفاظ ، فان الرسول لما خاطبهم بالكتاب و السنة عرفهم ما اراد بتلك الالفاظ ، وكانت معرفة الصحابة لمعانى القرآن أكمل من حفظهم لحروفه ، و قد بلّغوا تلك المعانى الى التابعين أعظم مما بلغوا حروفه ، فان المعانى العامة التى يحتاج اليها عموم المسلمين ، مثل معنى التوحيد ، و معنى الواحد ، والاحد ، والايمان ، والاسلام ، و نحوذلك ، كان جميع الصحابة يعرفون ما احب الله و رسوله ﷺ من معرفته و لايحفظ القران كله الا القليل منهم ، و ان كان كل شيء من القرآن يحفظه منهم اهل التواتر ، والقرآن مملوء من ذكر وصف الله بأنه أحد ، وواحد ، و من ذكر ان الهكم واحد ، و من ذكر انه لا اله الا الله ، و نحو ذلك .

فلا بد ان يكون الصحابة يعرفون ذلك ، فان معرفته اصل الدين و هو اول ما دعا الرسول ﷺ اليه الخلق ، و هو اول ما يقاتلهم عليه ، و هو اول ما امر رسله ان يامروا الناس به ، و قد تواتر عنه انه اول ما دعا الخلق الى ان يقولوا لا اله الا الله ، و لما أمر بالجهاد بعد الهجرة قال : «أمرت ان اقاتل الناس حتى يشهدوا ان لا اله الا الله و انى رسول الله »[(٣٦٥)] .

و فى الصحيحين[(٣٦٦)] انه لما بعث معاذا الى اليمن قال له : «انك تاتى قوما

(٣٦٥) اخرجه البخارى و مسلم واخرجه البيهقى فى شعب الايمان (رقم٤) وانظر تخريجه فيه .

(٣٦٦) من حديث ابن عباس اخرجه البخارى فى الزكاة (١٢٥/٢ - ١٣٦) و فى المغازى (١٠٩/٥) و فى التوحيد (١٦٤/٨) و مسلم فى الايمان (٥٠/١) .

من اهل الكتاب فليكن اول ما تدعوهم اليه شهادة ان لا اله إلا الله و انى رسول الله ، فان هم اطاعوا لك بذلك فاعلمهم ان الله تعالى قد فرض عليهم خمس صلوات فى اليوم والليلة ، فا ن هم اطاعوا لك بذلك ،فأعلمهم ان الله تعالى افترض عليهم صدقة تؤخذ من اغنيائهم فترد على فقرائهم ، فان هم اطاعوا لك بذلك ، فاياك و كرائم اموالهم ، واتق دعوة المظلوم ، فانه ليس بينها و بين الله حجاب» .

فقال لمعاذ : ليكن اول ما تدعوهم اليه التوحيد ، و مع هذا كانوا من اهل الكتاب ، كانوا يهودا ، فان اليهود كانوا كثيرين بأرض اليمن ، و هذا الذى امر به معاذا موافق لقوله تعالى : ﴿فَإِذَا انسَلَخَ الأَشْهُرُ الْحُرُمُ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِيْنَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَ احْصُرُوهُمْ وَ اقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرصَدٍ فَإِن تَابُوا وَ أَقَامُوا الصَّلاَةَ وَ آتَوُا الزَّكَوةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ﴾.[٣٦٧]

و فى الآية الاخرى : ﴿ فَإِن تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلاَةَ وَ آتَوُا الزَّكَوةَ فَإِخْوَانُكُمْ فِى الدِّينِ ﴾.[٣٦٨]

و هذا مطابق لقوله تعالى : ﴿ وَمَا أُمِرُوا إلاَّ لِيَعْبُدُوا الله مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّيْنَ حُنَفَاءَ وَ يُقِيمُوا الصَّلاَةَ وَ يُؤْتُوا الزَّكَوةَ وَ ذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ ﴾.[٣٦٩]

و فى الصحيحين[٣٧٠] عنه ﷺ انه قال : «الايمان بضع وستون ، او بضع و سبعون شعبة ، افضلها قول لا اله الا الله ، و ادناها اماطة الاذى عن الطريق والحياء شعبة من الايمان» .

(فالمقصود) ان معرفة ما جاء به الرسول و ما اراده بألفاظ القرآن و الحديث هو اصل العلم والايمان والسعادة والنجاة ، ثم معرفة ما قال الناس فى هذا الباب لينظر المعانى الموافقة للرسول والمعانى المخالفة لها .

و اخرجه ايضا ابو داود (٢/٢٤٢) والترمذى (٣/٢١) والنسائى (٥/٥٥) و ابن ماجة (١/٥٦٨ رقم ١٧٨٣) والدارمى (ص ٣٧٩) و احمد (١/٢٣٣) .

(٣٦٧) سورة التوبة (٩/٥) .

(٣٦٨) سورة التوبة (٩/١١) .

(٣٦٩) سورة البينة (٩٨/٥) .

(٣٧٠) و اخرجه البيهقى فى شعب الايمان (رقم ١)و انظر الكلام عليه و تخريجه هناك .

والالفـاظ نوعـان :نوع يوجـد فى كلام الله و رسولـه ، و نوع لا يـوجـد فى كلام الله و رسولـه . فيعرف معنى الاول ، و يجعل ذلـك المعنى هـو الاصـل ، و يعرف مـا يعنيـه النـاس بـالثـانى ، و يرد الى الاول . هـذا طريق اهـل الهـدى والسنة ، و طريق اهل الضلال والبدع بالعكس ، يجعلون الالفاظ التى احدثوها و معـانيهـا هى الاصل ، و يجعلون مـا قـالـه الله و رسولـه تبعـا لهم ، فيردونهـا بـالتـاويـل والتحريف الى معـانيهم ، و يقـولـون : نحن نفسر القران بـالعقـل واللغة ، يعنون انهم يعتقدون معنى بعقلهم و رأيهم ، ثم يتأولون القرآن عليـه بمـا يمكنهم من التاويلات والتفسيرات المتضمنة لتحريف الكلم عن مواضعـه ، و لهـذا قال الامام أحمد : أكثر ما يخطىء الناس من جهة التاويل والقياس .

و قـال : يجتنب المتكلم فى الفقـه هـذين الاصلين المجمـل والقيـاس ، و هـذه الطريق يشترك فيها جميع اهل البـدع الكبـار والصغـار ،فهى طريقـة الجهميـة والمعتزلة و من دخل فى التاويل من الفلاسفة والباطنية الملاحدة .

و أما حذاق الفلاسفـة فيقولون : ان المراد بخطـاب الرسول ﷺ انمـا هو ان يخيل الى الجمهور ما ينتفعون به فى مصالح دنياهم ، و ان لم يكن ذلـك مطـابقـا للحق ، قـالوا : و ليس مقصود الرسول ﷺ بيـان الحق و تعريفـه ، بلمقصوده ان يخيل اليهم مـا يعتقـدونـه . و يجعلـون خـاصـة النبـوة قـوة التخييـل . فهم يقـولـون : ان الرسـول ﷺ لم يبين ، و لم يفهم ؛ بـل و لم يقصـد ذلـك ، و هم متنازعون هل كان يعلم الامور على ما هى عليه ؟ على قولين :

منهم من قال : كان يعلمها ؛ لكن ما كان يمكنه بيانها . و هؤلاء قد يجعلون الرسول أفضل من الفيلسوف .

و منهم من يقول : بل ما كان يعرفها ، او مـا كان حـاذقـا فى معرفتهـا ، و انمـا كان يعرف الامور العمليـة و هؤلاء يجعلون الفيلسوف أكمل من النبى ﷺ ؛ لان الامور العلميـة أكمل من العمليـة ، فهـؤلاء يجعلـون خبر الله و خبر الرسـول ﷺ انمـا فيـه التخييل ، و اولئـك يقولون لم يقصـد بـه التخييل ، ولكن قصـد معنى يعرف بالتأويل ، و كثير من اهل الكلام الجهمية يوافق اولئك على انه ما كان يمكنه ان يبوح بالحق فى باب التوحيد ، فخاطب الجمهور بمـا يخيل لهم ، كما

يقولون : انه لو قال : ان ربكم ليس بداخل العالم و لا خارجه ، و لا يشار اليه ، و لا هو فوق العالم ، و لا كذا و لا كذا لنفرت قلوبهم عنه ، و قالوا هذا لا يعرف ، قالوا فخاطبهم بالتجسيم ، حتى يثبت لهم ربا يعبدونه ، و ان كان يعرف ان التجسيم باطل ، و هذا يقوله طوائف من اعيان الفقهاء المتأخرين المشهورين الذين ظنوا ان مذهب النفاة هو الصحيح ، واحتاجوا ان يعتذروا عما جاء به الرسول ﷺ من الاثبات ، كما يوجد فى كلام غير واحد .

و تارة يقولون : انما عدل الرسول ﷺ عن بيان الحق ، ليجتهدوا فى معرفة الحق من غير تعريفه ، و يجتهدوا فى تأويل ألفاظه ، فتعظم أجورهم على ذلك ، و هو اجتهادهم فى عقلياتهم ، و تاويلاتهم ، و لا يقولون انه قصد به افهام العامة الباطل ، كما يقول أولئك المتفلسفة . و هذا ، قول اكثر المتكلمين النفاة من الجهمية والمعتزلة ، و من سلك مسلكهم حتى ابن عقيل[٣٧١] و أمثاله . و ابو حامد ، و ابن رشد الحفيد و أمثالهما يوجد فى كلامهم المعنى الاول . و ابو حامد إنما ذم التأويل فى آخر عمره ، و صنف «الجام العوام عن علم الكلام» ، محافظة على هذا الاصل ، لأنه رأى مصلحة الجمهور لا تقوم الا بابقاء الظواهر على ما هى عليه ، و إن كان هو يرى ما ذكره فى كتبه «المضنون بها» ان النفى هو الثابت فى نفس الامر .

فلم يجعلوا مقصوده بالخطاب البيان والهدى ، كما وصف الله به كتابه و نبيه حيث قال : ﴿ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴾[٣٧٢] .

و قال : ﴿ هَذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ ﴾[٣٧٣] .

و قال : ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾[٣٧٤] .

---

(٣٧١) على بن عقيل بن محمد بن عقيل بن عبد الله البغدادى ، الظفرى .
شيخ الحنابلة ، العلامة ، المتكلم ، صاحب التصانيف ، قال الذهبي : كان بحر معارف ، لم يكن له فى زمانه نظير على بدعته ، و علّق كتاب «الفنون» و هو ازيد من اربعمائة مجلد ، حشد فيه كل ما جرى له و رآه و سمعه . توفى سنة ٥١٣هـ .
راجع طبقات الحنابلة (٢/٢٥٩) المنتظم (٩/٢١٢) لسان الميزان (٤/٢٤٣ ـ ٢٤٤) السير (١٩/٤٤٣ ـ ٤٥١) شذرات (٤/٣٥ ـ ٤٠) .

(٣٧٢) سورة البقرة (٢/٢) .

(٣٧٣) سورة آل عمران (٣/١٣٨) .

(٣٧٤) سورة يوسف (١٢/٢) .

و قال : ﴿وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلاَّ الْبَلاَغُ الْمُبِيْنُ ﴾[٣٧٥].
و قال . ﴿ كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾[٣٧٦].
و امثال ذلك .

و قال النبى[٣٧٧] ﷺ (تركتم على البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها بعدى الا هالك) .

و قال تعالى : ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيماً فَاتَّبِعُوهُ وَلاَ تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيْلِهِ ﴾[٣٧٨].
و قال : ﴿ قَدْجَاءَكُم مِنَ اللهِ نُورٌ وَ كِتَابٌ مُبِينٌ ، يَهْدِى بِهِ اللهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلامِ وَ يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾[٣٧٩].
و قال : ﴿ مَا كُنْتَ تَدْرِى مَا الْكِتَابُ وَ لاَ الإِيمَانُ وَ لَكِن جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِ مَن نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَ إِنَّكَ لَتَهْدِى إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾[٣٨٠].
و قال : ﴿ فَالَّذِيْنَ ءَامَنُوا بِهِ وَ عَزَّرُوهُ وَ نَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِى أُنزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾[٣٨١].

و ثَمَّ طائفة ثالثة كثرت فى المتاخرين المنتسبين الى السنة يقولون ما يتضمن ان الرسول ﷺ لم يكن يعرف معانى ما انزل عليه من القران كآيات الصفات ؛ بل لازم قولهم ايضا انه كان يتكلم بأحاديث الصفات ، و لا يعرف معانيها .

و هؤلاء مساكين لما رأوا المشهور عن جمهور السلف من الصحابة والتابعين

---

(٣٧٥) سورة النور (٥٤/٢٤) والعنكبوت (١٨/٢٩) .

(٣٧٦) سورة ابراهيم (١/١٤) .

(٣٧٧) اخرجه احمد فى مسنده (١٢٦/٤) و ابن ماجة فى المقدمة (١٦/١ رقم ٤٣) والحاكم فى المستدرك (٩٦/١) و راجع الصحيحة للالبانى (رقم ٩٣٧) .

(٣٧٨) سورة الانعام (١٥٤/٦) .

(٣٧٩) سورة المائدة (١٥/٥ ـ ١٦) .

(٣٨٠) سورة الشورى (٥٢/٤٢) .

(٣٨١) سورة الاعراف (١٥٧/٧) .

لهم باحسان ان الوقف التام عند قوله : ﴿ وَ مَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللهُ ﴾[382] وافقوا السلف ، و أحسنوا فى هذه الموافقة ؛ لكن ظنوا أن المراد بالتاويل هو معنى اللفظ و تفسيره ، او هو التاويل الاصطلاحى الذى يجرى فى كلام كثير من متأخري أهل الفقه والاصول ، و هو صرف اللفظ عن الاحتمال الراجح الى الاحتمال المرجوح لدليل يقترن به ، فهم قد سمعوا كلام هؤلاء و هؤلاء ، فصار لفظ التأويل عندهم هذا معناه .

و لما سمعوا قول الله تعالى : ﴿ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللهُ ﴾ ظنوا ان لفظ التأويل فى القرآن معناه هو معنى لفظ التأويل فى كلام هؤلاء ، فلزم من ذلك انه لا يعلم احد معنى النصوص الا الله ، لا جبريل و لا محمد و لا غيرهما ؛ بل كل من الرسولين على قولهم يتلوا أشرف ما فى القرآن من الاخبار عن الله بأسمائه و صفاته ، و هو لا يعرف معنى ذلك أصلا ، ثم كثير منهم يذمون و يبطلون تاويلات اهل البدع من الجهمية والمعتزلة و غيرهما ، و هذا جيد ؛ لكن قد يقولون تجرى على ظواهرها ، و ما يعلم تأويلها الا الله ، فان عنوا بظواهرها ما يظهر منها من المعانى ، كان هذا مناقضا لقولهم إن لها تأويلا يخالف ظاهرها لا يعلمه الا الله ، و ان عنوا بظواهرها مجرد الألفاظ : كان معنى كلامهم انه يتكلم بهذه الالفاظ ، و لها باطن يخالف ما ظهر منها ، و هو التأويل ، و ذلك لا يعلمه الا الله .

و فيهم من يريد باجرائها على ظواهرها هذا المعنى ، و فيهم من يريد الاول ، و عامتهم يريدون بالتأويل المعنى الثالث ، و قد يريدون به الثانى ، فانه أحيانا قد يفسر النص بما يوافق ظاهره ، و تبين من هذا (انه) ليس من التأويل الثالث ، فيأبون ذلك و يكرهون تدبر النصوص و النظر فى معانيها أعنى النصوص التى يقولون إنه لم يعلم تأويلها الا الله .

ثم هم فى هذه النصوص بحسب عقائدهم ، فان كانوا من القدرية قالوا النصوص المثبتة لكون العبد فاعلا محكمة ، والنصوص المثبتة لكون الله تعالى خالق أفعال العباد أو مريدا لكل ما وقع نصوص متشابهة لا يعلم تأويلها الا

(٣٨٢) سورة ال عمران (٣/٧)

الله ، اذا كانوا ممن لا يتأولها ، فان عامة الطوائف منهم من يتأول ما يخالف قوله ، و منهم من لا يتأوله .

و ان كانوا من الصفاتية المثبتين للصفات التي زعموا انهم يعلمونها بالعقل دون الصفات الخبرية مثل كثير من متأخرى الكلابية ، كأبي المعالى فى آخر عمره ، و ابن عقيل فى كثير من كلامه ، قالوا عن النصوص المتضمنة للصفات التى لا تعلم عندهم بالعقل : هذه نصوص متشابهة لا يعلم تأويلها الا الله . و كثير منهم يكون له قولان و حالان : تارة يتأول و يوجب التأويل او يجوزه ، و تارة يحرمه ، كما يوجد لأبي المعالى و لابن عقيل و لأمثالهما من اختلاف الاقوال .

و من أثبت العلو بالعقل ، و جعله من الصفات العقلية : كأبي محمد ابن كلاّب ، و أبي الحسن بن الزاغونى ، و من وافقه ، وكالقاضى أبي يعلى فى آخر قوليه ، و أبي محمد ؛ أثبتوا العلو ، و جعلوا الاستواء من الصفات الخبرية التى يقولون لا يعلم معناها الا الله ، و ان كانوا ممن يرى أن الفوقية و العلو أيضا من الصفات الخبرية ، كقول القاضى ابى بكر ، و أكثر الاشعرية ، و قول القاضى ابى يعلى فى اول قوليه ، و ابن عقيل فى كثير من كلامه ، و أبي بكر البيهقى[٣٨٣] ، و أبي المعالى و غيرهم و من سلك مسلك اولئك . و هذه الامور مبسوطة فى موضعها .

(والمقصود هنا) ان كل طائفة تعتقد من الآراء ما يناقض ما دل عليه القرآن ، يجعلون تلك النصوص من المتشابهة ، ثم ان كانوا ممن يرى الوقف عند قوله : و ما يعلم تأويله ﴿ إلاّالله ﴾ قالوا لا يعلم معناها الا الله ، فيلزم ان لا يكون محمد و جبريل و لا احد علم معانى تلك الآيات والاخبار ، وان رأوا أن الوقف على قوله : (**والراسخون فى العلم**) . جعلوا الراسخين يعلمون ما يسمونه هم تأويلا ، و يقولون إن الرسول ﷺ انما لم يبين الحق بخطابه ليجتهد الناس فى معرفة الحق من غير جهته بعقولهم و أذهانهم . و يجتهدون فى تخريج ألفاظه على اللغات العربية ، فيجتهدون فى معرفة غرائب اللغات التى يتمكنون

(٣٨٣) هو الامام العلامة ابو بكر احمد بن الحسين بن على ، البيهقى .
شيخ الشافعية فى عصره ، ترك مصنفات جيدة فى الحديث ، و الفقه ، والاصول ، و انتصر لمذهب الشافعى .
توفى سنة ٤٥٨هـ .
ترجمته فى وفيات ابن خلكان (٧٥/١) التذكرة (١١٣٢/٣) السير (١٦٣/١٨ ـ ١٧٠) الوافى (٣٥٤/٦) طبقات الشافعية (٣/٣) .

بها من التأويل ، و هذا ان قالوا انه قصد بالقرآن والحديث معنى حقا فى نفس الأمر . و ان قالوا بقول الفلاسفة والباطنية الذين لا يرون التأويل ، قالوا : لم يقصد بهذه الألفاظ الا ما يفهمه العامة والجمهور ، وهو باطل فى نفس الأمر ، لكن اراد أن يخيل لهم ما ينتفعون به ، و لم يمكنه ان يعرفهم الحق ، فانهم كانوا ينفرون عنه و لا يقبلونه ، و أمامن قال من الباطنية الملاحدة و فلاسفهتم بألتاويل ، فانه يتأول كل شيء مما أخبرت به الرسل ، من أمر الايمان بالله واليوم الآخر ثم يؤولون العبارات كما هو معروف من تأويلات القرامطةالباطنية .

و ابو حامد فى « الاحياء »[٣٨٤] ذكر قول هؤلاء المتأولين من الفلاسفة و قال انهم أسرفوا فى التأويل ، و أسرفت الحنابلة فى الجمود ، و ذكر عن احمد بن حنبل كلاما لم يقله أحمد ، فانه لم يكن يعرف ما قاله أحمد ، و لا ما قاله غيره من السلف فى هذا الباب ، و لا ما جاء به القرآن والحديث ، و قد سمع مضافا الى الحنابلة ما يقوله طائفة منهم ، و من غيرهم من المالكية و الشافعية ، و غيرهم فى الحرف والصوت ، و بعض الصفات : مثل قولهم : إن الاصوات المسموعة من القراء قديمة أزلية ، و إن الحروف المتعاقبة قديمة الأعيان ، و أنه ينزل الى السماء الدنيا و يخلو منه العرش ، حتى يبقى بعض المخلوقات فوقه ، و بعضها تحته ، الى غير ذلك من المنكرات . فانه مامن طائفة الا و فى بعضهم من يقول أقوالا ظاهرها الفساد ، و هى التى يحفظها من ينفر عنهم ، و يشنع بها عليهم ، وان كان اكثرهم ينكرها و يدفعها ، كما فى هذه المسائل المنكرة التى يقولها بعض أصحاب أحمد و مالك و الشافعى ، فان جماهير هذه الطوائف ينكرها ، و احمد و جمهور أصحابه منكرون لها.

و كلامهم فى انكارها و ردها كثيرا جدا ، لكن يوجد فى أهل الحديث مطلقا من الحنبلية و غيرهم من الغلط فى الاثبات اكثر مما يوجد فى أهل الكلام ، و يوجد فى أهل الكلام من الغلط فى النفى اكثر مما يوجد فى أهل الحديث ؛ لأن الحديث انما جاء باثبات الصفات ليس فيه شيء من النفي الذي

---

(٣٨٤) انظر كتاب «قواعد العقائد» من احياء العلوم الدين (٨٩/١ ـ ١٢٣) و بخاصة الفصل الثانى و الفصل الثالث .

انفرد به أهل الكلام ، والكلام المأخوذ عن الجهمية و المعتزلة مبنى على النفى المناقض لصرائح القرآن والحديث ؛ بل والعقل الصريح أيضا ؛ لكنهم يدعون أن العقل دل على النفي ، و قد ناقضهم طوائف من أهل الكلام ، و زادوا فى الاثبات كالمشامية والكرامية و غيرهم ، لكن النفي فى جنس الكلام المبتدع الذى ذمه السلف اكثر . ٥

والمنتسبون الى السنة من الحنابلة و غيرهم ، الذين جعلوا لفظ التأويل يعم القسمين ، يتمسكون بما يجدونه فى كلام الأئمة فى المتشابهة مثل قول احمد فى رواية حنبل : « و لا كيف و لا معنى » . ظنوا أن مراده انا لا نعرف معناها . و كلام احمد صريح بخلاف هذا فى غير موضع ، و قد بين انه انما ينكر تأويلات الجهمية و نحوهم الذين يتأولون القرآن على غير تاويله ، و صنف ١٠ كتابه فى «الرد على الزنادقة والجهمية فيما أنكرته من متشابه القرآن و تأولته على غير تأويله» فانكر عليهم تأويل القرآن على غير مراد الله و رسوله ، و هم اذا تأولوه يقولون : معنى هذه الآية كذا ، والمكيّفون يثبتون كيفيته . يقولون : انهم علموا كيفية ما أخبر به من صفات الرب . فنفى أحمد قول هؤلاء ، و قول هؤلاء : قول المكيفة الذين يدعون أنهم علموا الكيفية ، و قول ١٥ المحرفة الذين يحرفون الكلم عن مواضعه ، و يقولون معناه كذا و كذا .

و قد كتبت كلام أحمد بألفاظه ــ كما ذكره الخلاّل[٣٨٥] فى كتاب السنة ، و كما ذكره من نقل كلام أحمد باسناده فى الكتب المصنفة فى ذلك ــ فى غير هذا الموضع . و بين أن لفظ التأويل فى الآية انما أريد به التاويل فى لغة القرآن ، كقوله تعالى ﴿ هَلْ يَنْظُرُونَ إلاَّ تَاوِيلَهُ يَومَ يأْتِى تَأْوِيلُهُ يَقُولُ ٢٠ الَّذِينَ نَسُوهُ مِن قَبْلُ قَدْ جَاءتْ رُسُلُ رَبِّنَابِالْحَقِّ فَهَل لَنَا مِن شُفَعَاءَ فَيَشْفَعُوا لَنَا أَوْ نُرَدُّ فَنَعْمَلَ غَيْرَ الَّذى كُنَّانَعْمَلُ ﴾[٣٨٦].

---

(٣٨٥) ابو بكر احمد بن محمد بن هارون بن يزيد البغدادى ، الخلاّل .
شيخ الحنابلة ، جمع علوم احمد و تطلّبها ، و سافر لأجلها و كتبها و صنّفها كتبا . توفى ٣١١هـ
راجع تاريخ بغداد (١١٢/٥ ـ ١١٣) طبقات الحنابلة (١٢/٢ ـ ١٥) السير (٢٩٧/١٤) الوافى (٩٩/٨) التذكرة (٧٨٥/٣) .

(٣٨٦) سورة الاعراف (٥٣/٧) .

و عن ابن عباس فى قولـه : ﴿ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلاَّ تَاوِيلَهُ ﴾ تصديق ما وعد فى القرآن .[٣٨٧]

و عن قتادة[٣٨٨] : تأويله : ثوابه .

و عن مجاهد[٣٨٩] : جزاءه .

٥ و عن السدى[٣٩٠] : عاقبته .

و عن ابن زيـد[٣٩١] : حقيقتـه . قـال بعضهم تـأويلـه مـا يؤول اليـه أمرهم من العذاب و ورود النار .

و قولـه تعـالى : ﴿ بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ وَ لَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ ﴾[٣٩٢] قال بعضهم تصديق ما وعـدوا به من الوعيـد ؛ والتـأويل[٣٩٣] مـا يؤول ١٠ إليـه الأمر ، و عن الضحـاك يعنى عـاقبـة مـا وعـد الله فى القرآن انـه كائن من الوعيد ، والتأويل ما يؤول إليه الأمر .

و قال الثعلبى : تفسيره . و ليس بشيء . و قال الزجـاج : لم يكن معهم علم تأويله . و قال يوسف الصديق عليه السلام : ﴿يَاأَبَتِ هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِنْ قَبْلُ ﴾[٣٩٤] فجعل نفس سجود أبويه له تأويل رؤياه .

و قال قبل هذا ﴿ لاَ يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِ إِلاَّ نَبَّأْتُكُمَا بِتَاوِيلِهِ قَبْلَ أَن يَأْتِيكُمَا ﴾[٣٩٥]

أى قبل أن يأتيكما التأويل . و المعنى لا يأتيكما طعام ترزقانه فى المنـام لما قـال أحـدهمـا[٣٩٦] : ﴿ إِنِّى أَرَانِي أَعْصِرُ خَمْراً وَ قَالَ الآخَرُ إِنِّى أَرَانِى أَحْمِلُ فَوقَ رَأْسِى خُبْزاً ﴾ . ﴿ إِلاَّ نَبَّأْتُكُمَا بِتَاوِيلِهِ ﴾ فى اليقظة ﴿ قَبْلَ أَن ٢٠ يَاتِيَكُمَا ﴾ الطعـام . هـذا قول اكثر المفسرين[٣٩٧]، وهو الصواب .

---

(٣٨٧) ذكره ابن الجوزى فى تفسيره (٢١٠/٣) .
(٣٨٨) اخرجه الطبرى (٢٠٣/٨) .
(٣٨٩) اخرجه الطبرى (٢٠٣/٨) .
(٣٩٠) اخرجه الطبرى (٢٠٤/٨) .
(٣٩١) اخرجه الطبرى .
(٣٩٢) سورة يونس (٣٩/١٠) .
(٣٩٣) راجع تفسير ابن الجوزى (٣٣/٤) .
(٣٩٤) سورة يوسف (١٠٠/١٢) .
(٣٩٥) سورة يوسف (٣٧/١٢) .
(٣٩٦) سوره يوسف (٣٦/١٢) .
(٣٩٧) راجع تفسير ابن الجوزى (٢٢٤/٤) والقرطبى (١٩١/٩) .

و قال بعضهم لا ياتيكما طعام ترزقانه تطعمانه . و تاكلانه ، إلا نبأتكما بتأويله بتفسيره ، و ألوانه ، أى طعام أكلتم ، و كم أكلتم ، و متى أكلتم ؟ فقالوا : هذا فعل العرافين والكهنة . فقال ما انا بكاهن ، و انما ذلك العلم مما يعلمنى ربى ، و هذا القول ليس بشيء فانه قال : ﴿ إلاَّ نَبَّأْتُكُمَا بِتَاوِيلِهِ ﴾ و قد قال أحدهما : ﴿ إِنِّى أَرَانِى أَعْصِرُ خَمْرًا وَ قَا لَ الأَخَرُ إِنِّى أَرَانِى أَحْمِلُ فَوقَ رَاسِى خُبْزًا تَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْهُ نَبِّئْنَا بِتَاوِيلِهِ ﴾ .
فطلبا منه تاويل ما رأياه ، و أخبرهما بتأويل ذاك ، و لم يكن تأويل الطعام فى اليقظة ، و لا فى القرآن انه اخبرهما بما يرزقانه فى اليقظة ، فكيف يقول قولا عاما : ﴿ لاَيَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِ ﴾ و هذا الاخبار العام لايقدر عليه الا الله ، و الأنبياء يخبرون ببعض ذلك . لا يخبرون بكل هذا .

و أيضا فصفة الطعام و قدره ليس تأويلا له .

و أيضا فالله انما أخبر أنه علمه تأويل الرؤيا ، قال يعقوب عليه السلام : ﴿ وَ كَذَالِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَ يُعَلِّمُكَ مِن تَأْوِيلِ الأَحَادِيثِ ﴾ .[٣٩٨]
و قال يوسف عليه السلام : ﴿ رَبِّ قَدْ ءَاتَيْتَنِى مِنَ الْمُلْكِ وَ عَلَّمْتَنِى مِن تَأْوِيلِ الأَحَادِيثِ ﴾ .[٣٩٩]
و قال : ﴿ هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَاىَ من قَبْلُ ﴾ .[٤٠٠]
و لما رأى الملك الرؤيا قال له الذى ادكر بعد أمة : ﴿ أَنَا أُنَبِّئُكُمْ بِتَأْوِيلِهِ فَأَرْسِلُونِ ﴾ .[٤٠١]
و الملك قال : ﴿ يَاأَيُّهَا الْمَلأُ أَفْتُونِى فِى رُؤيَاىَ إِن كُنْتُم لِلرُّءْيَا تَعْبُرُون ، قَالُوا أَضْغَاثُ أَحْلامٍ وَ مَا نَحنُ بِتَأْوِيلِ الأَحْلاَمِ بِعَالِمِينَ ﴾ .[٤٠٢]
فهذا لفظ التأويل فى مواضع متعددة كلها بمعنى واحد .

و قال تعالى : ﴿ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِى شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤمِنُونَ بِاللهِ وَالْيَومِ الأَخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَ أَحْسَنُ تَأْوِيلاً ﴾ .[٤٠٣]

---

(٣٩٨) سورة يوسف (٦/١٢) .
(٣٩٩) سورة يوسف (١٠١/١٢) .
(٤٠٠) سورة يوسف (١٠٠/١٢) .
(٤٠١) سورة يوسف (٤٥/١٢) .
(٤٠٢) سورة يوسف (٤٣/١٢ ـ ٤٤) .
(٤٠٣) سورة النساء (٥٩/٤) .

قال مجاهد[404] وقتادة : جزاء و ثوابا ، و قال السدى وابن زيد وابن قتيبة والزجاج : عاقبة . و عن ابن زيد أيضا : تصديقا . كقوله : ﴿ هَٰذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِن قَبْلُ ﴾ و كل هذه الاقوال صحيحة . والمعنى واحد ، و هذا تفسير السلف أجمعين .

٥ و منه قوله : ﴿سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِع عَّلَيْهِ صَبْراً ﴾[405].

فلما ذكر له ما ذكر قال : ﴿ ذَٰلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْراً ﴾[406]. و هذا تأويل فعله ليس هو تأويل قوله والمراد به عاقبة هذه الأفعال بما يؤول إليه ما فعلته ، من مصلحة أهل السفينة ، و مصلحة أبوى الغلام و مصلحة أهل الجدار .

١٠ و أما قول بعضهم : ردكم الى الله و الرسول أحسن من تأويلكم ، فهذا قد ذكره الزجاج عن بعضهم ، وهذ من جنس ما ذكر فى تلك الآية فى لفظ التاويل ، و هو تفسير له بالاصطلاح الحادث ، لا بلغة القرآن ، فأما قدماء المفسرين فلفظ التاويل والتفسير عندهم سواء[407]، كما يقول ابن جرير : القول فى تأويل هذه الآية . أى فى تفسيرها .

١٥ و لما كان هذا معنى التاويل عند مجاهد ، و هو امام التفسير جعل الوقف على قوله : (**والراسخون فى العلم**) . فان الراسخين فى العلم يعلمون تفسيره ، و هذا القول اختيار ابن قتيبة و غيره من اهل السنة . و كان ابن قتيبة يميل الى مذهب احمد و اسحاق ، و قد بسط الكلام على ذلك فى كتابه فى « المشكل » وغيره .

٢٠ و أما متأخروا المفسرين كالثعلبي فيفرقون[408] بين التفسير والتأويل . قال : فمعنى التفسير هو التنوير ، و كشف المغلق من المراد بلفظه ، و التأويل : صرف

---

(٤٠٤) راجع هذه الاقوال فى تفسير الطبرى (١٥١/٥ ـ ١٥٢) والدر المنثور (٥٧٩/٢) و تفسير ابن الجوزى (١١٧/٢ ـ ١١٨) .

(٤٠٥) سورة الكهف (٧٨/١٨) .

(٤٠٦) سورة الكهف (٨٢/١٨) .

(٤٠٧) راجع التفسير والمفسرون (١٩/١ ـ ٢٢) للفرق بين معانى التفسير والتاويل . وانظر الاتقان (١٧٣/٢) .

(٤٠٨) نقله البغوى و عنه احذ الخازن فى تفسيره (١٤/١) .

الآية الى معنى تحتمله يوافق ما قبلها و ما بعدها ، و تكلم فى الفرق بينهما بكلام ليس هذا موضعه ، الا أن التاويل الذي ذكره هو المعنى الثالث المتأخر ، و أبو الفرج ابن الجوزى يقول : اختلف العلماء هل التفسير والتاويل بمعنى واحد ؟ أم يختلفان ؟ فذهب قوم يميلون الى العربية : الى انهما بمعنى ،و هذا قول جمهورالمفسرين المتقدمين ،

و ذهب قوم يميلون الى الفقه : الى اختلافهما ، فقالوا : التفسير اخراج الشيء عن مقام الخفاء الى مقام التجلى ، والتاويل : نقل الكلام عن وضعه الى ما يحتاج فى اثباته الى دليل لولاه ما ترك ظاهر اللفظ ، فهو ماخوذ من قولك آل الشيء الى كذا : أى صار إليه[409] .

فهؤلاء لا يذكرون للتاويل الا المعنى الاول ، والثانى ، و أما التاويل فى لغة القرآن فلا يذكرونه ، و قد عرف ان التاويل فى القرآن هو الموجود الذى يؤول اليه الكلام ، و ان كان ذلك موافقا للمعنى الذى يظهر من اللفظ ، بل لايعرف فى القرآن لفظ التاويل مخالفا لما يدل عليه اللفظ ، خلاف اصطلاح المتأخرين .

والكلام نوعان : انشاء ، و اخبار . فالانشاء الأمر والنهى والاباحة ، و تاويل الامر والنهى نفس فعل المأمور ، و نفس ترك المحظور . كما فى الصحيح عن عائشة رضى الله عنها انها قالت : « كان رسول الله ﷺ يقول فى ركوعه و سجوده سبحانك اللهم ربنا و بحمدك اللهم اغفر لى يتأول القرآن »[410] .

فكان هذا الكلام تأويل قوله : ﴿ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ ﴾[411] .

قال ابن عيينة[412] : السنة تأويل الأمر والنهى .

(٤٠٩) الى هنا ينتهى قول ابن الجوزى فى تفسيره (٤/١) .

(٤١٠) راجع البخارى فى الاذان (١٩٩/١) و فى التفسير (٩٣/٦) و مسلم فى الصلوة (٣٥١/١) و اخرجه ايضا ابو داود (٥٤٦/١) و النسائى (٢١٩/٢ ـ ٢٢٠) وابن ماجة (٢٨٧/١ رقم ٨٨٩) و احمد (٤٣/٦، ٤٩، ١٩٠) .

(٤١١) سورة النصر (٣/١١٠) .

(٤١٢) هو الامام ابو محمد سفيان بن عيينة ، الهلالى ، الكوفى .
من ائمة الحديث ، انتهى اليه علوّ الاسناد ، و رُحل اليه من البلاد . و هو قرين الامام مالك . قال الشافعى : لولا مالك و سفيان بن عيينة لذهب علم الحجاز . توفى سنة ١٩٨هـ .
انظر ترجمته فى طبقات ابن سعد (٤٩٧/٥) الحلية (٢٧٠/٧) وفيات ابن خلكان (٣٩١/٢) تاريخ بغداد (١٧٤/٩) التذكرة (٦٢/١) طبقات الداودى (١٩٦/١) السير (٤٥٤/٨ ـ ٤٧٤) .

و قال ابو عبيدة لما ذكر اختلاف الفقهاء و أهل اللغة فى نهى النبى ﷺ عن اشتمال الصماء قال[414]: والفقهاء أعلم بالتاويل . يقول : هم اعلم بتأويل ما أمر الله به ، و ما نهى عنه ، فيعرفون أعيان الأفعال الموجودة التى أمر بها و أعيان الأفعال المحظورة التى نهى عنها .

وتفسير كلامه ليس هو نفس ما يوجد فى الخارج ؛ بل هو بيانه وشرحه وكشف معناه . فالتفسير من جنس الكلام : يفسر الكلام بكلام يوضحه . وأما التاويل فهو فعل المامور به ، وترك المنهى عنه ، ليس هو من جنس الكلام .

والنوع الثانى : الخبر كاخبار الرب عن نفسه تعالى باسمائه و صفاته ، واخباره عما ذكره لعباده من الوعد والوعيد ، وهذا هو التأويل المذكور فى قوله : ﴿ وَ لَقَدْ جِئْنَاهُمْ بِكِتَابٍ فَصَّلْنَاهُ عَلَى عِلْمٍ هُدًى وَ رَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ، هَلْ يَنْظُرُونَ إِلاَّ تَأْوِيلَهُ يَومَ يَأْتِى تَأْوِيلُهُ يَقُولُ الَّذِينَ نَسُوهُ مِن قَبْلُ قَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ ﴾[415].

وهذا كقولهم : ﴿ يَاوَيْلَنَا مَن بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ وَ صَدَقَ الْمُرْسَلُونَ ﴾[416].

ومثله قوله : ﴿ إِنْطَلِقُوا إِلَى مَا كُنْتُم بِهِ تُكَذِّبُونَ ﴾[417].

وقوله : ﴿ وَ يَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ ، قُلْ إِنَّمَا الْعِلْمُ عِنْدَاللهِ وَ إِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌمُّبِينٌ . فَلَمَّا رَأَوْهُ زُلْفَةً سِيئَتْ وُجُوهُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَ قِيلَ هَذَا الَّذِى كُنْتُمْ بِهِ تَدَّعُونَ ﴾[418] و نظائره متعددة فى القرآن .

وكذلك قوله : ﴿ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّثْلِهِ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ اللهِ إِن كُنْتُم صَادِقِينَ ، بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ وَ لَمَّا يَأْتِهِم تَأْوِيلُهُ ﴾[419].

فان ماوعدوا به فى القرآن لما يأتهم بعد ، وسوف يأتيهم .

---

(٤١٣) ابو عبيد القاسم بن سلاّم بن عبد الله .
الامام الحافظ اللغوى ، ذوالفنون ، و مصنف التصانيف المفيدة . كان حسن الرواية ، صحيح النقل . اثنى عليه كثير من العلماء . توفى سنة ٢٢٤هـ .
راجع طبقات ابن سعد (٣٥٥/٧) تاريخ بغداد (٤٠٣/١٢ ـ ٤١٩) معجم ياقوت (٢٥٤/١٦ ـ ٢٦١) انباه الرواة (١٢/٣ ـ ٢٣) وفيات ابن خلكان (٦٠/٤ ـ ٦٣) السير (٤٩٠/١٠ ـ ٥٠٨) طبقات الداودى (٣٧/٢ ـ ٤٣) .

(٤١٤) راجع غريب الحديث (١١٨/٢) .
(٤١٥) سورة الاعراف (٥٢/٧ ـ ٥٣) .
(٤١٦) سورة يس (٥٢/٣٦) .
(٤١٧) سورة المرسلات (٢٩/٧٧) .
(٤١٨) سورة الملك (٢٥/٦٨ ـ ٢٧) .
(٤١٩) سورة يونس (٣٨/١٠ ـ ٣٩) .

فالتفسير هو الاحاطة بعلمه ، والتأويل هو نفس ما وعدوا به اذا أتاهم ، فهم كذبوا بالقرآن الذى لم يحيطوا بعلمه ، ولما يأتهم تأويله ؛ وقد يحيط الناس بعلمه ، ولما يأتهم تأويله ، فالرسول ﷺ يحيط بعلم ما أنزل الله عليه ، وان كان تأويله لم يأت بعد ، وفى الحديث عن النبى ﷺ لما نزل قوله : ﴿ قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَى أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَاباً مِّن فَوقِكُمْ ﴾ الآية .[420]
قال : انها كائنة ، ولم يأت تأويلها بعد .[421]

قال تعالى ﴿ وَ كَذَّبَ بِهِ قَومُكَ وَ هُوَ الْحَقُّ قُلْ لَّسْتُ عَلَيْكُم بِوَكِيلٍ ، لِّكُلِّ نَبَإٍ مُّسْتَقَرٌّ ﴾ .[422]
قال بعضهم : موضع قرار وحقيقة ومنتهى ينتهى اليه ، فيبين حقه من باطله وصدقه من كذبه .

وقال مقاتل : لكل خبر يخبر به الله وقت ومكان يقع فيه ، من غير خلف ولا تاخير .

وقال ابن السائب[423] : لكل قول وفعل حقيقة ما كان منه فى الدنيا فستعرفونه ، وما كان منه فى الآخرة فسوف يبدو لكم ، وسوف تعلمون .

وقال الحسن : لكل عمل جزاء ، فمن عمل عملا من الخير جوزى به فى الجنة ، ومن عمل عمل سوء جوزى به النار ، وسوف تعلمون . ومعنى قول الحسن : أن الاعمال قد وقع عليها الوعد والوعيد ، فالوعد والوعيد عليها هو النبأ الذى له المستقر ، فبين المعنى ، ولم يرد ان نفس الجزاء هو نفس النبا .

وعن السدى قال : ﴿لِكُلِّ نَبَإٍمُّسْتَقَرٌّ﴾ أى ميعاد ، وعدتكوه ، فسياتيكم حتى تعرفونه .

وعن عطاء : ﴿ لِكُلِّ نَبَإٍ مُّسْتَقَرٌّ ﴾ تؤخر عقوبته ليعمل ذنبه ، فاذا عمل

(420) سورة الانعام (65/6)

(421) اخرجه احمد (171/1) والترمذى (262/5) و قال : حسن غريب .

(422) سورة الانعام (66/6 ـ 67) .

(423) اخرج الطبري بنحوه عن مجاهد (227/7) .
وقال الطبري : وكان الحسن يتأوّل في ذلك انه الفتنة التي كانت بين اصحاب رسول الله ﷺ
وراجع الدرر المنثور (291/3) .

ذنبه عاقبه ، أى لا يعاقب بالوعيد ، حتى يفعل الذنب الذى توعده عليه ، ومنه قول كثير من السلف فى آيات : هذه ذهب تأويلها ، وهذه لم يأت تأويلها ، مثل ما روى[٤٢٤] ابو الاشهب عن الحسن والربيع عن ابى العالية أن هذه الآية قرئت على ابن مسعود : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ ﴾ الآية .

فقال ابن مسعود : ليس هذا بزمانها قولوها ما قبلت منكم ، فاذا ردت عليكم فعليكم أنفسكم ، ثم قال : ان القرآن نزل حيث نزل ، فمنه آى قد مضى تأويلهن قبل أن ينزلن . ومنه آي و قع تأويلهن على عهد النبي ﷺ ، ومنه آى وقع تأويلهن بعد النبي ﷺ بيسير ، ومنه آي يقع تأويلهن بعد اليوم ، ومنه آي يقع تأويلهن فى آخر الزمان ، ومنه آي يقع تأويلهن يوم القيامة ؛ ما ذكر من الحساب والجنة والنار ، فما دامت قلوبكم وأهواؤكم واحدة ، ولم تلبسوا شيعا ، ولم يذق بعضكم بأس بعض ، فأمروا وانهوا ، فاذا اختلفت القلوب والأهواء ، وألبستم شيعا ، وذاق بعضكم بأس بعض ، فامرؤ ونفسه ، فعند ذلك جاء تأويل هذه الآية .

فابن مسعود رضى الله عنه ـ قد ذكر فى هذا الكلام تأويل الأمر ، وتأويل الخبر ، فهذه الآية ﴿ عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ ﴾ من باب الامر ، وما ذكر من الحساب والقيامة من باب الخبر ، وقد تبين أن تأويل الخبر هو وجود المخبر به ، وتأويل الامرهو فعل المأمور به فالآية التى مضى تأويلها قبل نزولها هى من باب الخبر : يقع الشيء فيذكره الله ، كما ذكر ما ذكره من قول المشركين للرسول وتكذيبهم له ، وهى وإن مضى تأويلها فهى عبرة ومعناها ثابت فى نظيرها ، ومن هذا قول ابن مسعود : خمس قد مضين ، ومنه قوله تعالى : ﴿ اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ ﴾[٤٢٥].

وإذا تبين ذلك ؛ فالمتشابه من الامر لا بد من معرفة تأويله ؛ لأنه لا بد من فعل المأمور ، وترك المحظور ، وذلك لا يمكن إلا بعد العلم ؛ لكن ليس فى القرآن ما يقتضى أن فى الامر متشابها ، فان قوله[٤٢٦] : ﴿ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ ﴾

(٤٢٤) راجع تفسير الطبرى (٧/٩٤ ـ ٩٦) والدر المنثور (٣/٢١٦) .

(٤٢٥) سورة القمر (٥٤/١) .

(٤٢٦) سورة آل عمران (٣/٧) .

قد يراد به من الخبر ، فالمتشابه من الخبر مثل ما اخبر به فى الجنة من اللحم واللبن والعسل والماء والحرير والذهب ، فان بين هذا وبين ما فى الدنيا تشابها فى اللفظ والمعنى ، ومع هذا فحقيقة ذلك مخالفة لحقيقة هذا ، وتلك الحقيقة لا نعلمها نحن فى الدنيا ، وقد قال الله تعالى : ﴿ فَلاَ تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُمْ مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾[٤٢٧].

وفى الحديث الصحيح[٤٢٨] يقول الله تعالى : « أعددت لعبادى الصالحين مالا عين رأت ، ولا أذن سمعت ،ولا خطر على قلب بشر » .

فهذا الذى وعد الله به عباده المومنين لا تعلمه نفس هو من التأويل الذى لا يعلمه إلا الله ، و كذلك وقت الساعة لا يعلمه إلا الله و اشراطها ، وكذلك كيفيات ما يكون فيها من الحساب والصراط والميزان والحوض والثواب والعقاب لا يعلم كيفيته إلا الله ، فانه لم يخلق بعد حتى تعلمه الملائكة ، ولا له نظير مطابق من كل وجه حتى يعلم به ، فهو من تأويل المتشابه الذى لا يعلمه الا الله .

وكذلك ما أخبر به الرب عن نفسه مثل استوائه على عرشه وسمعه وبصره وكلامه وغير ذلك ، فان كيفيات ذلك لا يعلمها إلا الله ، كما قال ربيعة[٤٢٩] بن أبى عبد الرحمن ، ومالك بن انس . وسائر أهل العلم . تلقوا هذا الكلام عنها بالقبول لما قيل : ﴿الرَّحْمَٰنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ﴾[٤٣٠] كيف استوى ؟ فقال : الاستواء معلوم ، والكيف مجهول ، والايمان به واجب ، والسؤال عنه بدعة . هذا لفظ مالك . فأخبر أن الاستواء معلوم وهذا تفسير اللفظ ، وأخبر ان الكيف مجهول ، وهذا هو الكيفية التى استأثر الله بعلمها .

---

(٤٢٧) سورة الم سجدة (١٧/٣٢) .

(٤٢٨) رواه البخارى و مسلم . و هو فى شعب الايمان للبيهقى . و انظر تخريجه فيه .

(٤٢٩) ربيعة بن ابى عبد الرحمن ، المعروف بربيعة الراى .
مفتى المدينة ، و عالم الوقت ، من صغار التابعين ، و ائمة الاجتهاد ، عنه اخذ مالك بن انس . توفى سنة ١٣٦هـ .
راجع تاريخ بغداد (٤٢٠/٨) وفيات ابن خلكان (٢٨٨/٢ ـ ٢٩٠) السير (٩٨/٦ ـ ٩٦) التذكرة (١٥٧/١) .

(٤٣٠) سورة طه (٥/٢٠) و قول مالك نقله الذهبى بسنده فى السير (١٠٠/٨) فى ترجمته الامام المبسوطة (٤٨/٨ ـ ١٣٥) و ذكره ايضا ابو نعيم فى الحلية (٣٢٥/٦ ـ ٣٢٦) .

وكذلك سائر السلف كابن الماجشون[٤٣١] ؛ واحمد بن حنبل ، وغيرهما يبينون أن العباد لا يعلمون كيفية ماأخبر الله به عن نفسه ، فالكيف هو التأويل الذى لا يعلمه إلا الله . وأما نفس المعنى الذى بيّنه الله فيعلمه الناس كل على قدر فهمه ، فانهم يفهمون معنى السمع ، ومعنى البصر ، وأن مفهوم هذا ليس هو مفهوم هذا ، ويعرفون الفرق بينهما ، وبين العليم والقدير ، وان كانوا لا يعرفون كيفية سمعه وبصره ، بل الروح التى فيهم يعرفونها من حيث الجملة ، ولا يعرفون كيفيتها ، كذلك يعلمون معنى الاستواء على العرش ،وانه يتضمن علوالرب على عرشه ، وارتفاعه عليه ، كما فسره بذلك السلف قبلهم ، وهذا معنى معروف من اللفظ لا يحتمل فى اللغة غيره ، كما قد بسط فى موضعه ؛ ولهذا قال مالك : الاستواء معلوم .

ومن قال : الاستواءله معان متعددة فقد أجمل كلامه ، فانهم يقولون : استوى فقط . ولا يصلونه بحرف ، وهذا له معنى . ويقولون : استوى على كذا وله معنى ، واستوى إلى كذا ، وله معنى ، واستوى مع كذا وله معنى ، فتتنوع معانيه بحسب صلاته . وأما استوى على كذا فليس فى القرآن ولغة العرب المعروفة الا بمعنى واحد .

قال تعالى : ﴿ فَـآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ ﴾[٤٣٢].

وقال : ﴿ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِى ﴾[٤٣٣].

وقال : ﴿لِتَسْتَوُوا على ظُهُورِهِ ثُمَّ تَذْكُرُوا نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا اسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ ﴾[٤٣٤].

وقال : ﴿ فَإِذَا اسْتَوَيْتَ أَنْتَ وَ مَن مَّعَكَ عَلَى الْفُلْكِ ﴾[٤٣٥].

---

(٤٣١) هو عبد الملك بن عبد العزيز بن عبد الله بن ابى سلمة بن الماجشون ، المدنى .
تلميذ الامام مالك ، كان مفتى اهل المدينة فى زمانه ، لم يكن من فرسان الحديث . توفى سنة ٢١٣هـ .
ترجمته فى طبقات ابن سعد (٤٤٢/٥) و فيات ابن خلكان (١٦٦/٣) ميزان الاعتدال (٦٥٨/٢) السير (٣٥٩/١٠) .

(٤٣٢) سورة الفتح (٢٩/٤٨) .

(٤٣٣) سورة هود (٤٤/١١) .

(٤٣٤) سورة الزخرف (١٣/٤٣) .

(٤٣٥) سورة المومنون (٢٨/٢٣) .

وقد اتى النبي ﷺ[٤٣٦] بدابة ليركبها فلما وضع رجله فى الغرز قال : « بسم الله » فلما استوى على ظهرها قال : « الحمد لله » .
وقال ابن عمر[٤٣٧] : أهل رسول الله ﷺ بالحج لما استوى على بعيره .

وهذا المعنى يتضمن شيئين : علوه على ما استوى عليه ، واعتداله أيضا . فلا يسمون المائل على الشيء مستويا عليه ، ومنه حديث الخليل بن[٤٣٨] أحمد لما قال : استووا. وقوله :

استـــــوى بِشر على العراق   من غير سيف او دم مُهراق

هو من هذا الباب ؛ فان المراد به بشر بن مروان[٤٣٩] ، واستواؤه عليها أى على كرسي ملكها ، لم يرد بذلك مجرد الاستيلاء ، بل استواء منه عليها ؛ اذ لو كان كذلك لكان عبد الملك الذى هو الخليفة قد استوى ايضا على العراق ، وعلى سائر مملكة الاسلام ، ولكان عمر بن الخطاب قد استوى على العراق وخراسان والشام ومصر ، وسائر ما فتحه ، ولكان رسول الله ﷺ قد استوى على اليمن وغيرها مما فتحه . ومعلوم أنه لم يوجد فى كلامهم استعمال الاستواء فى شيء من هذا ، وانما قيل فيمن استوى بنفسه على بلد ؛ فانه مستو على سرير ملكه ، كما يقال جلس فلان على السرير ، وقعد على التخت . ومنه قوله : ﴿ وَ رَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَ خَرُّوا لَهُ سُجَّدًا ﴾[٤٤٠] .
وقوله : ﴿ إِنِّي وَجَدتُّ امرأَةً تَمْلِكُهُمْ وَ أُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَيْءٍ وَ لَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ ﴾[٤٤١] .

(٤٣٦) اخرجه الترمذى فى الدعوات (٥٠١/٥) و ابوداود فى الجهاد (٧٧/٣) والنسائى فى عمل اليوم والليلة (٥٠٢) عن على بن ابى طالب .

(٤٣٧) الرواية فى الصحيحين و فى غيرهما ، و لكن عندهما بلفظ «استوت به راحلته» .

(٤٣٨) الخليل بن احمد الفراهيدى ، ابو عبد الرحمن .
امام النحو ، صاحب العربية ، و منشئ علم العروض ، كان راسا فى لسان العرب ورعا ، متواضعا كبير الشان . مات فى سنة بضع و ستين .
راجع معجم ياقوت (٧٢/١١ ـ ٧٧) انباه الرواة (٣٤١/١ ـ ٣٤٧) وفيات ابن خلكان (٢٤٤/٢ ـ ٢٤٨) السير (٤٢٩/٧) .

(٤٣٩) اخو عبد الملك بن مروان ـ ولى له العراقين بعد مقتل مصعب ، توفى سنة ٧٥هـ .

(٤٤٠) سورة يوسف (١٠٠/١٢) .

(٤٤١) سورة النمل (٢٣/٢٧) .

وقول الزمخشرى وغيره[٤٤٢] : « استوى على كذا بمعنى ملك » دعوى مجردة . فليس لها شاهد فى كلام العرب ، ولو قدر ذلك لكان هذا المعنى باطلا فى استواء الله على العرش ؛ لأنه أخبر أنه خلق السموات والارض فى ستة ايام ، ثم استوى على العرش ، وقد أخبر أن العرش كان موجودا قبل خلق السموات والارض ، كما دل على ذلك الكتاب والسنة ، وحينئذ فهو من حين خلق العرش مالك له مستول عليه ، فكيف يكون الاستواء عليه مؤخرا عن خلق السموات والارض ؟! .

وأيضا فهو مالك لكل شيء مستول عليه ، فلا يخص العرش بالاستواء وليس هذا كتخصيصه بالربوبية فى قوله : ﴿ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴾[٤٤٣] فانه قد يخص لعظمته ، ولكن يجوز ذلك فى سائر المخلوقات فيقال : رب العرش ، ورب كل شيء ، وأما الاستواء فمختص بالعرش ، فلا يقال استوى على العرش وعلى كل شيء ، ولا استعمل ذلك أحد من المسلمين فى كل شيء ، ولا يوجد فى كتاب ولا سنة ، كما استعمل لفظ الربوبية فى العرش خاصة ، وفى كل شيء عامة ، وكذلك لفظ الخلق ونحوه من الالفاظ التى تخص ، وتعم . كقوله تعالى : ﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِى خَلَقَ ، خَلَقَ الإنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ ﴾[٤٤٤] .
فالاستواء من الالفاظ المختصة بالعرش ، لا تضاف الى غيره ، لا خصوصا ولا عموما ، وهذا مبسوط فى موضع آخر .

وانما الغرض بيان صواب كلام السلف فى قولهم : الاستواء معلوم ، بخلاف من جعل هذا اللفظ له بضعة عشر معنى . كما ذكر ذلك ابن عربى المعافرى[٤٤٥] .

---

(٤٤٢) ابو القاسم محمود بن عمر بن محمد الخوازمى ، الملقب بجار الله ، الزمخشرى .
من كبار علماء المعتزلة ، نبغ فى اللغة والنحو ، والتفسير ، و صنف تصانيف بديعة . تفسيره «الكشاف» من اهم التفاسير ، و ان كان مال فيه الى الانتصار لمذهبه الاعتزالى ، والهجوم على اهل السنة . توفى سنة ٥٣٨هـ .
انظر تفسير والمفسرون (٤٢٩/١ ـ ٤٨٢) طبقات الداودى (٣١٤/٢ ـ ٣١٧) معجم ياقوت (١٢٦/١٩ ـ ١٣٥) انباه الرواة (٢٦٥/٣ ـ ٢٧٢) وفيات ابن خلكان (١٦٨/٥ ـ ١٧٤) السير (١٥١/٢٠ ـ ١٥٦) .

(٤٤٣) سورة يونس (١٢٩/١٠) . (٤٤٤) سورة العلق (١/٩٦ ـ ٢) .

(٤٤٥) هو القاضى ابو بكر محمد بن عبد الله بن احمد ، المعافرى ، الاندلسى ، الاشبيلى ، المالكى .
العلامة ، احد كبار فقهاء المذهب المالكى ، صاحب التصانيف . رحل الى الشرق ثم رجع الى الاندلس ، و توفى بفاس سنة ٥٤٣هـ .
من اهم كتبه «احكام القرآن» .
ترجمته فى الصلة لابن بشكوال (٥٩٠/٢) وفيات ابن خلكان (٢٩٦/٤) الوافى (٣٣٠/٣) الديباج المذهب لابن فرحون (٢٥٢/٢ ـ ٢٥٦) السير (١٩٧/٢٠ ـ ٢٠٣) و راجع التفسير والمفسرون (٤٤٨/٢ ـ ٤٥٦) طبقات الداودى (١٦٧/٢ ـ ١٧٠) .

يبين هـذا أن سبب نزول هـذه الآية[٤٤٦] كان قـدوم نصـارى نجران ومنـاظرتهم للنبى ﷺ فى أمر المسيح ، كما ذكر ذلـك أهـل التفسير ، وأهـل السيرة ، وهـو من المشهـور ، بـل من المتـواتر ان نصـارى نجران قـدمـوا على النبى ﷺ ودعـاهم إلى المباهلة المـذكورة فى سورة آل عمران ، فـاقروا بـالجزيـة ولم يبـاهلوه ، وصـدرآل عمران نزل بسبب ما جرى ، ولهـذا عـامتهـا فى أمر المسيح ، وذكروا أنهم احتجوا بمـا فى القرآن من لفـظ ﴿إِنَّـا﴾ و﴿ نَحْنُ ﴾ ونحو ذلـك على أن الآلهـة ثلاثـة فـاتبعوا المتشـابـه وتركـوا المحكم الـذى فى القرآن من أن الالـه واحـد ﴿ ابْتِغَـاء الْفِتْنَة ، وابْتِغَاء تَأْوِيلَهُ ﴾ فانهم قصـدوا بـذلـك الفتنـة ، وهى فتنـةالقلوب بالكفر وابتغاء تاويل لفظ ﴿ انَّـا ﴾ و﴿ نَحْنُ ﴾ ﴿ وَ مَـا يَعْلَمُ تَـأْوِيل ﴾ هذه الاسماء ﴿ إِلاَّ اللهُ ﴾ لأن هذه الاسماء انما تقال للواحد الـذى لـه أعوان إمـا أن يكونوا شركاء له ، وإما أن يكونوا مماليك له . ولهذا صارت متشابهـة ، فـان الذى معه شركاء يقول : فعلنا نحن كـذا ، وانـا نفعل نحن كـذا ، وهـذا ممتنع فى حق الله تعالى ،والـذى لـه ممـاليـك و مطيعون يطيعونـه ـــ كالملـك ـــ يقول : فعلنا كذا . أى أنا فعلت بأهل ملكى وملكى ، وكل ما سوى الله مخلوق لـه مملوك له ، وهو سبحانه يدبر أمر العالم بنفسـه ، وملائكتـه التى هى رسلـه فى خلقـه و أمره ، وهو سبحانه أحق من قال : « أنـا » و « نحن » بهـذا الاعتبـار ، فـان مـا سواه ليس له ملك تام ، ولا أمر مطاع طاعـة تـامـة ، فهو المستحق أن يقول : ﴿ إِنَّا ﴾ و﴿ نَحن ﴾ ، والملوك لهم شبه بهذا ، فصار فيـه ايضـا من المتشـابـه معنى آخر ، ولكن الـذى ينسب لله من هـذا الاختصـاص لا يمـاثلـه فيـه شيء ، وتأويل ذلـك معرفـة ملائكتـه وصفـاتهم واقـدارهم ، وكيف يـدبر بهم أمر السماء والارض .

وقد قال تعالى : ﴿ وَ مَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلاَّ هُوَ ﴾[٤٤٧].

فهذا التأويل لهذا المتشابه لا يعلمه إلا هو ، وان علمنـا تفسيره ومعنـاه ؛ لكن لم نعلم تاويله الواقع فى الخارج ؛ بخلاف قوله : ﴿ اللهُ الَّذِى خَلَقَ ﴾[٤٤٨].

(٤٤٦) اى الآية رقم ٧ من سورة آل عمران .

(٤٤٧) سورة المدثر (٣١/٧٤) .

(٤٤٨) سورة السجدة (٤/٣٢) .

فانها آية محكمة ليس فيها تشابه ، فان هذا الاسم مختص بالله ، ليس مثل ﴿ إِنَّا ﴾ و﴿ نَحْنُ ﴾ التى تقال لمن له شركاء ، ولمن له أعوان يحتاج إليهم ، والله تعالى منزه عن هذا و هذا . كما قال : ﴿ قُلْ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِّن دُونِ اللهِ لاَ يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَ لاَ فِي الأَرْضِ وَ مَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ وَ مَالَهُ مِنهُمْ مِّن ظَهِيرٍ ﴾[(٤٤٩)].

و قال ﴿ قُلِ الْحَمْدُ للهِ الَّذِى لَمْ يَتَّخِذْ وَلَداً وَ لَمْ يَكُن لَّهُ شَرِيكٌ فِى الْمُلْكِ وَ لَمْ يَكُن لَّهُ وَلِىٌّ مِّنَ الذُّلِّ وَ كَبِّرْهُ تَكْبِيرًا ﴾[(٤٥٠)].

فالمعنى الذى يراد به هذا فى حق المخلوقين لا يجوز ان يكون نظيره ثابتا لله ؛ فلهذا صار متشابها .

وكذلك قوله : ﴿ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ ﴾[(٤٥١)] فانه قد قال : ﴿ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِىِّ ﴾[(٤٥٢)] وقال : ﴿ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ ﴾[(٤٥٣)] و قال : ﴿ فَإِذَا اسْتَوَيتَ أَنتَ وَ مَن مَّعَكَ عَلَى الْفُلْكِ ﴾[(٤٥٤)] وقال :﴿لِتَسْتَوُوا عَلَى ظُهُورِهِ ﴾[(٤٥٥)] فهذا الاستواء كله يتضمن حاجة المستوى الى المستوى عليه ، وأنه لو عدم من تحته لخرّ ، والله تعالى غنى عن العرش ، وعن كل شيء ، بل هو سبحانه بقدرته يحمل العرش ، وحملة العرش ، وقد روى : انهم إنما أطاقوا حمل العرش لماأمرهم ان يقولوا : لا حول ولا قوة الا بالله .

فصار لفظ الاستواء متشابها يلزمه فى حق المخلوقين معانى ينزّه الله عنها ، فنحن نعلم معناه ، وانه العلو والاعتدال ؛ لكن لا نعلم الكيفية التى اختص بها الرب التى يكون بها مستويا من غير افتقار منه الى العرش ، بل مع حاجة العرش ، وكل شيء محتاج إليه من كل وجه ، وانا لم نعهد فى الموجودات ما يستوى على غيره مع غناه عنه وحاجة ذلك المستوَى عليه الى المستوِى ، فصار متشابها من هذا الوجه ، فان بين اللفظين والمعنيين قدرا مشتركا ، وبينهما قدرا فارقا هو مراد فى كل منهما ، ونحن نعرف الفارق الذى امتاز الرب به ، فصرنا نعرفه من وجه ، ونجهله من وجه ، وذلك هو تاويله ، والاول هو تفسيره .

(٤٤٩) سورة سبا (٢٢/٣٤) .
(٤٥٠) سورة الاسراء (١١١/١٧) .
(٤٥١) سورة السجدة (٤/٣٢) .
(٤٥٢) سورة هود (٤٤/١١) .
(٤٥٣) سورة الفتح (٢٩/٤٨) .
(٤٥٤) سورة المومنون (٨/٢٣) .
(٤٥٥) سورة الزخرف (١٣/٤٣) .

و كذلك ما اخبر الله به فى الجنة من المطاعم والمشارب والملابس : كاللبن والعسل والخمر والماء ، فانا لا نعرف لبنا الا مخلوقا من ماشية يخرج من بين فرث و دم ، واذا بقى اياما يتغير طعمه ، و لا نعرف عسلا الا من نحل تصنعه فى بيوت الشمع المسدسة ، فليس هو عسلا مصفى ، ولا نعرف حريرا الا من دود القز ، وهو يبلى ، وقد علمنا ان ما وعد الله به عباده ليس مماثلا لهذه ، لا فى المادة ، ولا فى الصورة والحقيقة ، بل له حقيقة تخالف حقيقة هذه ، وذلك هو من التاويل الذى لا نعلمه نحن ، قال ابن عباس[456] : ليس فى الدنيا مما فى الجنة الا الاسماء .

لكن يقال : فالملائكة قد تعلم هذا ، فيقال : هى لا تعلم ما لم يخلق بعد ولا تعلم كل ما فى الجنة ، وايضا فمن النعم مالا تعرفه الملائكة ، والتاويل يتناول هذا كله . واذا قدرنا انها تعرف مالا نعرفه فذاك لا يكون من المتشابه عندها ، ويكون من المتشابه عندنا ، فان المتشابه قد يراد به ما هو صفة لازمة للآية ، وقد يراد به ما هو من الامور النسبية ، فقد يكون متشابها عند هذا مالا يكون متشابها عند هذا .

وكلام الامام احمد وغيره من السلف يحتمل ان يراد به هذا فان احمد ذكر فى رده على الجهمية :☆ انها احتجت بثلاث آيات من المتشابه : قوله تعالى : ﴿ وَ هُوَ اللهُ فِي السَّمَواتِ وَ فِي الأَرْضِ ﴾[457] .

وقوله : ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ﴾[458] .

وقوله : ﴿ لاَ تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ ﴾[459] .

و قد فسر احمد قوله : ﴿ وَ هُوَ اللهُ فِي السَّمَواتِ وَ فِي الأَرْضِ ﴾ . فاذا كانت هذه الآيات مما علمنا معناها لم تكن متشابهة عندنا ، وهى متشابهة عند من احتج بها ، وكان عليه ان يردها هو الى ما يعرفه من المحكم ، وكذلك قال احمد فى ترجمة كتابه الذى صنفه فى الحبس ، وهو (الرد على الزنادقة والجهمية فيما شكت فيه من متشابه القرآن ، وتأولته على غير تأويله)ثم فسر احمد تلك الآيات آيةآية ، فبين انها ليست متشابهة عنده بل قد عرف معناها .

(456) اخرجه الطبرى فى تفسيره (١٧٤/١) و قد مرّ .

(457) سورة الانعام (٣/٦) .

(458) سورة الشورى (١١/٤٢) .

(459) سورة الانعام (١٠٤/٦) .

☆ راجع الرد على الزنادقة والجهمية ص ٢٤

وعلى هذا فالراسخون فى العلم يعلمون تأويل هذا المتشابه ، الذى هو تفسيره ، وأما التأويل الذى هو الحقيقة الموجودة فى الخارج فتلك لا يعلمها الا الله ، ولكن قد يقال هذا المتشابه الاضافى ليس هو المتشابه المذكور فى القرآن ، فان ذلك قد أخبر الله انه لا يعلم تاويله الا الله ، وإنما هذا كما يشكل على كثير من الناس آيات لا يفهمون معناها ، وغيرهم من الناس يعرف معناها وعلى هذا فقد يجاب بجوابين :

احدهما : ان يكون فى الآية قراءتان قراءة من يقف على قوله ﴿ إلاَّ الله ﴾ وقراءة من يقف عند قوله ﴿ والراسخون فى العلم ﴾ وكلتا القراءتين حق ، ويراد بالاولى المتشابه فى نفسه الذى استاثر الله بعلم تأويله ، ويراد بالثانية المتشابه الاضافى الذى يعرف الراسخون تفسيره، وهوتأويله ، ومثل هذا يقع فى القرآن كقوله : ﴿ وَ إن كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ ﴾[٤٦٠] و ﴿ لِتَزُولَ ﴾ فيه قراءتان مشهورتان بالنفى والاثبات وكل قراءة لها معنى صحيح .

وكذلك القراءة المشهورة : ﴿ وَاتَّقُوا فِتْنَةً لاَّ تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً ﴾[٤٦١] وقرأ طائفة من السلف ﴿ لَتُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنكُمْ خَاصَّةً ﴾ و كلا القراءتين حق ، فان الذي يتعدى حدود الله هو الظالم وتارك الانكار عليه قد يجعل غير ظالم لكونه لم يشاركه ، وقد يجعل ظالما باعتبار ما ترك من الانكار الواجب وعلى هذا قوله : ﴿ فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ أَنْجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَ أَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَذَابٍ بَئِيسٍ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴾[٤٦٢] .

فانجى الله الناهين . وأما اولئك الكارهون للذنب الذين قالوا : ﴿ لِمَ تَعِظُونَ قَوماً ﴾[٤٦٣] فالأكثرون على انهم نجوا لأنهم كانوا كارهين ، فانكروا بحسب قدرتهم .

(٤٦٠) سورة ابراهيم (١٤/٤٦) .

(٤٦١) سورة الانفال (٨/٢٥) .

(٤٦٢) سورة الاعراف (٧/١٦٥) .

(٤٦٣) سورة الاعراف (٧/١٦٤) .

وأما من ترك الانكار مطلقا فهو ظالم يعذب . كما قال النبي ﷺ : « ان الناس اذا رأوا المنكر فلم يغيروه اوشك ان يعمهم الله بعقاب منه »[٤٦٤] وهذا الحديث موافق للآية .

والمقصود هنا انه يصح النفي والاثبات باعتبارين ، كما ان قوله : ﴿ لاَّ تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً ﴾ .
أى لا تختص بالمعتدين ، بل يتناول من رأى المنكر فلم يغيره ومن قرأ : ﴿ لَتُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً ﴾ .
أدخل فى ذلك من ترك الانكار مع قدرته عليه ، وقد يراد بذلك أنهم يعذبون فى الدنيا ، ويبعثون على نياتهم ، كالجيش الذين يغزون البيت فيخسف بهم كلهم ، ويحشر المكره على نيته .

والجواب الثانى : القطع بان المتشابه المذكور فى القرآن هو تشابهها فى نفسها اللازم لها ، وذاك الذى لا يعلم تأويله الا الله ، وأما الاضافى الموجود فى كلام من اراد به التشابه الاضافى ، فمرادهم انهم تكلموا فيما اشتبه معناه واشكل معناه على بعض الناس ، وان الجهمية استدلوا بما اشتبه عليهم واشكل ، وان لم يكن هو من المتشابه الذى لا يعلم تأويله إلا الله ، وكثيرا ما يشتبه على الرجل ما لا يشتبه على غيره .

ويحتمل كلام الامام احمد انه لم يرد الا المتشابه فى نفسه ، الذى يلزمه التشابه ، ولم يرد بشيء منه التشابه الاضافى ، وقال « تأولته على غير تأويله » أى غير تأويله الذى هو تأويله فى نفس الامر ، وان كان ذلك التأويل لا يعلمه الا الله ، وأهل العلم يعلمون ان المراد به ذلك التاويل ، فلا يبقى مشكلا عندهم محتملا لغيره ، ولهذا كان المتشابه فى الخبريات إما عن الله ، وإما عن الآخرة ، وتاويل هذا كله لا يعلمه الا الله ، بل المحكم من القرآن قد يقال : له تأويل كما للمتشابه تأويل . كما قال : ﴿ هَلْ يَنْظُرُونَ إلاَّ تَأْوِيلَهُ ﴾[٤٦٥] ومع هذا فذلك التاويل لا يعلم وقته وكيفيته الا الله ، وقد يقال : بل التأويل للمتشابه ، لأنه فى الوعد والوعيد ، وكله متشابه ، وأيضا فلا يلزم فى كل آية ظنها بعض الناس متشابها ان تكون من المتشابه :

(٤٦٤) رواه احمد (٢/١،٥،٩) و ابن ماجة فى الفتن (١٣٣٧/٢ رقم ٤٠٠٥) عن ابى بكر الصديق ، و روى بلفظ مختلف عند الترمذى (٢٥٧/٥) و ابى داود (٥١٠/٤) .
(٤٦٥) سورة الاعراف (٥٣/٧) .

فقول أحمد : احتجوا بثلاث آيات من المتشابه ، وقوله ما شكت فيه من متشابه القرآن ، قد يقال ان هؤلاء أو أن احمد جعل بعض ذلك من المتشابه وليس منه ، فان قول الله تعالى : ﴿ مِنْهُ ءايَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَ أُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ ﴾.[٤٦٦]

لم يرد به هنا الاحكام العام والتشابه العام الذى يشترك فيه جميع آيات القرآن ، وهو المذكور فى قوله : ﴿ كِتَابٌ أُحْكِمَتْ ءايَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ ﴾.[٤٦٧]

وفى قوله : ﴿ اللهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَاباً مُتَشَابِهاً مَثَانِى تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم ﴾.[٤٦٨]

فوصفه هنا كله بأنه متشابه ، أي متفق غير مختلف ، يصدق بعضه بعضا ، وهو عكس المتضاد المختلف المذكور فى قوله : ﴿ وَ لَو كَانَ مِن عِنْدِ غَيْرِ اللهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلا فاً كَثِيراً ﴾.[٤٦٩]

و قوله : ﴿ إِنَّكُمْ لَفِي قَولٍ مُخْتَلِفٍ ، يُؤْفَكُ عَنْهُ مَن أُفِكَ ﴾.[٤٧٠]

فان هذا التشابه يعم القرآن ، كما أن إحكام آياته تعمه كله ، وهنا قد قال : ﴿ مِنْهُ ءايَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَ أُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ ﴾ . فجعل بعضه محكما و بعضه متشابها ، فصار التشابه له معنيان .

وله معنى ثالث و هو الاضافى ، يقال قد اشتبه علينا هذا ، كقول بنى اسرائيل : ﴿ إِنَّ الْبَقَرَ تَشَابَهَ عَلَيْنَا ﴾.[٤٧١] وان كان فى نفسه متميزا منفصلا بعضه عن بعض ، وهذا من باب اشتباه الحق بالباطل ، كقوله ﷺ فى الحديث :[٤٧٢] « الحلال بين والحرام بين . وبين ذلك أمور متشابهات لا يعلمهن كثير من الناس » .

(٤٦٦) سورة آل عمران (٧/٣) .

(٤٦٧) سورة هود (١/١١) .

(٤٦٨) سورة الزمر (٢٣/٣٩) .

(٤٦٩) سورة النساء (٨٢/٤) .

(٤٧٠) سورة الذاريات (٨/٥١ ـ ٩) .

(٤٧١) سورة البقرة (٧٠/٢) .

(٤٧٢) اخرجه البخارى و مسلم و هو فى شعب الايمان للبيهقى و انظر تخريجه هناك

فدل ذلك على أن من الناس من يعرفها ، فليست مشتبهة على جميع النـاس ، بل على بعضهم ، بخلاف ما لا يعلم تأويلـه إلا الله ، فـان النـاس كلهم مشتركون فى عدم العلم بتأويله ، ومن هذا ما يروى عن المسيح ـــ عليه السلام ـــ انه قـال : الامور ثلاثة : أمر تبين رشده فاتبعوه ، وأمر تبين غيـه فـاجتنبوه ، وأمر اشتبـه عليكم فكِلوه الى عالمه . ٥

فهـذا المشتبـه على بعض الناس يمكن الآخرين ان يعرفوا الحق فيـه ويبينوا الفرق بين المشتبهين . وهذا هو الذى اراده من جعل الراسخين يعلمون التاويل ، فانه جعل المشتبهـات فى القرآن من هـذا البـاب الـذى يشتبـه على بعض النـاس دون بعض ، ويكون بينهما من الفروق المانعة للتشابه ما يعرفـه بعض النـاس ، وهـذا صحيـح فى نفسـه لا ينكر ، ولا ريب أن الراسخين فى العلم يعلمون مـا ١٠ اشتبه على غيرهم ، وقد يكون هذا قراءة فى الآية كما تقدم ، من انـه يكون فيهـا قراءتان ؛ لكن لفظ التاويل على هذا يراد به التفسير ، ووجه ذلـك انهم يعلمون تـأويلـه من حيث الجملـة ، كما يعلمون تـأويل المحكم ، فيعرفـون الحسـاب والميزان والصراط والثواب والعقاب وغير ذلـك ممـا أخبر الله بـه و رسولـه معرفـة مجملـة ، فيكونون عالمين بالتأويل ، وهو ما يقع فى الخارج على هذا الوجـه ، ولا يعلمونـه ١٥ مفصلا ، إذ هم لا يعرفون كيفيته و حقيقته ، اذ ذلك ليس مثل الـذى علموه فى الدنيا و شاهدوه ، وعلى هذا يصح أن يقال علموا تأويله ، وهو معرفـة تفسيره ، ويصح أن يقال لم يعلموا تأويله ، وكلا القراءتين حق .

وعلى قراءة النفى هل يقال ايضا : ان المحكم له تاويل لا يعلمون تفصيلـه ؟ فان قوله : و ما يعلم تاويل ما تشابـه منـه ﴿ إلاَّ الله ﴾ لا يـدل على ان غيره ٢٠ يعلم تاويل المحكم ، بل قد يقال : ان من المحكم ايضا مـالا يعلم تـاويلـه الا الله ، وانما خص المتشابه بالـذكر ، لأن اولئـك طلبوا علم تـأويلـه ، أو يقـال بل المحكم يعلمون تأويله لكن لا يعلمون وقت تأويله ومكانه وصفته .

وقد قال كثير من السلف[٤٧٣] : إن المحكم ما يعمل به ، والمتشابـه مـا يؤمن بـه ، ولا يعمل به ، كما يجيء فى كثير من الآثـار ، ونعمل بمحكمه ؛ ونؤمن بمتشـابهـه ، ٢٥

(٤٧٣) راجع فى تفسير «المحكم» و «المتشابه» تفسير ابن الجوزى (٣٥٠/١ ـ ٣٥٢) .
و للمؤلف رسالة «الاكليل فى المتشابه والتاويل» تناول هذه المشكلة بوضوح .

وكما جاء عن ابن مسعود[٤٧٤] وغيره فى قوله تعالى : ﴿ الَّذِينَ ءاتَيْنَاهُم الْكِتَابَ يَتْلُونَه حَقّ تِلاوَتِهِ ﴾ .

قال يحللون حلاله ، ويحرمون حرامه ، ويعملون بمحكمه ، ويؤمنون بمتشابهه . وكلام السلف فى ذلك يدل على ان التشابه أمر اضافى . فقد يشتبه على هذا مالا يشتبه على هذا ، فعلى كل احد ان يعمل بما استبان له ، و يكل ما اشتبه عليه الى الله ، كقول ابى بن كعب[٤٧٥] — رضى الله عنه — فى الحديث الذى رواه الثورى عن مغيرة —وليس بالضبّي— عن ابى العالية ، قال : قيل لأبى بن كعب أوصنى فقال : اتخذ كتاب الله اماما ، ارض به قاضيا ، وحاكما ، هو الذى استخلف فيكم رسوله شفيع مطاع ، وشاهد لا يتهم ، فيه خبر ما قبلكم ، وخبر ما بينكم ، وذكر ما قبلكم ،وذكر ما فيكم .

وقال سفيان عن رجل سماه عن ابن ابزى عن ابى قال : فما استبان لك فاعمل به ، وما شبه عليك فآمن به ، وكله إلى عالمه .

فمنهم من قال : المتشابه هو المنسوخ ، ومنهم من جعله الخبريات مطلقا ، فعن قتادة والربيع والضحاك والسدى المحكم الناسخ الذى يعمل به : والمتشابه المنسوخ يؤمن به ، ولا يعمل به ، وكذلك فى تفسير العوفى عن ابن عباس .

وأما تفسير الوالبى عن ابن عباس فقال: محكمات القرآن : ناسخه وحلاله وحرامه وفرائضه ، وما يؤمن به ، ويعمل به .

والمشتبهات : منسوخه ، ومقدمه ، ومؤخره ، وأمثاله وأقسامه ، وما يؤمن به ، ولا يعمل به .

أما القول الأول فهو — والله أعلم — ماخوذ من قوله : ﴿ فَيَنْسَخُ اللهُ مَا يُلْقِي الشَّيطَانُ ثُمّ يُحْكِمُ اللهُ ءايَاتِهِ ﴾[٤٧٦].

فقابل بين المنسوخ وبين المحكم ، وهو سبحانه إنما اراد نسخ ما القاه الشيطان ؛ لم

(٤٧٤) راجع الطبرى (٥١٩/١) .

(٤٧٥) و اخرجه ابو نعيم فى الحلية من طريق ابى خالد عن المغيرة بن مسلم عن الربيع بن انس عن ابى العالية به (٢٥٣/١) والمغيرة بن مسلم من رجال التهذيب صدوق ،وهو-كماقال المؤلف-غيرالضبي-المغيرة بن مقسم

(٤٧٦) سورة الحج (٥١/٢٢) .

يرد نسخ ما أنزلـه ، لكن هم جعلوا جنس المنسوخ متشابها لأنـه يشبـه غيره فى التلاوة والنظم ، وانـه كلام الله وقرآن ومعجز و غير ذلـك من المعانى ، مـع ان معناه قد نسخ .

ومن جعل المتشابه كل ما لا يعمل بـه من المنسوخ ، والاقسام والامثال ، فلأن ذلك متشابه ، و لم يؤمر الناس بتفصيله ، بل يكفيهم الايمان المجمل بـه ، بخلاف المعمول بـه فـانـه لا بـد فيـه من العلم المفصل . وهذا بيـان لما يلزم كل الامة ، فـانهم يلزمهم معرفـة مـا يعمل بـه تفصيلا ليعملوا بـه ، ومـا أخبروا بـه فليس عليهم معرفته ، بل عليهم الايمان به ،وان كان العلم به حسنـا أو فرضـا على الكفاية فليس فرضا على الأعيان ؛ بخلاف ما يعمل به ، ففرض على كل انسان معرفة ما يلزمه من العمل مفصلا ، وليس عليه معرفة العلميات مفصلا .

وقد روى عن مجاهد[٤٧٧] وعكرمة : المحكم ما فيـه من الحلال والحرام ، ومـا سوى ذلك متشابه يصدق بعضه بعضا . فعلى هذا القول يكون المتشابه هو المـذكور فى قوله : ﴿ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانِي ﴾[٤٧٨] . والحلال مخـالف للحرام ، وهـذا على قول مجاهد : ان العلماء يعلمون تأويله ؛ لكن تفسير المتشابـه بهذا مع ان كل القرآن متشابه . وهنا خص البعض به فيستدل به على ضعف هذا القول .

وكذلك قوله : ﴿ يَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ ﴾[٤٧٩] .

لو اريد بالمتشابه تصديق بعضه بعضـا لكان اتبـاع ذلـك غير محـذور ، وليس فى كونه يصدق بعضه بعضا ما يمنع ابتغـاء تـأويلـه ، وقـد يحتج لهـذا القول بقولـه « متشابهات » فجعلها أنفسها متشابهات ، وهـذا يقتضى ان بعضهـا يشبـه بعضـا ليست مشابهة لغيرها .

ويجاب عن هذا بأن اللفظ إذا ذكر فى موضعين بمعنيين صـار من المتشـابـه ، كقوله : ﴿ انَّا ﴾ و﴿ نحنُ ﴾ المذكور فى سبب نزول الآية ، وقد ذكر محمد بن اسحق عن محمد بن جعفر بن الزبير لما ذكر قصة أهل نجران ونزول الآية قـال[٤٨٠] : المحكم ما لا يحتمل من التأويل إلا وجها واحدا ، والمتشابـه مـا احتمل فى التـأويل أوجها .

(٤٧٧) راجع الطبرى (١٧٣/٣) .

(٤٧٨) سورة الزمر (٢٣/٣٩) .

(٤٧٩) سورة آل عمران (٧/٣) .

(٤٨٠) انظر تفسير الطبرى (١٧٤/٣) .

لم يظلم نفسه حتى بين لهم ، [٤٩٧]

ولما نزل قوله : ﴿ وَ إن تُبْدُوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوه يُحَاسِبكُمْ بِهِ اللهُ ﴾ شق عليهم حتى بين لهم الحكمة فى ذلك ،

ولما قال النبي ﷺ : « من نوقش الحساب عذب » قالت عائشة : « ألم يقل الله : ﴿ فَسَوفَ يُحَاسَب حِسَاباً يسيراً ﴾ ؟

قال : انما ذلك العرض ».[٤٩٨]

قالوا : والدليل على ما قلناه اجماع السلف ، فانهم فسروا جميع القرآن ، وقال مجاهد:[٤٩٩] عرضت المصحف على ابن عباس من فاتحته الى خاتمته أقفه عند كل آية وأسأله عنها . وتلقوا ذلك عن النبي ﷺ ، كما قال أبو عبد الرحمن السلمى[٥٠٠]:

حدثنا الذين كانوا يقرئوننا القرآن عثمان بن عفان وعبد الله بن مسعود وغيرهما انهم كانوا اذا تعلموا من النبي ﷺ عشر آيات لم يجاوزوها حتى يتعلموا ما فيها من العلم والعمل ، قالوا فتعلمنا القرآن والعلم والعمل جميعا .

وكلام أهل التفسير من الصحابة والتابعين شامل لجميع القرآن ، الا ما قد يشكل على بعضهم فيقف فيه ، لا لأن أحدا من الناس لا يعلمه ، لكن لأنه هو لم يعلمه .

وايضا فان الله قد أمر بتدبر القرآن مطلقا ولم يستثن منه شيئا لا يتدبر ، ولا قال : لا تدبروا المتشابه ، والتدبر بدون الفهم ممتنع ، ولو كان من القرآن ما لا يتدبر لم يعرف ، فان الله لم يميز المتشابه بحد ظاهر حتى يجتنب تدبره .

---

(٤٩٧) اخرجه البخارى فى الايمان (١٤/١) و فى الانبياء (١١٢/٤ ـ ١٣٧) و فى التفسير (١٩٣/٥، ٢٠/٦) و مسلم فى الايمان (١٢٤/١) والترمذى فى التفسير (٢٦٢/٥) و احمد فى مسنده (٣٧٨/١،٤٢٤،٤٤٤) من حديث عبد الله بن مسعود .

(٤٩٨) اخرجه البخارى فى العلم (٣٤/١) و فى التفسير (٨١/٦) و فى الرقاق (١٩٨/٧) و مسلم فى الجنة (٢٢٠٤/٣) . و اخرجه ايضا الترمذى (٤٣٥/٥) واحمد (٤٧/٦،٩١،١٠٨،١٢٧) .

(٤٩٩) انظر السير (٤٥٠/٤) والحلية (٢٧٩/٣ ـ ٢٨٠) و تفسير الطبرى (٤٠/١) .

(٥٠٠) هو المقرئى الامام عبد الله بن حبيب بن ربيعة ، الكوفى .
من كبار التابعين ، و من اثبت الناس فى القراءة . توفى سنة ٧٤هـ و قيل غيره .
راجع ترجمته فى طبقات ابن سعد (١٧٢/٦) الحلية (١٩١/٤) تاريخ بغداد (٤٣٠/٩) التذكرة (٥٥/١) السير (٢٦٧/٤ ـ ٢٧١) .
و اثره اخرجه الطبرى (٣٦/١) وابن سعد (١٧٢/٦) .

ومعنى هذا أن ذلك اللفظ المحكم لا يكون تأويله فى الخارج الا شيئا واحدا ، وأما المتشابه فيكون لـه تـأويلات متعـددة ، لكن لم يرد الله الا واحـدا منهـا ، وسيـاق الآيـة يـدل على المراد ، وحينئـذ فـالراسخون فى العلم يعلمـون المراد من هذا ، كما يعلمون المراد من المحكم ، لكن نفس التـأويل الـذى هو الحقيقـة ووقت الحوادث ونحو ذلك لا يعلمونه لا من هذا لا من هذا . ٥

وقـد قيل : إن نصـارى نجران احتجوا بقولـه : ﴿ كَلِمَـةُ اللهِ ﴾[٤٨١] ﴿ وَرُوحٌ مِّنْهُ ﴾ و لفظ كلمة الله :يراد بـه الكلام ، و يراد بـه المخلوق بـالكلام ؛ وروح منه : يراد به ابتداء الغاية ، ويراد به التبعيض ، فعلى هـذا اذا قيل تـأويلـه لا يعلمـه الا الله ، المراد بـه الحقيقـة ، أى لا يعلمون كيف خلـق عيسى بـالكلمـة ، ولاكيف ارسل اليها روحه فتمثل لها بشرا سويا ، ونفخ فيها من روحه . ١٠

وفى صحيـح البخـارى[٥٨٢] عن عـائشـة عن النبى ﷺ قـال : « إذا رأيتم الـذين يتبعون ما تشابه منه فأولئك الذين سمى الله فاحذروهم » .

والمقصود هنا : أنه لا يجوز ان يكون الله أنزل كلاما لا معنى له ، ولا يجوز ان يكون الرسول ﷺ وجميع الامة لا يعلمون معناه ، كما يقول ذلـك من يقولـه من المتأخرين ، وهذا القول يجب القطع بأنه خطـأ ، سواء كان مع هـذا تـأويل ١٥ القرآن لا يعلمـه الراسخـون ، او كان للتـاويـل معنيـان : يعلمـون أحـدهمـا ، ولا يعلمـون الآخر ، وإذا دار الأمر بين القـول بـأن الرسـول كان لا يعلم معنى المتشابه من القرآن وبين أن يقال : الراسخون فى العلم يعلمون كان هـذا الاثبـات خيرا من ذلـك النفى ، فـان معنى الـدلائل الكثيرة من الكتـاب والسنـة واقوال السلف على ان جميع القرآن مما يمكن علمه وفهمه وتدبره ، وهـذا مما يجب القطع ٢٠ به ، وليس معنا قاطع على أن الراسخين فى العلم لا يعلمون تفسير المتشـابـه ، فان السلف قد قال كثير منهم انهم يعلمون تاويله ، منهم مجـاهـد ـــ مع جلالـة

---

(٤٨١) لم يرد فى القران «كلمة الله» للمسيح بل جاء فيه «بكلمة من الله» (٣٩/٣) و «انما المسيح عيسى ابن مريم رسول الله و كلمته القاها الى مريم و روح منه» (سورة النساء ١٢١/٤) .

(٤٨٢) اخرجـه فى التفسير (١٦٦/٥) و عنـده «رأيت» و رواه مسلم بلفـظ المتن (٢٠٥٣/٢) وابـوداود (٦/٥) والترمـذى (٢٢٣/٥) .

قـدره ـــ والربيـع بن أنس ، ومحمـد بن جعفر بن الـزبير ، ونقلـوا ذلـك عن ابن عباس ، وأنه قال : أنا من الراسخين الذين يعلمون تأويله ![483]

وقول احمـد فيما كتبـه فى «الرد على الـزنـادقـة والجهميـة» فيما شكّت فيـه من متشابه القرّان ، وتأوّلته على غير تأويله ، وقوله عن الجهميـة انهـا تـأولت ثلاث آيات من المتشابـه ، ثم تكلم على معنـاهـا ؛ دليل على أن المتشـابـه عنـده تعرف العلماء معناه ، وأن المذموم تأويله على غير تأويله ، فاما تفسيره المطـابق لمعنـاه فهـذا محمود ليس بمذموم ، وهـذا يقتضى أن الراسخين فى العلم يعملون التـأويـل الصحيح للمتشابـه عنـده ، وهو التفسير فى لغـة السلف . ولهـذا لم يقل أحمـد ولا غيره من السلف إن فى القرآن آيـات لا يعرف الرسـول ولا غيره معنـاهــا ، بـل يتلون لفظا لا يعرفون معناه ، وهذا القول اختيـار كثير من أهل السنـة ، منهم ابن قتيبة ، وأبو سليمان الدمشقى ، وغيرهما .

وابن قتيبـة هـو من المنتسبين الى أحمـد واسحق[484] والمنتصرين لمـذاهب السنــة المشهورة ، وله فى ذلك مصنفات متعددة ، قال فيه صـاحب «كتـاب التحـديث بمنـاقب أهل الحـديث» : هـو أحـد أعـلام الأئمة ، والعلمـاء والفضـلاء ، أجـودهم تصنيفا ، وأحسنهم ترصيفا ، له زهـاء ثلاثمـائـة مصنف ، وكان يميل الى مـذهب أحمـد ، واسحق ، وكان معـاصرا لابراهيم الحربى[485] ، ومحمـد بن نصر المرورى[486] ، وكان

(٤٨٣) اخرجه ابن جرير فى تفسيره (١٧٥/٣) .

(٤٨٤) هو الامام الكبير ، ابو يعقوب اسحاق بن ابراهيم بن مخلد . الحنظلى ، المعروف بابن راهويه .
من كبار الائمة الحديث والفقه ، كان مجتهدا و كان قرين احمد . و قال احمد : لا اعرف لاسحاق نظيرا فى الدنيا . توفى سنة ٢٣٨هـ .
انظر ترجمته فى تاريخ بغداد (٣٤٥/٦ ـ ٣٥٥) وفيات ابن خلكان (١٩٩/١ ـ ٢٠١) التذكرة (٤٣٣/٢) الوافى (٣٨٦/٨ ـ ٣٨٨) السير (٣٥٨/١١ ـ ٣٨٢) طبقات الداودى (١٠٣/١) .

(٤٨٥) ابراهيم بن اسحاق بن ابراهيم ، البغدادى ، الحربى ، ابواسحاق .
الامام ، الحافظ ، العلامة ، مؤلف «غريب الحديث» كان اماما فى العلم ، راسا فى الزهد ، عارفا بالفقه ، بصيرا بالاحكام ، حافظا للحديث ، جمّاعة للغة .
قال الحاكم : سمعت محمد بن صالح القاضى يقول : لا نعلم بغداد اخرجت مثل ابراهيم الحربى فى الادب والفقه والحديث والزهد ـ قال الذهبى : يريد من اجتمع فيه هذه الامور الاربعة .
توفى سنة ٢٨٥هـ .
راجع ترجمته فى تاريخ بغداد (٢٨/٦ ـ ٤٠) طبقات الحنابلة (٨٦/١ ـ ٩٣) انباه الرواة (١٥٥/١ ـ ١٥٨) فوات الوفيات (١٤/١ ـ ١٧) الوافى (٣٢٠/٥ ـ ٣٢٤) السير (٣٥٦/١٣ ـ ٣٧٢) التذكرة (٥٨٤/٢ ـ ٥٨٦) .

(٤٨٦) ابو عبد الله محمد بن نصر الحجاج المروزى .

أهل المغرب يعظمونه ، ويقولون : من استجاز الوقيعة فى ابن قتيبة يتهم بالزندقة ، ويقولون : كل بيت ليس فيه شيء من تصنيفه فلا خير فيه ، قلت : ويقال:هو لاهل السنة مثل الجاحظ للمعتزلة ، فانه خطيب السنة ، كما ان الجاحظ خطيب المعتزلة .

وقد نقل عن ابن عباس ايضا القول الآخر[٤٨٧] ، ونقل ذلك عن غيره من الصحابة ، وطائفة من التابعين ، ولم يذكر هؤلاء على قولهم نصا عن رسول الله ﷺ ، فصارت مسألة نزاع ، فترد الى الله والى الرسول ، واولئك احتجوا بأنه قرن ابتغاء الفتنة بابتغاء تأويله ، وبأن النبى ﷺ ذم مبتغى المتشابه ، وقال « اذا رأيتم الذين يتبعون ماتشابه منه فاحذروهم » .

ولهذا ضرب[٤٨٨] عمر بن الخطاب — رضى الله عنه — صبيغ بن عسل لما سأله عن المتشابه ، ولأنه قال : ﴿ وَ الرَّاسِخُونَ فِى الْعِلْمِ يَقُولُونَ ﴾ ولو كانت الواو واو عطف مفرد على مفرد لا واو الاستئناف التى تعطف جملة على جملة لقال : و يقولون .

فأجاب الآخرون عن هذا بان الله قال : ﴿ لِلْفُقَرَاء الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَ أَمْوَالِهِمِ يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِّن اللهِ وَ رِضْوَاناً ﴾[٤٨٩]
ثم قال : ﴿ وَالَّذِينَ تَبَوَّؤُا الدَّارَ والإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَن هَاجَرَ إِلَيهِمْ وَ لاَ يَجِدُونَ ﴾ .
ثم قال : ﴿ وَالَّذِينَ جَاءُو مِن بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْلَنَا وَ لإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِا لإِيمَانِ ﴾ .

قالوا فهذا عطف مفرد على مفرد ، والفعل حال من المعطوف فقط ، وهو نظير قوله : ﴿ وَالرَّاسِخُونَ فِى الْعِلْمِ يَقُولُونَ ءامَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِندِ رَبِّنَا ﴾[٤٩٠] .

= الامام ، الحافظ ، قال الحاكم : امام عصره بل مدافقه فى الحديث ، و اعلم الائمة باختلاف العلماء ، صنف كتبا ضمّنها الآثار والفقه . توفى عام ٢٩٤هـ .
ترجمته فى تاريخ بغداد (٣١٥/٣ ـ ٣١٨) التذكرة (٦٥٠/٢ ـ ٦٥٣) السير (٣٣/١٤ ـ ٤٠) الوافى (١١١/٥) .

(٤٨٧) يعنى انه لا يعلم تاويله الا الله وحده .راجع تفسير الطبرى (١٨٢/٣) و تفسير ابن الجوزى (٣٥٤/١) و ابن كثير (٣٤٦/١ ـ ٣٤٧) .

(٤٨٨) راجع الدارمى (٥٤ ـ ٥٥) والاصابة (١٩١/٢) .

(٤٨٩) سورة الحشر (٨/٥٩ ـ ١٠) .

(٤٩٠) سورة آل عمران (٧/٣) .

قالوا ولأنه لو كان المراد مجرد الوصف بالايمان لم يخص الراسخين ، بل قال : والمؤمنون يقولون آمنا به ، فان كل مؤمن يجب عليه أن يؤمن به ، فلما خص الراسخين فى العلم بالذكر علم أنهم امتازوا بعلم تأويله ، فعلموه لأنهم عالمون ، وآمنوا به لأنهم يؤمنون ، وكان ايمانهم به مع العلم أكمل فى الوصف ، وقد قال عقيب ذلك : ﴿ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلاَّ أُولُو الأَلْبَاب ﴾ وهذا يدل على ان هنا تذكرا يختص به اولوا الالباب ، فان كان ما ثم إلا الايمان بألفاظ فلا يذكر لما يدلهم على ما اريد بالمتشابه .

ونظير هذا قوله فى الآية الاخرى : ﴿ لكِنِّ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ مِنْهُمْ وَالْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَ مَا أُنْزِلَ مِن قَبْلِكَ ﴾[٤٩١].

١٠ فلما وصفهم بالرسوخ فى العلم ،وانهم يؤمنون ، قرن بهم المؤمنين ، فلو أريد هنا مجرد الايمان لقال والراسخون فى العلم والمؤمنون يقولون آمنا به ، كما قال فى تلك الآية لما كان مراده مجرد الاخبار بالايمان جمع بين الطائفتين .

قالوا : وأما الذم فانما وقع على من يتبع المتشابه لابتغاء الفتنة ، وابتغاء تأويله ، وهو حال أهل القصد الفاسد الذين يريدون القدح فى القرآن فلا

١٥ يطلبون الا المتشابه لافساد القلوب ، وهى فتنتها به ، ويطلبون تأويله وليس طلبهم لتأويله لأجل العلم والاهتداء ، بل لأجل الفتنة ، وكذلك صبيغ بن عسل ضربه عمر ؛ لأن قصده بالسؤال عن المتشابه كان لابتغاء الفتنة ، وهذا كمن يورد اسئلة واشكالات على كلام الغير ، ويقول ماذا أريد بكذا وغرضه التشكيك والطعن فيه ، ليس غرضه معرفة الحق ، وهؤلاء هم الذين عناهم النبى

٢٠ ﷺ بقوله : « اذا رأيتم الذين يتبعون ما تشابه منه » ولهذا (يتبعون) أى يطلبون المتشابه ويقصدونه دون المحكم ، مثل المتبع للشيء الذى يتحراه ويقصده ، وهذا فعل من قصده الفتنة .

وأما من سأل عن معنى المتشابه ليعرفه ويزيل ما عرض له من الشبه ، وهو عالم بالمحكم متبع له ، مؤمن بالمتشابه ، لا يقصد فتنة ، فهذا لم يذمه الله ،

٢٥ وهكذا كان الصحابة يقولون رضى الله عنهم : مثل الأثر المعروف الذى رواه

(٤٩١) سورة النساء (١٦٢/٤) .

ابراهيم بن يعقوب الجوزجانى[٤٩٢] وقد ذكره الطلمنكى[٤٩٣] حدثنا يزيد بن عبد ربه ثنا بقية ثنا عتبة بن ابى[٤٩٤] حكيم ثنى عمارة بن راشد الكنانى عن زياد عن معاذ بن جبل قال : يقرأ القرآن رجلان فرجل له فيه هوى و نية يفليه فلى الرأس ، يلتمس أن يجد فيه أمرا يخرج به على الناس اؤلئك شرار أمتهم ، اولئك يعمى الله عليهم سبل الهدى ، ورجل يقرؤه ليس فيه هوى ولا نية يفليه فلى الرأس فما تبين له منه عمل به ، وما اشتبه عليه وكله الى الله ، ليتفقهن فيه فقها ما فقهه قوم قط ، حتى لو ان احدهم مكث عشرين سنة ، فليبعثن الله له من يبين له الآية التى أشكلت عليه ، أو يفهمه اياها من قبل نفسه . قال بقية اشهدنى ابن عيينة حديث عتبة هذا .

فهذا معاذ يذم من اتبع المتشابه لقصد الفتنة ، وأما من قصده الفقه فقد أخبر ان الله لا بد أن يفقهه بفهمه المتشابه فقها ما فقهه قوم قط ، قالوا : والدليل على ذلك ان الصحابة كانوا اذا عرض لأحدهم شبهة فى آية أو حديث سأل عن ذلك ، كما سأله عمر فقال : ألم تكن تحدثنا أنّا نأتى البيت ونطوف به ؟[٤٩٥].

وسأله ايضا عمر : ما بالنا نقصر الصلاة ، وقد أمنا ؟[٤٩٦]

ولما نزل قوله : ﴿ وَ لَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ ﴾ شق عليهم وقالوا : أينا

---

(٤٩٢) ابو اسحاق ، ابراهيم بن يعقوب بن اسحاق ، الجوزجانى .
من علماء الحديث ، صنف كتبا فى الجرح والتعديل والضعفاء . توفى سنة ٢٥٦هـ .
راجع تذكرة الحفاظ (٥٤٩/٢) تهذيب التهذيب (١٨١/١ - ١٨٣) شذرات (١٣٩/٢) تاريخ التراث (٢٦٢/١) .

(٤٩٣) الطلمنكى (بفتح الطاء المهملة واللام والميم ، و سكون النون بعدها كاف) نسبة الى طَلَمَنْك مدينة بالاندلس .
وهو ابو عمر احمد بن محمد بن عبد الله بن ابى عيسى ، المعافرى ، الاندلسى .
كان من بحور العلم وكان عجبا فى حفظ علوم القرآن ، قراءاته ، و لغته ، و اعرابه و احكامه و منسوخه ، و معانيه . صنف كتبا كثيرة فى السنة . توفى سنة ٤٢٩هـ .
انظر ترجمته فى الصلة (٤٤/١) التذكرة (١٠٩٨/٣) الديباج (١٧٨/١ - ١٨٠) الوافى (٣٢/٨) طبقات الداودى (٧٩/١) السير (٥٦٦/١٧ - ٥٦٨) .

(٤٩٤) عتبة بن ابى حكيم الهموانى ، قال الحافظ فى التقريب : صدوق يخطئى كثيرا ، و عمارة بن راشد بن كنانة .
قال ابن ابى حاتم فى الجرح : مجهول وتعقبه الذهبى فى الميزان ، و قال : محله الصدق .
و زياد لم اعرفه .

(٤٩٥) و ذلك بعد الصلح الحديبية . راجع البخارى فى الشروط (١٧٨/٣ - ١٨٤) و اخرجه احمد (٣٣٠/٤) .

(٤٩٦) اخرجه مسلم عن يعلى بن امية (٤٧٨/١) .
و اخرجه ايضا الترمذى (٢٤٢/٥) والنسائى (١١٦/٣) وابن ماجة (٣٣٩/١ رقم ١٠٦٥) .

وهذا ايضا مما يحتجون به ، ويقولون المتشابه أمر نسبي اضافى فقد يشتبه على هذا مالا يشتبه على غيره ، قالوا ؛ ولأن الله أخبر أن القرآن بيان وهدى وشفاء ونور ، ولم يستثن منه شيئا عن هذا الوصف ، وهذا ممتنع بدون فهم المعنى ، قالوا : ولأن من العظيم أن يقال : ان الله أنزل على نبيه كلاما لم يكن يفهم معناه ، لا هو ولا جبريل ، بل وعلى قول هؤلاء كان النبي ﷺ يحدث باحاديث الصفات والقدر والمعاد ونحو ذلك مما هو نظير متشابه القرآن عندهم ، ولم يكن يعرف معنى ما يقوله ، وهذا لا يظن بأقل الناس .

وأيضا فالكلام انما المقصود به الافهام ، فاذا لم يقصد به ذلك كان عبثا وباطلا ، والله تعالى قد نزه نفسه عن فعل الباطل والعبث ، فكيف يقول الباطل والعبث ويتكلم بكلام ينزله على خلقه لا يريد به إفهامهم ، وهذا من أقوى حجج الملحدين .

وأيضا فما فى القرآن آية الا و قد تكلم الصحابة والتابعون لهم باحسان فى معناها ، و بينوا ذلك ، واذا قيل فقد يختلفون فى بعض ذلك . قيل كما قد يختلفون فى آيات الأمر والنهى ، وآيات الامر والنهى مما اتفق المسلمون على أن الراسخين فى العلم يعلمون معناها ، وهذا أيضا مما يدل على أن الراسخين فى العلم يعلمون تفسير المتشابه ، فان المتشابه قد يكون فى آيات الأمر والنهى ، كما يكون فى آيات الخبر ، وتلك مما اتفق العلماء على معرفة الراسخين لمعناها ، فكذلك الاخرى ، فانه على قول النفاة لم يعلم معنى المتشابه الا الله ، لا ملك ولا رسول ولا عالم ، وهذا خلاف إجماع المسلمين فى متشابه الأمر والنهى .

وأيضا فلفظ التأويل يكون للمحكم ، كما يكون للمتشابه ، كما دل القرآن والسنة وأقوال الصحابة على ذلك ، وهم يعلمون معنى المحكم فكذلك معنى المتشابه ، وأى فضيلة فى المتشابه حتى ينفرد الله بعلم معناه والمحكم أفضل منه وقد بين معناه لعباده ، فأى فضيلة فى المتشابه حتى يستأثر الله بعلم معناه ؟ وما استأثر الله بعلمه كوقت الساعة لم ينزل به خطابا ، ولم يذكر فى القرآن آية تدل على وقت الساعة ، ونحن نعلم ان الله استأثر بأشياء لم يطلع عباده عليها ، وانما النزاع فى كلام أنزله ، وأخبر انه هدى وبيان وشفاء ، وأمر بتدبره ، ثم يقال ان منه ما لا يعرف معناه الا الله ، ولم يبين الله ولا رسوله ذلك القدر الذى لا

يعرف أحد معناه ، ولهذا صار كل من أعرض عن آيات لا يؤمن بمعناها يجعلها من المتشابه بمجرد دعواه .

ثم سبب نزول الآية : قصة أهل نجران ، وقد احتجوا بقوله ﴿ انّا ﴾ و﴿ نحن ﴾ وبقوله : ﴿ كلِمَة مِّنْهُ ﴾ و﴿ رُوح مِّنْهُ ﴾ ، وهذا قد اتفق المسلمون على معرفة معناه ، فكيف يقال : ان المتشابه لا يعرف معناه لا الملائكة ولا الانبياء ، ولا أحد من السلف ، وهو من كلام الله الذى أنزله إلينا ، وأمرنا ان نتدبره و نعقله ، وأخبر أنه بيان وهدى وشفاء ونور ، وليس المراد من الكلام الا معانيه ، ولولا المعنى لم يجز التكلم بلفظ لامعنى له .

وقد قال الحسن : ما أنزل الله آية الا وهو يجب أن يعلم فيما ذا أنزلت ، وماذا عنى بها .

ومن قال[501] : ان سبب نزول الآية سؤال اليهود عن حروف المعجم فى ﴿ الم ﴾ بحساب الجمل ،فهذا نقل باطل .

أما أولا : فلأنه من رواية الكلبي .

وأما ثانيا : فهذا قد قيل انهم قالوه فى اول مقدم النبى ﷺ الى المدينة ، وسورة آل عمران انما نزل صدرها متأخرا لما قدم وفد نجران بالنقل المستفيض المتواتر ، وفيها فرض الحج ، وانما فرض سنة تسع أو عشر ، لم يفرض فى اول الهجرة باتفاق المسلمين .

واما ثالثا : فلأن حروف المعجم ودلالة الحرف على بقاء هذه الأمة ، ليس هو من تأويل القرآن الذى استأثر الله بعلمه ، بل اما أن يقال انه ليس مما اراده الله بكلامه ، فلا يقال انه انفرد بعلمه ، بل دعوى دلالة الحروف على ذلك باطل ، واما أن يقال بل يدل عليه فقد علم بعض الناس ما يدل عليه ، وحينئذ فقد علم الناس ذلك ، أما دعوى دلالة القرآن على ذلك ، وان أحدا لا يعلمه فهذا هو الباطل .

---

(٥٠١) اخرجه الطبرى من طريق الكلبي عن ابى صالح عن ابن عباس (٩٣/١) وانظر الدر المنثور (١٤٦/٢ ـ ١٤٧) .

وايضا فاذا كانت الامور العلمية التى أخبر الله بها فى القرآن لا يعرفها الرسول ، كان هذا من أعظم قدح الملاحدة فيه ، وكان حجة لما يقولونه من أنه كان لا يعرف الأمور العلمية ، او أنه كان يعرفها ولم يبينها ، بل هذا القول يقتضى انه لم يكن يعلمها ، فان ما لا يعلمه الا الله لا يعلمه النبى ولا غيره .

٥ وبالجملة : فالدلائل الكثيرة توجب القطع ببطلان قول من يقول : إن فى القرآن آيات لا يعلم معناها الرسول و لاغيره .

نعم قد يكون فى القرآن آيات لا يعلم معناها كثير من العلماء ، فضلا عن غيرهم ، وليس ذلك فى آية معينة ، بل قد يشكل على هذا ما يعرفه هذا ، وذلك تارة يكون لغرابة اللفظ ، وتارة لاشتباه المعنى بغيره ، وتارة لشبهة فى ١٠ نفس الانسان تمنعه من معرفة الحق ، وتارة لعدم التدبرالتام ، وتارة لغير ذلك من الاسباب ، فيجب القطع بان قوله : ﴿ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ ءامَنَّا بِهِ ﴾ .

ان الصواب قول من يجعله معطوفا ، ويجعل الواو لعطف مفرد على مفرد ، او يكون كلا القولين حقا ، وهى قراءتان ، والتأويل المنفى غير التأويل ١٥ المثبت ، وان كان الصواب هو قول من يجعلها واو استئناف ، فيكون التأويل المنفى علمه عن غير الله هو الكيفيات التى لا يعلمها غيره ، وهذا فيه نظر ، وابن عباس جاء عنه انه قال : انا من الراسخين الذين يعلمون تأويله ، و جاء عنه ان الراسخين لايعلمون تأويله .

وجاء عنه انه قال[(٥٠٢)] : التفسير على اربعة أوجه : تفسير تعرفه العرب من ٢٠ كلامها ، و تفسير لا يعذر أحد بجهالته ، وتفسير يعلمه العلماء ، وتفسير لا يعلمه الا الله ، من ادعى علمه فهو كاذب . وهذا القول يجمع القولين ، ويبين أن العلماء يعلمون من تفسيره مالا يعلمه غيرهم ، وان فيه مالا يعلمه الا الله.فاما من جعل الصواب قول من جعل الوقف عند قوله : ﴿ إِلاَّ اللهُ ﴾ وجعل التأويل بمعنى التفسير ، فهذا خطأ قطعا .

---

(٥٠٢) اخرجه الطبرى (٣٤/١) ورواه ايضا مرفوعا بسند فيه الكلبى . وانظر الدر المنثور (١٥٢/٢) .

وأما التأويل بالمعنى الثالث ، وهو صرف اللفظ عن الاحتمال الراجح إلى الاحتمال المرجوح ، فهذا الاصطلاح لم يكن بعد عرف فى عهد الصحابة ، بل ولا التابعين ، بل ولا الائمة الاربعة ، ولا كان التكلم بهذا الاصطلاح معروفا فى القرون الثلاثة ، بل ولا علمت أحدا منهم خص لفظ التأويل بهذا ، ولكن لما صار تخصيص لفظ التأويل بهذا شائعا فى عرف كثير من المتأخرين ، فظنوا أن التاويل فى الآية هذا معناه ، صاروا يعتقدون ان لمتشابه القرآن معانى تخالف ما يفهم منه ، وفرقوا دينهم بعد ذلك ، و صاروا شيعا ، والمتشابه المذكور الذى كان سبب نزول الآية لا يدل ظاهره على معنى فاسد ، وانما الخطأ فى فهم السامع . نعم قد يقال : ان مجرد هذا الخطاب لا يبين كال المطلوب ، ولكن فرق بين عدم دلالته على المطلوب ، وبين دلالته على نقيض المطلوب ، فهذا الثانى هو المنفى ؛ بل وليس فى القرآن ما يدل على الباطل ألبتة ، كما قد بسط فى موضعه .

ولكن كثير من الناس يزعم ان لظاهر الآية معنى ، اما معنى يعتقده واما معنى باطلا فيحتاج الى تأويله ، ويكون ما قاله باطلا لا تدل الآية على معتقده ، ولا على المعنى الباطل ، وهذا كثير جدا ، وهؤلاء هم الذين يجعلون القرآن كثيرا ما يحتاج الى التأويل المحدث ، وهو صرف اللفظ عن مدلوله الى خلاف مدلوله .

و مما يحتج به من قال الراسخون فى العلم يعلمون التأويل : ما ثبت فى صحيح البخارى وغيره[(٥٠٢)] — عن ابن عباس : « ان النبى ﷺ دعا له وقال : «اللهم فقهه فى الدين ، وعلمه التأويل » .

فقد دعا له بعلم التأويل مطلقا ، وابن عباس فسر القرآن كله .

قال مجاهد : عرضت المصحف على ابن عباس من اوله الى آخره ، أقفه عند كل آية وأسأله عنها ، وكان يقول : أنا من الراسخين فى العلم ، الذين يعلمون تأويله .

---

(٥٠٢) لم يخرجه البخارى بهذا اللفظ فعنده فى الوضوء (٤٥/١) اللهم فقهه فى الدين . فى العلم (٢٧/١) وفى الاعتصام (١٢٨/٨) اللهم علمه الكتاب — . وفى مناقب الصحابة (٢١٧/٤) اللهم علمه الحكمة . وراجع فتح البارى (١٦٩/١ - ١٧٠) .
نعم اخرجه احمد فى مسنده بهذا اللفظ (٢٦٦/١،٣١٤،٣٢٨،٣٣٥) وابن سعد فى طبقاته (٣٦٥/٢) .

وأيضا فالنقول متواترة عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه تكلم فى جميع معانى القرآن من الأمر والخبر ، فله من الكلام فى الاسماء والصفات والوعد والوعيد والقصص ، ومن الكلام فى الأمر والنهى والاحكام ما يبين انه كان يتكلم فى جميع معانى القران .

وأيضا قد قال ابن مسعود[٥٠٤]: ما من آية فى كتاب الله إلا وأنا أعلم فيماذا أنزلت .

وايضا فانهم متفقون على ان آيات الاحكام يعلم تأويلها ، وهى نحو خمسمائة آية ، وسائر القرآن خبر عن الله واسمائه وصفاته ، او عن اليوم الآخر والجنة والنار ، أو عن القصص ، وعاقبة أهل الايمان ، وعاقبة أهل الكفر ، فان كان هذا هو المتشابه الذى لا يعلم معناه إلا الله ، فجمهور القرآن لا يعرف أحد معناه ، لا الرسول ولا أحد من الامة ، ومعلوم ان هذا مكابرة ظاهرة .

وأيضا فمعلوم أن العلم بتأويل الرؤيا أصعب من العلم بتأويل الكلام الذى يخبر به ، فان دلالة الرؤيا على تأويلها دلالة خفية غامضة لا يهتدى لها جمهور الناس ؛ بخلاف دلالة لفظ الكلام على معناه ، فاذا كان الله قد علم عباده تأويل الاحاديث التى يرونها فى المنام ، فلأن يعلمهم تأويل الكلام العربى المبين الذى ينزله على أنبيائه بطريق الأولى والأحرى ، قال يعقوب ليوسف : ﴿ وَ كَذَٰلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَ يُعَلِّمُكَ مِن تَأْوِيلِ الأَحَادِيثِ ﴾[٥٠٥].

وقال يوسف : ﴿ رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَ عَلَّمْتَنِي مِن تَأْوِيلِ الأَحَادِيث ﴾[٥٠٦].

وقال : ﴿ لاَ يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِ إِلاَّ نَبَّأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَكُمَا ﴾[٥٠٧].

وأيضا فقد ذم الله الكفار بقوله : ﴿ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّثْلِهِ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ اللهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ، بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ وَ لَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ ﴾[٥٠٨].

(٥٠٤) اخرجه الطبرى (٣٦/١) . (٥٠٦) سورة يوسف (١٠١/١٢) . (٥٠٨) سورة يونس (٣٨/١٠ - ٣٩) .

(٥٠٥) سورة يوسف (٦/١٢) . (٥٠٧) سورة يوسف (٣٧/١٢) .

وقالَ : ﴿ وَ يَومَ نَحْشُرُ مِن كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجًا مِّمَّن يُكَذِّبُ بِآيَا تِنَا فَهُم يُوزَعُونَ ، حَتَّى إِذَا جَاءُوا قَالَ أَكَذَّبتُمْ بِآيَاتِي وَ لَمْ تُحِيطُوا بِهَا عِلْمًا أَمَّا ذَا كُنْتُم تَعْلَمُونَ ﴾[٥٠٩].

وهذا ذم لمن كذب بمالم يحط بعلمه .

فما قاله الناس من الاقوال المختلفة فى تفسير القرآن و تأويله ليس لأحد أن يصدق بقول دون قول بلا علم ، و لا يكذب بشيء منها ، الا ان يحيط بعلمه ، و هذا لا يمكن الا اذا عرف الحق الذى اريد بالآية ، فيعلم ان ما سواه باطل ، فيكذب بالباطل الذى احاط بعلمه ، و أما إذا لم يعرف معناها ، و لم يحط بشيء منها علما ، فلا يجوز له التكذيب بشيء منها ، مع ان الاقوال المتناقضة بعضها باطل قطعا ، ويكون حينئذ المكذب بالقرآن كالمكذب بالاقوال المتناقضة ، والمكذب بالحق كالمكذب بالباطل ، و فساد اللازم يدل على فساد الملزوم .

وايضا فانه ان بنى على ما يعتقده من انه لا يعلم معانى الآيات الخبرية إلا الله لزمه أن يكذب كل من احتج بآية من القرآن خبرية على شيء من امور الايمان بالله واليوم الآخر ، ومن تكلم فى تفسير ذلك ، وكذلك يلزم مثل ذلك فى احاديث الرسول ﷺ .

وان قال : المتشابه هو بعض الخبريات ، لزمه أن يبين فصلا يتبين به ما يجوز ان يعلم معناه من آيات القرآن ، ومالا يجوز أن يعلم معناه ، بحيث لا يجوز أن يعلم معناه لا ملك مقرب ولا نبي مرسل ، ولا أحد من الصحابة ، ولا غيرهم . ومعلوم أنه لا يمكن أحدا ذكر حد فاصل بين ما يجوز أن يعلم معناه بعض الناس ، وبين مالا يجوز أن يعلم معناه أحد . ولو ذكر ما ذكر انتقض عليه ، فعلم أن المتشابه ليس هو الذى لا يمكن أحدا معرفة معناه ، وهذا دليل مستقل فى المسألة .

وايضا فقوله : ﴿ لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ ﴾[٥١٠].
﴿ أَ كَذَّبْتُمْ بِآيَاتِي وَلَمْ تُحِيطُوا بِهَا عِلْمًا ﴾[٥١١].

---

(٥٠٩) سورة النمل (٨٣/٢٧ ـ ٨٤) .
(٥١٠) سورة يونس (٣٩/١٠) .
(٥١١) سورة النمل (٨٤/٢٧) .

ذم لهم على عدم الاحاطة مع التكـذيب ، ولو كان النـاس كلهم مشتركين فى عدم الاحاطة بعلم المتشابه لم يكن فى ذمهم بهذا الوصف فائدة ، ولكان الـذم على مجرد التكذيب ، فان هذا بمنزلة أن يقال أكذبتم بما لم تحيطوا به علما ولا يحيـط به علمـا إلا الله ؟ ومن كـذب بمـالا يعلمـه إلا الله كان أقرب إلى العـذر من أن يكذب بما يعلمه الناس ، فلو لم يحـط بهـا علمّـا الراسخون كان ترك هـذا الوصف اقوى فى ذمهم من ذكره .

ويتبين هذا بوجه آخر هو دليل فى المسألة : وهو ان الله ذم الزائغين بـالجهل و سوء القصد ، فانهم يقصدون المتشـابـه يبتغون تـأويلـه ، ولا يعلم تـأويلـه إلا الراسخون فى العلم ، وليسوا منهم ، وهم يقصدون الفتنة لايقصدون العلم والحق ، وهـذا كقولـه تعـالى : ﴿ وَ لَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لأَسْمَعَهُمْ ، وَ لَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّواْ وَّ هُمْ مُّعْرِضُونَ ﴾[٥١٢].

فان المعنى بقوله : ﴿ لأَسْمَعَهُمْ ﴾ افهمهم القرآن

يقول : لو علم الله فيهم حسن قصـد وقبـولا للحـق لأفهمهم القرآن .لكن لـو أفهمهم لتولوا عن الايمـان وقبول الحق لسـوء قصـدهم ، فهم جـاهلـون ظـالمـون ، كذلك الذين فى قلوبهم زيغ هم مـذمومون بسوء القصـد ، مع طلب علم مـاليسوا من أهلـه ، و ليس إذا عِيب هـؤلاء على العلم ومُنعـوه يعـاب من حسن قصـده وجعله الله من الراسخين فى العلم .

فـان قيـل : فـاكثر السلف على ان الراسخين فى العلم لا يعلمـون التـأويـل ، وكـذلـك اكثر أهـل اللغـة يروى هــذا عن ابن مسعـود ، وأبى بن كعب ، وابن عبــاس ، وعروة ، وقتــادة ، وعمر بن عبــد العـزيـز ، والفراء ، وابى عبيــد ، وثعلب ، وابن الأنبارى .

قال ابن الأنبارى[٥١٣] : فى قراءة عبد الله : إن تأويله إلا عند الله والراسخون فى العلم .

---

(٥١٢) سورة الانفال (٢٣/٨) .

(٥١٣) راجع تفسير ابن الجوزى (٣٥٤/١) .

وفى قراءة أبى وابن عباس : ويقول الراسخون فى العلم ، قال :وقد أنزل الله فى كتابه أشياء استأثر بعلمها ، كقوله تعالى : ﴿ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللهِ ﴾ [(٥١٤)] .

وقوله : ﴿ وَ قُرُونًا بَيْنَ ذَٰلِكَ كَثِيرًا ﴾ [(٥١٥)] .

فانزل المحكم ليؤمن به المؤمن فيسعد ، ويكفر به الكافر فيشقى . ٥

قال ابن الانبارى : والذى روى القول الآخر عن مجاهد هو ابن ابى نجيح ، ولا تصح روايته التفسير عن مجاهد .

فيقال قول القائل : ان اكثر السلف على هذا:قول بلا علم ، فانه لم يثبت عن أحد من الصحابة أنه قال ان الراسخين فى العلم لا يعلمون تأويل المتشابه .

وعن ابن ابى مليكة عن عائشة أنها قالت : « كان رسوخهم فى العلم أن آمنوا بمحكمه وبمتشابهه ولا يعلمونه » [(٥١٦)] . ١٠

فقد روى البخارى [(٥١٧)] عن ابن ابى مليكة عن القاسم عن عائشة رضى الله عنها الحديث المرفوع فى هذا ، وليس فيه هذه الزيادة ولم يذكر أنه سمعها من القاسم ، بل الثابت عن الصحابة أن المتشابه يعلمه الراسخون كما تقدم حديث معاذ بن جبل فى ذلك ، وكذلك نحوه عن ابن مسعود وابن عباس وأبى بن كعب و غيرهم . ١٥

وما ذكر من قراءة ابن مسعود وأبى بن كعب ليس لها اسناد يعرف حتى يحتج بها ، والمعروف عن ابن مسعود انه كان يقول [(٥١٨)] : ما فى كتاب الله آية إلا وأنا أعلم فيما ذا أنزلت ،وماذا عنى بها .

وقال ابو عبد الرحمن السلمى [(٥١٩)] : حدثنا الذين كانوا يقرءوننا القرآن : عثمان بن عفان ، وعبد الله بن مسعود ، وغيرهما أنهم كانوا اذا تعلموا من النبى ﷺ عشر آيات لم يجاوزها حتى يعلموا ما فيها من العلم والعمل . ٢٠

(٥١٤) سورة الاحزاب (٦٣/٣٣) .

(٥١٥) سورة الفرقان (٣٨/٢٥) .

(٥١٦) اخرجه ابن جرير الطبرى (١٨٢/٣) .

(٥١٧) فى تفسير سورة آل عمران (١٦٦/٥) .

(٥١٨) اخرجه الطبرى (٣٦/١) وقد مر .

(٥١٩) نفس المرجع (٩٣/١) و مر ايضا .

وهذا أمر مشهور رواه الناس عن عامة أهل الحديث والتفسير ، وله اسناد معروف ، بخلاف ما ذكر من قراءتها .

وكذلك ابن عباس قد عرف عنه انه كان يقول : أنا من الراسخين الذين يعلمون تأويله ، وقد صح عن النبي ﷺ أنه دعاله بعلم تأويل الكتاب ، فكيف
٥ لا يعلم التأويل مع أن قراءة عبد الله:إن تأويله إلا عند الله لا تناقض هذا القول ، فان نفس التأويل لا يأتى به إلا الله ، كما قال تعالى : ﴿ هَلْ يَنْظُرُونَ إلاَّ تَأْوِيلَهُ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُ ﴾[٥٢٠].
وقال : ﴿ بَلْ كَذَّبُواْ بِمَا لَمْ يُحِيطُواْ بِعِلْمِهِ وَ لَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ ﴾[٥٢١].

وقد اشتهر عن عامة السلف أن الوعد والوعيد من المتشابه ، وتأويل ذلك
١٠ هو مجيء الموعود به ، وذلك عند الله لا يأتى به إلا هو ، وليس فى القرآن : إن علم تأويله إلا عند الله ، كما قال فى الساعة : ﴿ يَسْئَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّى لاَ يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إلاَّ هُوَ ثَقُلَتْ فِي السَّموات وَالارْضِ لا تَأْتِيكُمْ إلاَّ بَغْتَةً يَسْئَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللهِ وَ لكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ ، قُلْ لاَ أَمْلِكُ
١٥ لِنَفْسِى نَفْعًا وَ لاَ ضَرًّا إلاَّ مَا شَاءَ اللهُ وَ لَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لاَسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَ مَا مَسَّنِيَ السُّوءُ ﴾[٥٢٢].
وكذلك لما قال فرعون لموسى : ﴿ فَمَا بَالُ الْقُرُونِ الأُولَى ؟ ! قَالَ عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّى فِي كِتَابٍ لاَ يَضِلُّ رَبِّى وَ لاَ يَنْسَى ﴾[٥٢٣].

فلو كانت قراءة ابن مسعود تقتضى نفى العلم عن الراسخين لكانت : « ان
٢٠ علم تأويله إلا عند الله » لم يقرأ ان تأويله إلا عند الله ، فان هذا حق بلا نزاع ، وأما القراءة الأخرى المروية عن ابى وابن عباس ، فقد نقل عن ابن عباس ما يناقضه ، وأخص أصحابه بالتفسير مجاهد ، وعلى تفسير مجاهد يعتمد أكثر الأئمة كالثورى والشافعى وأحمد بن حنبل والبخارى .

---

(٥٢٠) سورة الاعراف (٥٣/٧) .
(٥٢١) سورة يونس (٣٩/١٠) .
(٥٢٢) سورة الاعراف (١٨٧/٧ ـ ١٨٨) .
(٥٢٣) سورة طـه (٥١/٢٠ ـ ٥٢) .

قال الثورى[٥٢٤]: إذا جاءك التفسير عن مجاهد فحسبك به .

والشافعى فى كتبه أكثر الذى ينقله عن ابن عيينة عن ابن ابى نجيح عن مجاهد ، وكذلك البخارى فى صحيحه يعتمد على هذا التفسير ، وقول القائل لا تصح رواية ابن أبى نجيح عن مجاهد جوابه : ان تفسير ابن أبى نجيح عن مجاهد من أصح التفاسير ، بل ليس بأيدى أهل التفسير كتاب فى التفسير أصح من تفسير ابن أبى نجيح عن مجاهد ، الا أن يكون نظيره فى الصحة ، ثم معه ما يصدقه ، وهو قوله : عرضت المصحف على ابن عباس أقفه عند كل آية وأسأله عنها .

وأيضا فابى بن كعب رضى الله عنه قد عرف عنه انه كان يفسر ما تشابه من القرآن ، كما فسر قوله : ﴿ فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا ﴾.[٥٢٥]
وفسر قوله : ﴿ أَللّهُ نُورُ السَّموات وَالأَرْضِ ﴾.[٥٢٦]
وقوله : ﴿ وَ إِذْ أَخَذَ رَبُّكَ ﴾.[٥٢٧] وغير ذلك .
ونقل ذلك معروف عنه بالاسناد أثبت من نقل هذه القراءة التى لا يعرف لها اسناد ، وقد كان يسئل عن المتشابه من معنى القرآن فيجيب عنه كما سأله عمر ، وسئل عن ليلة القدر .

وأما قوله : ان الله أنزل المجمل ليؤمن به المؤمن ، فيقال هذا حق ، لكن هل فى الكتاب والسنة أو قول أحد من السلف أن الانبياء والملائكة والصحابة لايفهمون ذلك الكلام المجمل ؟ أم العلماء متفقون على أن المجمل فى القرآن يفهم معناه و يعرف ما فيه من الاجمال ، كما مثل به من وقت الساعة ، فقد علم المسلمون كلهم معنى الكلام الذى أخبر الله به عن الساعة ، وأنها أتية لا محالة ، وان الله انفرد بعلم وقتها ، فلم يطلع على ذلك أحدًا ، ولهذا قال النبى ﷺ لما سأله السائل عن الساعة ، وهو فى الظاهر أعرابى لا يعرف قال له : متى الساعة ؟ « قال : ما المسئول عنها[٥٢٨] باعلم من السائل » .

(٥٢٤) راجع تفسير الطبرى (٤٠/١) . (٥٢٥) سورة مريم (١٧/١٩) وتفسيره اخرجه الحاكم (٣٧٣/٢) .
(٥٢٦) سورة النور (٣٥/٢٤) وراجع تفسيره عند الطبرى (١٣٥/١٨ ـ ١٣٨) وانظر الدر المنثور (١٩٧/٦) .
(٥٢٧) سورة الاعراف (١٧٢/٧) اخرج تفسيره الحاكم فى المستدرك (٣٢٣/٢) والطبرى (١١٥/٩) وانظر الدر المنثور (٦٠٠/٣) .
(٥٢٨) اخرجه البخارى ومسلم ــ وهو عند البيهقى فى شعب الايمان وانظر تخريجه هناك .

ولم يقل : ان الكلام الذى نزل فى ذكرها لا يفهمه أحد ، بل هذا خلاف اجماع المسلمين ، بل العقلاء ؛ فان اخبار الله عن الساعة و أشراطها كلام بين واضح يفهم معناه .

وكذلك قوله : ﴿ وَقُرُونًا بَيْنَ ذَلِكَ كَثِيرًا ﴾(٥٢٩) قد علم المراد بهذا الخطاب ، و ان الله خلق قرونا كثيرة لا يعلم عددهم إلا الله .

كما قال : ﴿ وَ مَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلاَّ هُوَ ﴾(٥٣٠) فأى شيء فى هذا مما يدل على ان ما اخبر الله به من أمر الايمان بالله واليوم الآخر لا يفهم معناه أحد لا من الملائكة ولا من الانبياء ولا الصحابة ولاغيرهم ؟ ! .

وأما ما ذكر عن عروة فعروة قد عرف من طريقه انه كان لا يفسر عامة آي القرآن الا آيات قليلة رواها عن عائشة ، ومعلوم أنه إذا لم يعرف عروة التفسير لم يلزم انه لا يعرفه غيره من الخلفاء الراشدين ، وعلماء الصحابة ؛ كابن مسعود ، وأبي بن كعب ، وابن عباس . وغيرهم .

و أما اللغويون الذين يقولون ان الراسخين لا يعلمون معنى المتشابه فهم متناقضون فى ذلك ، فان هؤلاء كلهم يتكلمون فى تفسير كل شيء فى القرآن ، ويتوسعون فى القول فى ذلك ، حتى ما منهم أحد الا وقد قال فى ذلك أقوالا لم يسبق إليها ، و هى خطأ . وابن الانبارى الذى بالغ فى نصر ذلك القول هو من أكثر الناس كلاما فى معانى الآى المتشابهات ، يذكر فيها من الاقوال ما لم ينقل عن احد من السلف ، ويحتج لما يقوله فى القرآن بالشاذ من اللغة ، وقصده بذلك الانكار على ابن قتيبة ، وليس هو اعلم بمعانى القرآن والحديث ، واتبع للسنة من ابن قتيبة ، ولا افقه فى ذلك . وان كان ابن الانبارى من احفظ الناس للغة ؛ لكن باب فقه النصوص غير باب حفظ ألفاظ اللغة .

وقد نقم هو وغيره على ابن قتيبة كونه رد على أبي عبيد أشياء من تفسيره غريب الحديث ، وابن قتيبة قد اعتذر عن ذلك ، وسلك فى ذلك مسلك أمثاله من أهل العلم ، وهو وأمثاله يصيبون تارة ، ويخطئون أخرى ، فان كان المتشابه لا يعلم معناه إلاالله ، فهم كلهم يجترئون على الله ، يتكلمون فى شيء لا سبيل الى معرفته ، وان كان ما بينوه من معانى المتشابه قد أصابوا فيه ــ ولو فى كلمة

(٥٢٩) سورة الفرقان (٢٥/٣٨) .
(٥٣٠) سورة المدثر (٧٤/٣١) .

واحدة ـــ ظهر خطؤهم فى قولهم : ان المتشابه لا يعلم معناه إلا الله ، ولا يعلمه أحد من المخلوقين ، فليختر من ينصر قولهم هذا أو هذا .

ومعلوم أنهم أصابوا فى شيء كثير مما يفسرون به المتشابه ، وأخطأوا فى بعض ذلك ، فيكون تفسيرهم هذه الآية مما اخطأوا فيه العلم اليقينى ، فانهم أصابوا فى كثير من تفسير المتشابه .

وكذلك ما نقل عن قتادة من أن الراسخين فى العلم لا يعلمون تأويل المتشابه ، فكتابه فى التفسير من أشهر الكتب ، ونقله ثابت عنه من رواية معمر عنه ، ورواية سعيد بن ابى عروبة عنه ، ولهذا كان المصنفون فى التفسير عامتهم يذكرون قوله لصحة النقل عنه ، ومع هذا يفسر القرآن كله محكمه ومتشابهه .

والذى اقتضى شهرة القول عن أهل السنة بان المتشابه لا يعلم تأويله إلا الله ، ظهور التأويلات الباطلة من أهل البدع كالجهمية والقدرية من المعتزلة و غيرهم ، فصار اولئك يتكلمون فى تاويل القرآن برأيهم الفاسد ، وهذا أصل معروف لأهل البدع ، أنهم يفسرون القرآن برأيهم العقلى ، وتأويلهم اللغوى ، فتفاسير المعتزلة مملوءة بتأويل النصوص المثبتة للصفات والقدر على غير ما اراده الله و رسوله ، فانكار السلف والأئمة هو لهذه التأويلات الفاسدة ، كما قال الامام أحمد فى ما كتبه فى « الرد على الزنادقة والجهمية فيما شكت فيه من متشابه القرآن وتأولته على غير تأويله »☆ فهذا الذى أنكره السلف والأئمة من التأويل .

فجاء بعدهم قوم انتسبوا إلى السنة بغير خبرة تامة بها ، وبما يخالفها ،وظنوا ان المتشابه لا يعلم معناه إلا الله ، فظنوا ان معنى التاويل هو معناه فى اصطلاح المتأخرين : وهو صرف اللفظ عن الاحتمال الراجح إلى المرجوح ، فصاروا فى موضع يقولون وينصرون ان المتشابه لا يعلم معناه إلا الله .ثم يتناقضون فى ذلك من وجوه :

أحدها : أنهم يقولون النصوص تجرى على ظواهرها ، ولا يزيدون على المعنى الظاهر منها ، ولهذا يبطلون كل تأويل يخالف الظاهر ، ويقرون المعنى

☆ راجع الرد على الزنادقة والجهمية ص ٢٤

الظاهر ، ويقولون مع هذا إن له تأويلا لا يعلمه الا الله والتأويل عندهم ما يناقض الظاهر ، فكيف يكون له تأويل يخالف الظاهر ، وقد قرر معناه الظاهر ، وهذا مما أنكره عليهم مناظروهم ، حتى أنكر ذلك ابن عقيل على شيخه القاضى ابى يعلى .

٥ ومنها انا وجدنا هؤلاء كلهم لا يحتج عليهم بنص يخالف قولهم ، لا فى مسألة أصلية ، ولا فرعية ، الا تأولوا ذلك النص بتأويلات متكلفة مستخرجة من جنس تحريف الكلم عن مواضعه ، من جنس تأويلات الجهمية والقدرية للنصوص التى تخالفهم ، فاين هذا من قولهم : لا يعلم معانى النصوص المتشابة الا الله تعالى ؟ ! واعتبر هذا بما تجده فى كتبهم من مناظرتهم للمعتزلة فى مسائل

١٠ الصفات والقرآن والقدر ، إذا احتجت المعتزلة على قولهم بالآيات التى تناقض قول هؤلاء ، مثل أن يحتجوا بقوله : ﴿ وَاللَّهُ لاَ يُحِبُّ الْفَسَادَ ﴾[٥٣١].

﴿ وَ لاَ يَرْضَى لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ ﴾[٥٣٢].

﴿ وَ مَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنْسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ ﴾[٥٣٣].

﴿ لاَ تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ ﴾[٥٣٤].

١٥ ﴿ إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَن يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴾[٥٣٥].

﴿ وَ إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلاَئِكَةِ ﴾[٥٣٦].

ونحو ذلك، كيف تجدهم يتأولون هذه النصوص بتأويلات غالبها فاسد ، وان كان فى بعضها حق ، فان كان ما تأولوه حقا ، دل على أن الراسخين فى العلم يعلمون تأويل المتشابه ، فظهر تناقضهم، وان كان باطلا فذلك أبعد لهم .

٢٠ وهذا أحمد بن حنبل امام أهل السنة الصابر فى المحنة الذى قد صار للمسلمين معيارا يفرقون به بين أهل السنة والبدعة لما صنف كتابه فى (الرد على الزنادقة والجهمية فيما شكت فيه من متشابه القرآن و تأولته على غير تأويله) تكلم على معانى المتشابه الذى اتبعه الزائغون ابتغاء الفتنة ، وابتغاء تأويله آية آية ، وبين معناها ، وفسرها ليبين فساد تأويل الزائغين ، واحتجَّ على ان الله يُرى ، وان

(٥٣١) سورة البقرة (٢/٢٠٥) .
(٥٣٢) سورة الزمر (٣٩/٧) .
(٥٣٣) سورة الذاريات (٥١/٥٦) .
(٥٣٤) سورة الانعام (٦/١٠٣) .
(٥٣٥) سورة يس (٣٦/٨٢) .
(٥٣٦) سورة البقرة (٢/٣٠) .

القرآن غير مخلوق ، وان الله فوق العرش : بالحجج العقلية والسمعية ، ورد ما احتج به النفاة من الحجج العقلية والسمعية ، و بيّن معانى الآيات التى سماها هو متشابهةً ، وفسرها آيةً آيةً ، وكذلك لما ناظروه واحتجوا عليه بالنصوص جعل يفسرها آيةً آيةً ، وحديثاً حديثاً ، ويبين فساد ما تاولها عليه الزائغون ، ويبين هو معناها ، ولم يقل أحمد إن هذه الآيات والاحاديث لا يفهم معناها إلا الله ، ولا قال احد له ذلك ، بل الطوائف كلها مجتمعة على امكان معرفة معناها ، لكن يتنازعون فى المراد كما يتنازعون فى آيات الأمر والنهى ، وكذلك كان أحمد يفسر المتشابه من الآيات والأحاديث التى يحتج بها الزائغون من الخوارج وغيرهم ، كقوله :[٥٣٧]

« لا يزنى الزانى حين يزنى وهو مؤمن ، ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن ، ولا يشرب الشارب الخمر حين يشرب وهو مؤمن » وأمثال ذلك ويبطل قول المرجئة والجهمية ، وقول الخوارج ، والمعتزلة .

وكل هذه الطوائف تحتج بنصوص المتشابه على قولها ، ولم يقل أحد لا من أهل السنة ، ولا من هؤلاء ، لما يستدل به هو ، أو يستدل به عليه منازعه : هذه آيات وأحاديث لا يعلم معناها أحد من البشر ، فامسكوا عن الاستدلال بها .

وكان الامام أحمد ينكر طريقة أهل البدع الذين يفسرون القرآن برأيهم وتأويلهم من غير استدلال بسنة رسول الله ﷺ وأقوال الصحابة ، والتابعين ، الذين بلغهم الصحابة معانى القرآن ، كما بلغوهم ألفاظه ، ونقلوا هذا كما نقلوا هذا ، لكن أهل البدع يتأولون النصوص بتأويلات تخالف مراد الله و رسوله ، ويدعون ان هذا هو التأويل الذى يعلمه الراسخون ، وهم مبطلون فى ذلك ، لا سيما تاويلات القرامطة والباطنية الملاحدة ، وكذلك أهل الكلام المحدث من الجهمية والقدرية و غيرهم .

ولكن هؤلاء يعترفون بانهم لا يعلمون التأويل ، وانما غايتهم أن يقولوا : ظاهر هذه الآية غير مراد ، ولكن يحتمل ان يراد كذا ،وأن يراد كذا ، ولو تأولها الواحد منهم بتأويل معين ، فهو لا يعلم أنه مراد الله و رسوله ، بل يجوز

(٥٣٧) اخرجه البخارى ومسلم وغيرهما وراجع تخريجه فى شعب الايمان للبيهقى .

أن يكون مراد الله و رسوله عندهم غير ذلك ، كالتأويلات التى يذكرونها فى نصوص الكتاب ، كما يذكرونه فى قوله : ﴿ وَ جَاءَ رَبُّكَ وَ الْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴾[٥٣٨].

و « ينزل ربنا »[٥٣٩].

٥ و ﴿ الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى ﴾[٥٤٠].

﴿ وَكَلَّمَ اللهُ مُوسَى تَكْلِيمًا ﴾.

﴿ وَ غَضِبَ اللهُ عَلَيْهِمْ ﴾[٥٤١].

و ﴿ إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَن يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴾[٥٤٢].

وامثال ذلك من النصوص فان غاية ما عندهم يحتمل أن يراد به كذا ويجوز ١٠ كذا ونحو ذلك ، وليس هذا علما بالتأويل ، وكذلك كل من ذكر فى نص أقوالا واحتمالات ، ولم يعرف المراد ، فانه لم يعرف تفسير ذلك و تاويله و انما يعرف ذلك من عرف المراد .

ومن زعم من الملاحدة أن الأدلة السمعية لا تفيد العلم ، فمضمون مدلولاته لا يعلم احد تفسير المحكم ، و لا تفسير المتشابه ، ولا تأويل ذلك ، وهذا اقرار منه ١٥ على نفسه بانه ليس من الراسخين فى العلم الذين يعلمون تأويل المتشابه ، فضلا عن تاويل المحكم ، فاذا انضم إلى ذلك أن يكون كلامهم فى العقليات فيه من السفسطة والتلبيس مالا يكون معه دليل على الحق لم يكن عند هؤلاء لا معرفة بالسمعيات ولا بالعقليات ، وقد أخبر الله عن أهل النار انهم قالوا : ﴿ لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴾[٥٤٣].

٢٠ ومدح الذين إذا ذكروا بآياته لم يخروا عليها صما وعميانا . والذين يفقهون و يعقلون ، وذم الذين لا يفقهون ولا يعقلون فى غير موضع من كتابه ،

---

(٥٣٨) سورة الفجر (٢٢/٨٩) .

(٥٣٩) حديث النزول روى بطرق متعددة . راجع شعب الايمان ـــ وانظر شرح حديث النزول للمؤلف .

(٥٤٠) سورة طـــه (٥/٢٠) .

(٥٤١) سورة الفتح (٦/٤٨) .

(٥٤٢) سورة يس (٨٢/٣٦) .

(٥٤٣) سورة الملك (١٠/٦٧) .

وأهل البدع المخالفون للكتاب والسنة يدعون العلم والعرفان والتحقيق ، وهم من أجهل الناس بالسمعيات والعقليات ، وهم يجعلون ألفاظا لهم مجملة متشابهة تتضمن حقا و باطلا ، يجعلونها هى الاصول المحكمة ، و يجعلون ما عارضها من نصوص الكتاب والسنة من المتشابه الذى لا يعلم معناه عندهم الا الله ، وما يتأولونه بالاحتمالات لا يفيد ، فيجعلون البراهين شبهات ، والشبهات براهين ، كما قد بسط ذلك فى موضع آخر .

وقد نقل القاضى أبو يعلى عن الامام أحمد انه قال : المحكم ما استقل بنفسه ، ولم يحتج الى بيان ، والمتشابه مااحتاج الى بيان ، وكذلك قال الامام احمد فى رواية .

والشافعى قال : المحكم ما لايحتمل من التأويل إلا وجها واحدا ، والمتشابه ما احتمل من التأويل وجوها وكذلك قال الامام احمد ، وكذلك قال ابن الانبارى[544] : المحكم ما لم يحتمل من التأويل الا وجها واحدا ، والمتشابه الذى تعتوره التأويلات فيقال حينئذ فجميع الأمة سلفها وخلفها يتكلمون فى معانى القرآن التى تحتمل التأويلات .

وهؤلاء الذين ينصرون أن الراسخين فى العلم لا يعلمون معنى المتشابه هم من اكثر الناس كلاما فيه .

والائمة كالشافعى وأحمد ومن قبلهم كلهم يتكلمون فيما يحتمل معانى ، ويرجحون بعضها على بعض بالأدلة فى جميع مسائل العلم الاصولية والفروعية ، ولا يعرف عن عالم من علماء المسلمين أنه قال عن نص احتج به محتج فى مسألة : ان هذا لا يعرف أحد معناه فلا يحتج به ، ولو قال أحد ذلك لقيل له مثل ذلك ، واذا ادعى فى مسائل النزاع المشهورة بين الائمة ان نصه محكم يعلم معناه ، وان النص الآخر متشابه لا يعلم أحد معناه ، قوبل بمثل هذه الدعوى ، وهذا بخلاف قولنا : ان من النصوص ما معناه جلى واضح ظاهر لا يحتمل إلا وجها واحدا لا يقع فيه اشتباه ، و منها ما فيه خفاء ، واشتباه يعرف معناه الراسخون فى العلم ، فان هذا تفسير صحيح ، وحينئذ فالخلف فى المتشابه يدل على انه كله يعرف معناه ، فمن قال انه يعرف معناه يبين حجته على ذلك .

(544) راجع تفسير ابن الجوزى (1/251) .

وايضا فما ذكره السلف والخلف فى المتشابه يدل على انه كله يعرف معناه . فمن قال : ان المتشابه هو المنسوخ فمعنى المنسوخ معروف ، وهذا القول مأثور عن ابن مسعود ، وابن عباس وقتادة ، والسدى وغيرهم[٥٤٥].

وابن مسعود وابن عباس ، وقتادة ، هم الذين نقل عنهم ان الراسخين فى العلم لا يعلمون تأويله ، ومعلوم قطعا باتفاق المسلمين ان الراسخين يعلمون معنى المنسوخ ؛ وأنه منسوخ ، فكان هذا النقل عنهم يناقض ذلك النقل ، ويدل على أنه كذب ان كان هذا صدقا ، والا تعارض النقلان عنهم ، والمنقول عنهم ان الراسخين يعلمون معنى المتشابه .

والقول الثانى مأثور عن جابر بن عبد الله[٥٤٦] أنه قال : المحكم ما علم العلماء تأويله ، والمتشابه ما لم يكن للعلماء إلى معرفته سبيل ، كقيام الساعة ، ومعلوم ان وقت قيام الساعة مما اتفق المسلمون على انه لا يعلمه إلا الله ، فاذا أريد بلفظ التأويل هذا كان المراد به لا يعلم وقت تأويله إلا الله ، وهذا حق ، ولا يدل ذلك على انه لا يعرف معنى الخطاب بذلك ، وكذلك ان اريد بالتأويل حقائق ما يوجد ، وقيل لا يعلم كيفية ذلك إلا الله ، فهذا قد قدمناه ، وذكر انه على قول هؤلاء من وقف عند قوله : ﴿ وَ مَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللهُ ﴾ هوالذى يجب أن يراد بالتأويل . وأما ان يراد بالتأويل التفسير ، ومعرفة المعنى ويوقف على قوله إلا الله ، فهذا خطأ قطعا مخالف للكتاب والسنة ، وإجماع المسلمين .

ومن قال ذلك من المتأخرين فانه متناقض يقول ذلك ، ويقول ما يناقضه . وهذا القول يناقض الايمان بالله ورسوله من وجوه كثيرة ، ويوجب القدح فى الرسالة ، ولا ريب أن الذى قالوه لم يتدبروا لوازمه ، وحقيقته بل اطلقوه وكان أكبر قصدهم دفع تأويلات أهل البدع للمتشابه . وهذا الذى قصدوه حق ، وكل مسلم يوافقهم عليه ؛ لكن لا ندفع باطلا بباطل آخر ، ولا نرد بدعة ببدعة ،ولا يرد تفسير أهل الباطل للقرآن بأن يقال : الرسول ﷺ والصحابة كانوا لا يعرفون تفسير ما تشابه من القرآن ، ففى هذا من الطعن فى الرسول و سلف الأمة ما قد يكون أعظم من خطأ طائفة فى تفسير بعض الآيات ، والعاقل لا يبنى قصرا ويهدم مصرا .

(٥٤٥) راجع تفسير الطبرى (١٧٢/٣ ـ ١٧٣) .
(٥٤٦) نفس المرجع (١٧٥/٣) .

والقول الثالث : ان المتشابه الحروف المقطعة فى اوائل السور ، يروى هذا عن ابن عباس[٥٤٧] ، وعلى هذا القول فالحروف المقطعة ليست كلاما تاما من الجمل الاسمية والفعلية ، وانما هى اسماء موقوفة ، ولهذا لم تعرب ، فان الاعراب انما يكون بعد العقد والتركيب ، وانما نطق بها موقوفة ، كما يقال : ا ب ت ث ، ولهذا تكتب بصورة الحرف ، لا بصورة الاسم الذى ينطق به ، فانها فى النطق اسماء ، ولهذا لما سأل الخليل أصحابه عن النطق بالزاى من زيد ، قالوا : زا ، قال : نطقتم بالاسم ، وانما النطق بالحرف زه ، فهى فى اللفظ أسماء ، وفى الخط حروف مقطعة ، ﴿ الم ﴾ لاتكتب الف لام ميم ، كما يكتب قول النبى ﷺ « من قرأ القرآن فاعربه ، فله بكل حرف عشر حسنات ، أما إنى لا اقول الم حرف ، ولكن « الف » حرف ، و « لام » حرف ، و « ميم » حرف »[٥٤٨] .

والحرف فى لغة الرسول ﷺ واصحابه يتناول الذى يسميه النحاة اسما وفعلا وحرفا ، ولهذا قال سيبويه فى تقسيم الكلام : اسم وفعل وحرف جاء لمعنى ، ليس باسم ولا فعل . فانه لما كان معروفا من اللغة ان الاسم حرف ، والفعل حرف خص هذا القسم الثالث الذى يطلق النحاة عليه الحرف انه جاء لمعنى ، ليس باسم ولافعل ، وهذه حروف المعانى التى يتألف منها الكلام .

واما حروف الهجاء فتلك انما تكتب على صورة الحرف المجرد ، وينطق بها غير معربة ، ولا يقال فيها معرب ولا مبنى ؛ لأن ذلك انما يقال فى المؤلف ، فاذا كان على هذا القول كل ما سوى هذه محكم حصل المقصود ، فانه ليس المقصود إلا معرفة كلام الله ، وكلام رسوله ﷺ ، ثم يقال : هذه الحروف قد تكلم فى معناها أكثر الناس ، فان كان معناها معروفا فقد عرف معنى المتشابه ، وان لم يكن معروفا وهى المتشابه كان ما سواه معلوم المعنى . وهذا المطلوب .

---

(٥٤٧) ذكره ابن الجوزى فى تفسيره (٣٥١/١) .

(٥٤٨) رواه الترمذى عن ابن مسعود ولفظه :
من قرأ حرفا من كتاب الله فله به حسنة ، والحسنة بعشر امثالها لاأقول « الم » حرف... (١٧٥/٥)
واخرجه الحاكم بنحوه (٥٦٦/١) .

وايضا فان الله تعالى قال : ﴿ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ ﴾[٥٤٩] وهذه الحروف ليست آيات عند جمهور العلماء ، وانما يعدها آيات الكوفيون .

وسبب نزول هذه الآية الصحيح : يدل على ان غيرها ايضا متشابه ، ولكن هذا القول يوافق ما نقل عن اليهود من طلب علم المدد من حروف الهجاء .

والرابع : أن المتشابه ما اشتبهت معانيه ، قاله مجاهد[٥٥٠] ، وهذا يوافق قول أكثر العلماء ، وكلهم يتكلم فى تفسير هذا المتشابه ، ويبين معناه .

والخامس : أن المتشابه ما تكررت الفاظه ، قاله عبد الرحمن بن زيد بن اسلم .[٥٥١]

قال الحكم : ما ذكر الله تعالى فى كتابه ، من قصص الانبياء ففصله وبينه ، والمتشابه هو ما اختلفت ألفاظه فى قصصهم عند التكرير كما قال فى موضع من قصة نوح : ﴿ احْمِلْ فِيهَا ﴾[٥٥٢] .

وقال فى موضع آخر : ﴿ اسْلُكْ فِيهَا ﴾[٥٥٣] .

وقال فى عصى موسى : ﴿ فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَى ﴾[٥٥٤] .

وفى موضع آخر : ﴿ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُبِينٌ ﴾[٥٥٥] .

وصاحب هذا القول جعل المتشابه اختلاف اللفظ مع اتفاق المعنى ، كما يشتبه على حافظ القرآن هذا اللفظ بذاك اللفظ ، وقد صنف بعضهم فى هذا المتشابه ، لأن القصة الواحدة يتشابه معناها فى الموضعين ، فاشتبه على القارى أحد اللفظين بالآخر ، وهذا التتشابه لا ينفى معرفة المعانى بلا ريب ، ولا يقال فى مثل هذا ان الراسخين يختصون بعلم تأويله ، فهذا القول ان كان صحيحا كان حجة لنا ، وان كان ضعيفا لم يضرنا .

(٥٤٩) سورة آل عمران (٣/٧) .
(٥٥٠) اخرجه الطبرى (٣/١٧٣) وراجع تفسير ابن الجوزى (١/٣٥١) .
(٥٥١) راجع تفسير ابن الجوزى وتفسير الطبرى (٣/١٧٤) .
(٥٥٢) سورة هود (١١/٤٠) .
(٥٥٣) سورة المومنون (٢٣/٢٧) .
(٥٥٤) سورة طه (٢٠/٢٠) .
(٥٥٥) سورة الشعراء (٢٦/٣٢) .

والسادس : انه ما احتاج الى بيان كما نقل عن أحمد .

والسابع : انه ما احتمل وجوها ، كما نقل عن الشافعى ، واحمد ، وقد روى عن ابى الدرداء رضى الله عنه انه قال[556] ، إنك لا تفقه كل الفقه حتى ترى للقرآن وجوها .

وقد صنف الناس[557] « كتب الوجوه والنظائر » فالنظائر: اللفظ الذى اتفق معناه فى الموضعين ، وأكثر . والوجوه : الذى اختلف معناه ، كما يقال الاسماء المتواطئة والمشتركة ، وان كان بينهما فرق ، ولبسطه موضع آخر .

وقد قيل : هى نظائر فى اللفظ ومعانيها مختلفة ، فتكون كالمشتركة ، وليس كذلك ؛ بل الصواب أن المراد بالوجوه والنظائر هو الاول : وقد تكلم المسلمون سلفهم و خلفهم فى معانى الوجوه ، وفيما يحتاج الى بيان وما يحتمل وجوها فعلم يقينا ان المسلمين متفقون على ان جميع القرآن مما يمكن العلماء معرفة معانيه و علم ان من قال إن من القرآن مالا يفهم أحد معناه ، ولا يعرف معناه إلا الله ، فانه مخالف لاجماع الامة مع مخالفته للكتاب والسنة .

والثامن : أن المتشابه هو القصص والامثال وهذ ايضا يعرف معناه .

والتاسع : انه ما يؤمن به ولا يعمل به ، وهذا ايضا مما يعرف معناه .

والعاشر : قول بعض المتأخرين إن المتشابه آيات الصفات ، وأحاديث الصفات ، وهذا ايضا مما يعلم معناه ، فان اكثر آيات الصفات اتفق المسلمون على انه يعرف معناها ، والبعض الذى تنازع الناس فى معناه انما ذم السلف منه تأويلات الجهمية ، ونفوا علم الناس بكيفيته : كقول مالك : الاستواء معلوم ، والكيف مجهول ، والايمان به واجب ، والسؤال عنه بدعة . وكذلك قال سائر ائمة السنة . وحينئذ ففرق بين المعنى المعلوم ، وبين الكيف المجهول ، فان سمى الكيف تأويلا ساغ أن يقال : هذا التأويل لا يعلمه الا الله ، كما قدمناه اولا .

واما اذا جعل معرفة المعنى وتفسيره تأويلا كما يجعل معرفة سائر آيات القرآن تأويلا ، وقيل : ان النبى ﷺ وجبريل والصحابة والتابعين ما كانوا

(556) اخرجه احمد فى الزهد (١٣٤) ومن طريقه ابو نعيم فى الحلية (٢١١/١) .

(557) راجع كتاب الاتقان للسيوطى (١٤٢/١) .

يعرفون معنى قوله : ﴿ ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ﴾.[558]
ولا يعرفون معنى قوله : ﴿ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ ﴾.[559]
ولا معنى قوله : ﴿ غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ ﴾.[560]
بل هذا عندهم بمنزلة الكلام العجمى ، الذى لا يفهمه العربى . وكذلك اذا قيل كان عندهم قوله تعالى : ﴿ وَ مَا قَدَرُوا ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ وَٱلسَّمَٰوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ ﴾.[561]
وقوله : ﴿ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَارُ وَ هُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَارَ ﴾.[562]
وقوله : ﴿ وَ كَانَ ٱللَّهُ سَمِيعًا بَصِيرًا ﴾.[563]
وقوله : ﴿ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَ رَضُوا عَنْهُ ﴾.[564]
وقوله : ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱتَّبَعُوا مَا أَسْخَطَ ٱللَّهَ وَ كَرِهُوا رِضْوَانَهُ ﴾.[565]
وقوله : ﴿ وَ أَحْسِنُوا إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾.[566]
وقوله : ﴿ وَقُلِ ٱعْمَلُوا فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ﴾.[567]
وقوله : ﴿ إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا ﴾.[568]
وقوله : ﴿ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَامَ ٱللَّهِ ﴾.[569]
وقوله : ﴿ فَلَمَّا جَاءَهَا نُودِيَ أَن بُورِكَ مَن فِي ٱلنَّارِ وَ مَنْ حَوْلَهَا ﴾.[570]
وقوله : ﴿ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِّنَ ٱلْغَمَامِ وَٱلْمَلَائِكَةُ ﴾.[571]
وقوله : ﴿ وَ جَاءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴾.[572]
وقوله : ﴿ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا أَن تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ ﴾.[573]

---

(٥٥٨) سورة طـه (٢٠/٥) .
(٥٥٩) سورة ص (٣٨/٧٥) .
(٥٦٠) سورة الفتح (٤٨/٦) .
(٥٦١) سورة الزمر (٣٩/٦٧) .
(٥٦٢) سورة الانعام (٦/١٠٤) .
(٥٦٣) سورة النساء (٤/١٣٤) .
(٥٦٤) سورة المجادلة (٥٨/٢٢) .
(٥٦٥) سورة محمد (٤٧/٢٨) .
(٥٦٦) سورة البقرة (٢/١٩٥) .
(٥٦٧) سورة التوبة (٩/١٠٥) .
(٥٦٨) سورة الزخرف (٤٣/٣) .
(٥٦٩) سورة التوبة (٩/٦) .
(٥٧٠) سورة النمل (٢٧/٨) .
(٥٧١) سورة البقرة (٢/٢١٠) .
(٥٧٢) سورة الفجر (٨٩/٢٢) .
(٥٧٣) سورة الانعام (٦/١٥٨) .

وقوله : ﴿ ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ ﴾ (٥٧٤) .
وقوله : ﴿ إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴾ (٥٧٥) . الى أمثال هذه الآيات .

فمن قال عن جبريل و محمد صلوات الله و سلامه عليهما ، وعن الصحابة والتابعين لهم باحسان ، وائمة المسلمين والجماعة : أنهم كانوا لا يعرفون شيئا من معانى هذه الآيات ، بل استأثر الله بعلم معناها ، كما استأثر بعلم وقت الساعة ، وانما كانوا يقرأون ألفاظا لا يفهمون لها معنى ، كما يقرأ الانسان كلاما لايفهم منه شيئا ، فقد كذب على القوم ؛ والنقول المتواترة عنهم تدل على نقيض هذا ، وانهم كانوا يفهمون هذا كما يفهمون غيره من القرآن ، وان كان كنه الرب عزوجل لا يحيط به العباد ، ولا يحصون ثناءاً عليه ، فذاك لا يمنع أن يعلموا من اسمائه و صفاته ما علمهم سبحانه و تعالى ، كما انهم اذا علموا أنه بكل شيء عليم ، وانه على كل شيء قدير ، لم يلزم ان يعرفوا كيفية علمه و قدرته . واذا عرفوا انه حق موجود لم يلزم ان يعرفوا كيفية ذاته .

وهذا مما يستدل به على ان الراسخين فى العلم يعلمون التأويل ، فان الناس متفقون على انهم يعرفون تأويل المحكم ، ومعلوم أنهم لا يعرفون كيفية ما اخبر الله به عن نفسه فى الآيات المحكمات ، فدل ذلك على ان عدم العلم بالكيفية لا ينفى العلم بالتأويل الذى هو تفسير الكلام وبيان معناه ؛ بل يعلمون تأويل المحكم والمتشابه ، ولا يعرفون كيفية الرب لا فى هذا ، ولا فى هذا .

فان قيل : هذا يقدح فيما ذكرتم من الفرق بين التأويل الذى يراد به التفسير ، وبين التأويل الذى فى كتاب الله تعالى .

قيل لا يقدح فى ذلك ، فان معرفة تفسير اللفظ ومعناه وتصور ذلك فى القلب غير معرفة الحقيقة الموجودة فى الخارج المرادة بذلك الكلام ، فان الشيء له وجود فى الأعيان ، ووجود فى الأذهان ، ووجود فى اللسان ، ووجود فى البيان ، فالكلام لفظ له معنى فى القلب ، ويكتب ذلك اللفظ بالخط ، فاذا عرف الكلام و تصور معناه فى القلب ، و عبر عنه باللسان ، فهذا غير الحقيقة الموجودة فى الخارج ، وليس كل من عرف الاول ، عرف عين الثانى .

(٥٧٤) سورة فصلت (١١/٤١) .
(٥٧٥) سورة يس (٨٢/٣٦) .

مثال ذلك : أن أهل الكتاب يعلمون ما في كتبهم من صفة محمد ﷺ وخبره و نعته ، وهذا معرفة الكلام ومعناه وتفسيره ، وتأويل ذلك هو نفس محمد المبعوث ، فالمعرفة بعينه معرفة تأويل ذلك الكلام ، وكذلك الانسان قد يعرف الحج والمشاعر كالبيت والمسجد ومنى وعرفة ومزدلفة ويفهم معنى ذلك ، ولا يعرف أعيان الأمكنة حتى يشاهدها ، فيعرف أن الكعبة المشاهدة المذكورة في قوله : ﴿ وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ ﴾.[576]

وكذلك ارض عرفات هى المذكورة فى قوله : ﴿ فَإِذَا أَفَضْتُم مِّنْ عَرَفَاتٍ فَاذْكُرُوا اللَّهَ ﴾.[577]

وكذلك المشعر الحرام هى المزدلفة التى بين مأزمي عرفة ، ووادى محسر ، يعرف أنها المذكورة فى قوله : ﴿ فَاذْكُرُوا اللَّهَ عِندَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ ﴾ .

وكذلك الرؤيا يراها الرجل ، ويذكر له العابر تأويلها فيفهمه ويتصوره : مثل أن يقول : هذا يدل على انه كان كذا ، ويكون كذا وكذا ، ثم اذا كان ذلك فهو تأويل الرؤيا ليس تأويلها نفس علمه وتصوره وكلامه ، ولهذا قال يوسف الصديق : ﴿ هَٰذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِن قَبْلُ ﴾.[578]

وقال : ﴿ لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِ إِلَّا نَبَّأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِ قَبْلَ أَن يَأْتِيَكُمَا ﴾.[579]

فقد أنبأهما بالتأويل قبل أن يأتى التأويل ، والانباء ليس هو التأويل ، فالنبى ﷺ عالم بالتأويل ، وان كان التأويل لم يقع بعد ، وان كان لايعرف متى يقع ، فنحن نعلم تأويل ما ذكر الله فى القرآن من الوعد والوعيد ، وان كنا لا نعرف متى يقع هذا التاويل المذكور فى قوله سبحانه وتعالى : ﴿ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُ ﴾ الآية .[580]

وقال تعالى : ﴿ لِّكُلِّ نَبَإٍ مُّسْتَقَرٌّ ﴾.[581]

---

(576) سورة آل عمران (٣/٩٧) .

(577) سورة البقرة (٢/١٩٨) .

(578) سورة يوسف (١٢/١٠٠) .

(579) سورة يوسف (١٢/٣٧) .

(580) سورة الاعراف (٧/٥٣) .

(581) سورة الانعام (٦/٦٧) .

فنحن نعلم مستقر نبأ الله ، وهو الحقيقة التى أخبر الله بها . ولا نعلم متى يكون ، وقد لا نعلم كيفيتها وقدرها ، وسواء فى هذا تأويل المحكم والمتشابه . كما قال الله تعالى : ﴿ قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَى أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِنْ فَوقِكُمْ أَو مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَو يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَ يُذِيقَ بَعْضَكُمْ بَأْسَ بَعْضٍ ﴾[٥٨٢].

قال النبى ﷺ انها كائنة ، ولم يات تأويلها بعد[٥٨٣].

فقد عرف تأويلها ، وهو وقوع الاختلاف والفتن ، وان لم يعرف متى يقع ، وقد لا يعرف صفته و لا حقيقته ، فاذا وقع عرف العارف ان هذا هو التأويل الذى دلت عليه اللآية ، وغيره قد لا يعرف ذلك أو ينساه بعد ما كان عرفه ، فلا يعرف ان هذا تأويل القرآن ، فانه لما نزل قوله تعالى : ﴿ وَاتَّقُوا فِتْنَةً لاَ تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنكُمْ خَاصَّةً ﴾[٥٨٤].

قال الزبير[٥٨٥]: لقد قرأنا هذه الآية زمانا وما ارانا من أهلها ، فاذا نحن المعنيون بها : ﴿ وَاتَّقُوا فِتْنَةً لاَ تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنكُمْ خَاصَّةً ﴾ .

وايضا فان الله قد ذم فى كتابه من يسمع القرآن ولا يفقه معناه ، وذم من لم يتدبره،ومدح من يسمعه ويفقهه ، فقال تعالى : ﴿ وَ مِنْهُمْ مَن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ حَتَّى إِذَا خَرَجُوا مِن عِنْدِكَ ﴾الآية[٥٨٦].

فاخبر انهم كانوا يقولون لأهل العلم : ماذا قال الرسول فى هذا الوقت المتقدم فدل على ان أهل العلم من الصحابة كانوا يعرفون من معانى كلام رسول الله ﷺ ما لا يعرفه غيرهم ، وهؤلاء هم الراسخون فى العلم الذين يعلمون معانى القرآن محكمه و متشابهه ، وهذا كقوله تعالى : ﴿ وَتِلْكَ الأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَ مَا يَعْقِلُهَا إِلاَّ الْعَالِمُونَ ﴾[٥٨٧].

فدل على ان العالمين يعقلونها ، وان كان غيرهم لا يعقلها .

---

(٥٨٢) سورة الانعام (٦٥/٦) .

(٥٨٣) اخرجه احمد (١٧١/١) والترمذى (٢٦٢/٥)وقد مر .

(٥٨٤) سورة الانفال (٢٥/٨) .

(٥٨٥) راجع تفسير ابن الجوزى (٣٤١/٣) واخرجه الطبرى فى تفسيره (٢١٨/٩) وانظر الدر المنثور (٤٦/٤) .

(٥٨٦) سورة محمد (١٦/٤٧) .

(٥٨٧) سورة العنكبوت (٤٣/٢٩) .

والامثال : هى المتشابه عند كثير من السلف . وهى الى المتشابه أقرب من غيرها لما بين الممثل والممثل به من التشابه ، وعقل معناها هو معرفة تأويلها الذى يعرفه الراسخون فى العلم دون غيرهم ، ويشبه هذا قوله تعالى : ﴿ وَ يَرَى الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ الَّذِى أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ هُوَ الْحَقَّ وَ يَهْدِى إِلَى صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ﴾.(٥٨٨)

فلولا انهم عرفوا معنى ما أنزل كيف عرفوا أنه حق وباطل ، وهل يحكم على كلام لم يتصور معناه انه حق أو باطل ؟ !

وقال تعالى : ﴿ أَفَلاَ يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا ﴾.(٥٨٩)

وقال : ﴿ أَفَلاَ يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَ لَو كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلاَفًا كَثِيرًا ﴾.(٥٩٠)

وقال تعالى : ﴿ أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا الْقَولَ أَمْ جَاءَهُمْ مَّا لَمْ يَأْتِ آبَاءَهُمْ الأَوَّلِينَ ﴾.(٥٩١)

وقال تعالى : ﴿ فَبَشِّرْ عِبَادِ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَولَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ ﴾.(٥٩٢)

وقال : ﴿ وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْهَا صُمًّا وَ عُمْيَانًا ﴾.(٥٩٣)

وقال : ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾.(٥٩٤)

وقال : ﴿ كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ﴾.(٥٩٥)

وقال :(٥٩٦) ﴿ كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِّقَومٍ يَعْلَمُونَ بَشِيرًا وَ نَذِيرًا ﴾ الى قوله : ﴿ وَ مِنْ بَيْنِنَا وَ بَيْنِكَ حِجَابٌ ﴾ .

---

(٥٨٨) سورة سبا (٦/٣٤) .

(٥٨٩) سورة محمد (٢٤/٤٧) .

(٥٩٠) سورة النساء (٨٢/٤) .

(٥٩١) سورة المومنون (٦٨/٢٣) .

(٥٩٢) سورة الزمر (١٧/٣٩ ـ ١٨) .

(٥٩٣) سورة الفرقان (٧٣/٢٥) .

(٥٩٤) سورة يوسف (٢/١٢) .

(٥٩٥) سورة هود (١/١١) .

(٥٩٦) سورة فصلت (٣/٤١ ـ ٥) .

فـاذا كان كثير من القرآن أو أكثره مما لا يفهم أحد معناه لم يكن المتـدبر المعقول الا بعضه ، وهذا خلاف ما دل عليه القرآن ، لا سيما عامة ما كان المشركون ينكرونه كالآيات الخبرية ، والاخبار عن اليوم الآخر أو الجنة والنار ، وعن نفى الشركاء والاولاد عن الله ، وتسميته بالرحمن فكان عامة انكارهم لما يخبرهم به من صفات الله نفيا و اثباتا ، وما يخبرهم به عن اليوم الآخر ، وقد ذم الله من لا يعقل ذلك ولا يفقهه ولا يتدبره . ٥

فعلم ان الله يأمر بعقل ذلك و تدبره ، وقد قال تعالى : ﴿ وَ مِنْهُمْ مَّن يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ أَفَأَنْتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ وَ لَو كَانُوا لاَ يَعْقِلُونَ ، وَ مِنْهُمْ مَّن يَنْظُرُ إِلَيْكَ أَفَأَنْتَ تَهْدِى الْعُمْىَ وَ لَو كَانُوا لاَ يُبْصِرُونَ ﴾.(٥٩٧)

وقال : ﴿ وَ مِنْهُمْ مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ وَ جَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَ فِى آذَانِهِمْ وَقْرًا ﴾.(٥٩٨) ١٠

وقال تعالى : ﴿ وَ إِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَ بَيْنَ الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ حِجَابًا مَّسْتُورًا ، وَ جَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَ فِى آذَانِهِمْ وَقْرًا ﴾ الآية .(٥٩٩)

وقد استدل بعضهم بان الله لم ينف عن غيره علم شيء الا كان منفردا به ، كقوله : ﴿ قُلْ لاَّ يَعْلَمُ مَن فِى السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ الْغَيْبَ إِلاَّ اللَّهُ ﴾.(٦٠٠) ١٥

وقوله : ﴿ لاَ يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلاَّ هُوَ ﴾.(٦٠١)

وقوله : ﴿ وَ مَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلاَّ هُوَ ﴾.(٦٠٢)

فيقال ليس الامر كذلك ، بل هذا بحسب العلم المنفى ، فان كان مما استأثر الله به قيل فيه ذلك ، وان كان مما علمه بعض عباده ذكر ذلك ، كقوله : ٢٠ ﴿ وَ لاَ يُحِيطُونَ بِشَىْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلاَّ بِمَا شَاءَ ﴾.(٦٠٣)

وقوله : ﴿ عَالِمُ الْغَيْبِ فَلاَ يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا ﴾ الى قوله : ﴿ رَصَدًا ﴾.(٦٠٤)

---

(٥٩٧) سورة يونس (١٠/٤٢ ـ ٤٣) .

(٥٩٨) سورة الانعام (٦/٢٥) .

(٥٩٩) سورة الاسراء (١٧/٤٥ ـ ٤٦) .

(٦٠٠) سورة النمل (٢٧/٦٥) .

(٦٠١) سورة الاعراف (٧/١٨٧) .

(٦٠٢) سورة المدثر (٧٤/٣١) .

(٦٠٣) سورة البقرة (٢/٢٥٥) .

(٦٠٤) سورة الجن (٧٢/٢٦ ـ ٢٧) .

وقوله : ﴿ قُلْ كَفَى بِاللهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَ بَيْنَكُمْ وَ مَن عِندَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ ﴾.[(٦٠٥)]

وقوله : ﴿ شَهِدَ اللهُ أَنَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ وَالْمَلاَئِكَةُ وَ أُولُوا الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ ﴾.[(٦٠٦)]

وقوله : ﴿ لكِنِ اللهُ يَشْهَدُ بِمَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ أَنْزَلَهُ بِعِلْمِهِ ﴾ الى قوله : ﴿ شَهِيدًا ﴾.[(٦٠٧)]

وقوله : ﴿ قُل رَبِّى أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِمْ مَّا يَعْلَمُهُمْ إِلاَّ قَلِيلٌ ﴾.[(٦٠٨)]

وقال للملائكة : ﴿ إِنِّى أَعْلَمُ مَا لاَ تَعْلَمُونَ ﴾.[(٦٠٩)]

وقالت الملائكة : ﴿ لاَ عِلْمَ لَنَا إِلاَّ مَا عَلَّمْتَنَا ﴾.[(٦١٠)]

وفى كثير من كلام الصحابة : الله ورسوله اعلم .

وفى الحديث المشهور[(٦١١)]: « أسألك بكل اسم هو لك سميت به نفسك أو أنزلته فى كتابك ، أو علمته أحدا من خلقك أو استأثرت به فى علم الغيب عندك » .

وقد قال تعالى : ﴿ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِى شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللهِ وَالرَّسُولِ ﴾[(٦١٢)]، واول النزاع النزاع فى معانى القرآن ، فان لم يكن الرسول عالما بمعانيه امتنع الرد اليه ، وقد اتفق الصحابة والتابعون لهم باحسان وسائر أئمة الدين أن السنة تفسر القرآن وتبينه ، وتدل عليه وتعبر عن مجمله ، وانها تفسر مجمل القرآن من الامر والخبر . وقال تعالى : ﴿ كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَ مُنْذِرِينَ ﴾[(٦١٣)] الى قوله : ﴿ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ ﴾

(٦٠٥) سورة الرعد (٤٣/١٣) .

(٦٠٦) سورة آل عمران (١٨/٣) .

(٦٠٧) سورة النساء (١٦٦/٤) .

(٦٠٨) سورة الكهف (٢٢/١٨) .

(٦٠٩) سورة البقرة (٣٠/٢) .

(٦١٠) سورة البقرة (٣٢/٢) .

(٦١١) اخرجه احمد فى مسنده (٤٥٢،٣٩١/١) عن ابن مسعود .
وذكره الهيثمى فى مجمع الزوائد (١٣٦/١٠) ونسبه لأحمد وابى يعلى والبزار وقال : « رجال احمد وابى يعلى رجال الصحيح غير ابى سلمة الجهنى ، وقد وثقه ابن حبان » .
ورواه الحاكم (٥٠٩/١ ـ ٥١٠) وراجع كلام الشيخ احمد بن شاكر فى المسند (٣٧١٢) فى تصحيح هذا الحديث .

(٦١٢) سورة النساء (٥٩/٤) .

(٦١٣) سورة البقرة (٢١٣/٢) .

ومن اعظم الاختلاف الاختلاف فى المسائل العلمية الخبرية المتعلقة بالايمان بالله واليوم اللآخر ، فلا بد ان يكون الكتاب حاكما بين الناس فيما اختلفوا فيه من ذلك ، ويمتنع ان يكون حاكما ان لم يكن معرفة معناه ممكنا ، وقد نصب الله عليه دليلا ، والا فالحاكم الذى لا يبيّن ما فى نفسه لا يحكم بشيء ، وكذلك اذا قيل هو الحاكم بالكتاب ، فان حكمه فصل يفصل به بين الحق والباطل ، وهذا انما يكون بالبيان ، وقد قال تعالى فى القرآن : ﴿ إِنَّهُ لَقَوْلٌ فَصْلٌ ﴾[614].

اى فاصل يفصل بين الحق والباطل ، فكيف يكون فصلا اذا لم يكن الى معرفة معناه سبيل ؟ ! .

وايضا فان الله قال : ﴿ وَ مِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لاَ يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلاَّ أَمَانِيَّ وَ إِنْ هُمْ إِلاَّ يَظُنُّونَ ﴾[615].

فذم هؤلاء الذين لا يعلمون الكتاب الا أماني ، كما ذم الذين يحرفون معناه ويكذبون ، فقال تعالى : ﴿ أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَ قَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلاَمَ اللهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِن بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَ هُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ الى قوله : ﴿ أَفَلاَ تَعْقِلُونَ ﴾[616].

فهذا أحد الصنفين ، ثم قال تعالى : ﴿ وَ مِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لاَ يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلاَّ أَمَانِيَّ ﴾ أى تلاوة ﴿ وَ إِنْ هُمْ إِلاَّ يَظُنُّونَ ﴾ .

ثمّ ذمّ الذين يفترون كتبا يقولون هى من عند الله ، وما هى من عند الله ، فقال : ﴿ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ﴾ الى قوله : ﴿ يَكْسِبُونَ ﴾[617].

وهذه الاصناف الثلاثة تستوعبُ أهل الضّلال والبدع ، فان أهل البدع الذين ذمهم الله ورسوله نوعان :

أحدهما : عالم بالحق يتعمّد خلافه .

والثانى : جاهلٌ مُتّبعٌ لغيره .

---

(614) سورة الطارق (١٣/٨٦) .

(615) سورة البقرة (٧٨/٢) .

(616) سورة البقرة (٧٥/٢ ـ ٧٦) .

(617) سورة البقرة (٧٩/٢) .

فالاولون : يبتدعون ما يخالف كتاب الله ، ويقولون هو من عند الله ، إما أحاديث مفتريات ، وإما تفسير تأويل للنصوص باطل ، ويعضدون ذلك بما يدّعونه من الراى والعقل ، وقصدهم بذلك الرياسة والمأكل ، فهؤلاء يكتبون الكتاب بأيديهم ليشتروا به ثمنا قليلا ، فويل لهم مما كتبت أيديهم من الباطل ، وويل لهم مما يكسبون من المال على ذلك ، وهؤلاء اذا عورضوا بنصوص الكتب الالهية ، وقيل لهم هذه تخالفكم ، حرفوا الكلم عن مواضعه بالتأويلات الفاسدة ، قال الله تعالى : ﴿ أَ فَتَطْمَعُونَ أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَ قَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلاَمَ اللهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَ هُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ .

وأما النوع الثانى : الجهال . فهؤلاء الامّيون الذين لا يعلمون الكتاب الا امانى ، وان هم الا يظنون . فعن ابن عباس[٦١٨] وقتادة فى قوله : ﴿ وَ مِنْهُمْ أُمِّيُّونَ ﴾ أى غير عارفين بمعانى الكتاب ، يعلمونها حفظا وقراءةً بلا فهم ، ولا يدرون ما فيه ، وقوله : ﴿ إِلاَّ أَمَانِيَّ ﴾ أى تلاوة ، فهم لا يعلمون فقه الكتاب ، انما يقتصرون على ما يسمعونه يتلى عليهم ، قاله الكسائى والزجاج ، وكذلك قال ابن السائب لا يحسنون قراءة الكتاب ، ولا كتابته الا امانى : الا ما يحدثهم به علماؤهم .

وقال ابو روق وابو عبيدة : أى تلاوة[٦١٩] وقراءة عن ظهر القلب ، ولا يقرأونها فى الكتب ، ففى هذا القول جعل الامانى التى هى التلاوة تلاوة الاميين أنفسهم ، وفى ذلك جعله ما يسمعونه من تلاوة علمائهم ، وكلا القولين حق ، والآية تَعُمُّها فانه سبحانه وتعالى قال : ﴿ لاَ يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ ﴾ . لم يقل لا يقرأون ولا يسمعون ،ثم قال : ﴿ إِلاَّ أَمَانِيَّ ﴾ وهذا استثناء منقطع . لكن يعلمون امانى إمّا بقراءتهم لها ، وإما بسماعهم قراءةَ غيرهم .

وان جعل الاستثناء متصلا كان التقدير لا يعلمون الكتاب الا علم امانى ، لاعلم تلاوة فقط بلا فهم ،

---

(٦١٨) راجع تفسير ابن جرير (٣٧٥/١) وتفسير ابن الجوزى (١٠٥/١) وتفسير ابن كثير (١١٦/١ ـ ١١٧) .

(٦١٩) راجع تفسير البغوى (٧٧/١) .

والامانى جمع أُمْنِيَة وهى التلاوة ، ومنه قوله تعالى : ﴿ وَ مَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَ لاَ نَبِيٍ إلاَّ إذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَنُ فِى أُمْنِيَّتِهِ فَيَنْسَخُ اللهُ مَا يُلْقِى الشَّيْطَنُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللهُ آيَاتِهِ وَاللهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾.[٦٢٠]

قال الشاعر : [٦٢١]

٥

تمنى كتاب الله أول ليلة وآخرها لاقى حمام المقادر

والاميون نسبة الى الأمّة ، قال بعضهم الى الامة وما عليه العامة ،[٦٢٢] فمعنى الامى العامى الذى لا تميز له ، وقد قال الزجاج هو على خلق الامة التى لم تتعلم ، فهو على جِبِلّته ، وقال غيره هو نسبة الى الامة ؛ لأن الكتابة كانت فى الرجال دون النساء و لأنه على ما ولدته أمه .

١٠

والصواب : انه نسبة الى الامة كما يقال عامّى نسبة الى العامّة التى لم تتميز عن العامة بما تمتاز به الخاصة ، وكذلك هذا لم يتميز عن الامّة بما يمتاز به الخاصة من الكتابة والقراءة ، ويقال الأمّى لمن لا يقرأ ولا يكتب كتابا ، ثم يقال لمن ليس لهم كتاب منزل من الله يقرأونه وان كان قد يكتب ويقرأ ما لم ينزل ؛ وبهذا المعنى كان العرب كلهم أمّيين ، فانه لم يكن عندهم كتاب مُنزّل من الله ، قال الله تعالى : ﴿ وَ قُل لِلَّذِيْنَ أُوْتُوا الْكِتَابَ وَالأُمِّيِّيْنَءَأَسْلَمْتُمْ فَإنْ أَسْلَمُوا فَقَدِ اهْتَدَوا ﴾.[٦٢٣]

١٥

وقال : ﴿ هُوَ الَّذِى بَعَثَ فِى الأُمِّيِّيْنَ رَسُولاً مِّنْهُمْ ﴾.[٦٢٤]

وقد كان فى العرب كثير ممن يكتب ويقرأ المكتوب ، وكلهم اميون . فلما نزل القرآن عليهم لم يبقوا أمّيين باعتبار انهم لا يقرأون كتابا من حفظهم ، بل

٢٠

(٦٢٠) سورة الحج (٥٢/٢٢) .

(٦٢١) هو كعب بن مالك يرثى عثمان بن عفان .
والبيت فى تفسير القرطبى (٦/٢) واللسان « منى » .

(٦٢٢) راجع اللسان « امم » .

(٦٢٣) سورة آل عمران (٢٠/٣) .

(٦٢٤) سورة الجمعة (٢/٦٢) .

هم يقرأون القرآن من حفظهم ، وانـــا جيلُهم فى صـــــدروهم ، لكن بقــوا أمّيين باعتبار انهم لا يحتاجون الى كتابة دينهم ، بل قرآنهم محفوظ فى قلوبهم ، كما فى الصحيح عن عياض بن حمار المجاشعى عن النبى ﷺ انه قال « خلقتُ عبادى يومَ خلقْتهُمْ حُنفاء ــ وقال فيه ــ إنى مُبْتَلِيكَ وَ مُبْتَلٍ بك ، وانزلت عليك كتابا لا يغسلُه الماءُ تقروُهُ نائما ويقظانا »[٦٢٥] .

فأمّتنا ليست مثل أهل الكتاب الذين لا يحفظون كتبهم فى قلوبهم ، بل لو عُدِمت المصاحف كلّها كان القرآن محفوظا فى قلوب الامة ، وبهذا الاعتبار فالمسلمون أمّة أمّيّة بعد نزول القرآن وحفظه . كما فى الصحيح عن ابن عمر رضى الله تعالى عنهما عن النبى ﷺ انه قال[٦٢٦] : « إنّا أمّةٌ أمّيّةٌ لا نَحْسِبُ ولا نَكْتُبُ ؛ الشهر هكذا وهكذا » .

فلم يقل إنا لا نقرأ كتابا ، ولا نحفظ ، بل قال : لا نكتب ولا نحسب ، فديننا لا يحتاج ان يكتب و يحسب ، كما عليه أهل الكتاب من انهم يعلمون مواقيت صومهم وفطرهم بكتاب وحساب ، ودينهم معلّق بالكتب لو عُدِمت لم يعرفوا دينهم ، ولهذا يوجد أكثر اهل السنة يحفظون القرآنَ والحديثَ اكثرَ من اهل البدع ، واهل البدع فيهم شبهٌ باهل الكتاب من بعض الوجوه .

وقوله : ﴿ فَآمِنُوا بِاللهِ وَ رَسُولِهِ النَّبِيِّ الأُمِّيِّ ﴾[٦٢٧] هو أمّىٌّ بهذا الاعتبار ؛لانه لايكتب ولا يقرأ ما فى الكتب ، لا باعتبار انه لا يقرأ من حفظه ، بل كان يحفظ القرآن أحسن حفظ ، والامّى فى اصطلاح الفقهاء خلاف القارىء ، وليس هو خلاف الكاتب بالمعنى الاول ، ويعنون به فى الغالب من لا يحسن الفاتحة ، فقوله تعالى : ﴿ وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لاَ يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلاَّ أَمَانِيَّ ﴾[٦٢٨]

اى لا يعلمون الكتاب الا تلاوة لا يفهمون معناها ، وهذا يتناول من لا يحسن الكتابة ولا القراءة من قبل ، وانما يسمع أمانى علما ، كما قال ابن السائب ،

(٦٢٥) رواه مسلم فى الجنة (٢١٩٧/٣) ولفظه مختلف عما هنا ، وكذا اخرجه احمد (١٦٢/٤) .

(٦٢٦) اخرجه البخارى فى الصوم (٢٣٠/٢) وكذا مسلم (٧٦١/١) وابوداود (٧٣٩/٢) والنسائى (١٣٩/٤ ـ ١٤٠) واحمد فى مسنده (١٢٢،٥٢،٤٣/٢) .

(٦٢٧) سورة الاعراف (١٥٨/٧) .

(٦٢٨) سورة البقرة (٧٨/٢) .

ويتنـاول من يقرأه عن ظهر قلبـه ولا يقرأه من الكتـاب ، كما قـال ابـو روق ، وابو عبيدة .

وقـد يقـال : ان قولـه : ﴿ لاَ يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ ﴾ أى الخـط ، أى لا يحسنون الخط ، وانما يحسنون التلاوة ، ويتنـاول ايضـا من يحسن الخـط والتلاوة ولا يفهم مـا يقرأه ويكتبـه ، كما قـال ابن عبـاس وقتـادة : غير عـارفين معـانى الكتاب ، يعلمونها حفظا وقراءة بلا فهم ، ولا يدرون مـا فيـه . والكتـاب هنـا المراد بـه : الكتـاب المنزل ، وهو التـوراة ، ليس المراد بـه الخـط ، فـانـه قـال : ﴿ وَإِن هُمْ إِلاَّ يَظُنُّونَ ﴾ .

فهذا يدل على انـه نفى عنهم العلم بمعـانى الكتـاب ، والا فكون الرجل لا يكتب بيـده لا يستلزم ان يكون لا علم عنـده ، بل يظن ظنـا ، بـل كثير ممن يكتب بيده لا يفهم مـا يكتب ، وكثير ممن لا يكتب يكـون عـالمـا بمعـانى مـا يكتبه غيره .

وايضا فان الله ذكر هذا فى سياق الذم لهم ، وليس فى كون الرجل لا يخط ذم اذا قام بالواجب ، وانما الذم على كونـه لا يعقل الكتـاب الـذى انزل اليـه ، سواء كتبه وقرأه او لم يكتبـه ولم يقرأه ، كما قـال النبى ﷺ : « هـذا أَوَانُ يُرفعُ العلمُ . فقـال لـه زيـاد بن لبيـد : كيف يرفـع العلم وقـد قَرأنـا القرآنَ ؟ فـوالله لَنقرأَنَّهُ و لَنُقْرِئَنَّه نساءنا ، فقال له : إن كنتُ لأحسبُكَ من أفقه أهلِ المـدينـة ، أو ليست التوراة والانجيل عند اليهود والنصارى ؟ فماذا تُغْنِى عنهم ؟ » .

وهو حديث معروف ، رواه الترمذى[٦٢٩] ، وغيره ،

ولانه قـال تعـالى قبل هـذا : ﴿ وَ قَـدْ كَـانَ فَرِيْقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلاَمَ اللهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِن بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَ هُمْ يَعْلَمُونَ ﴾[٦٣٠] .

فـاولئـك عقلوه ثم حرّفوه ، وهم مـذمـومـون سـواء كانـوا يحفظـونـه بقلـوبهم ويكتبونه ويقرأونه حفظا وكتابة ، أو لم يكونوا كذلك ، فكان من المنـاسب ان يذكر الذين لا يعقلونه وهم الذين لا يعلمونـه الا امـانى ، فـان القران انزلـه الله كتابا متشابها مثانى ، ويذكر فيه الاقسام والامثـال فيستوعب الاقسـام ، فيكون

(٦٢٩) اخرجه فى العلم من حديث ابى الدرداء (٣١/٥) واخرجه احمد (٢١٩/٤) وابن ماجة فى الفتن (١٣٤٤/٢ رقم ٤٠٤٨) من حديث زياد بن لبيد ـــ والدارمى من حديث ابى امامة (٧٧) .

(٦٣٠) سورة البقرة (٧٥/٢) .

مثاني ؛ ويذكر الامثال فيكون متشابها ، وهولاء وان كانوا يكتبون ويقرأون فهم أميُّون من اهل الكتاب ، كما تقول نحن لمن كان كذلك هوأمّيٌّ ، وساذج ، وعاميٌّ ، وان كان يحفظ القرآن ويقرأ المكتوب اذا كان لا يعرف معناه .

واذا كان الله قد ذم هؤلاء الذين لا يعرفون الكتاب الا تلاوة دون فهم معانيه ، كما ذمَّ الذين يُحَرِّفون الكلم عن مواضعه من بعد ما عقلوه وهو يعلمون ، دلَّ على ان كلا النوعين مذموم : الجاهل الذى لا يفهم معانى النصوص ، والكاذب الذى يحرف الكلم عن مواضعه ، وهذا حال اهل البدع ، فانهم احد رجلين :

إما رجل يحرف الكلمَ عن مواضعه ، ويتكلم برأيه ، ويُؤوِّله بما يضيفه الى الله فهؤلاء يكتبون الكتاب بأيديهم ويقولون هو من عند الله ، ويجعلون تلك المقالات التى ابتدعوها هى مقالة الحق ، وهى التى جاء بها الرسول ، والتى كان عليها السلف ، ونحو ذلك ، ثم يحرفون النصوص التى تعارضها . فهؤلاء اذا تعمَّدوا ذلك ، وعلموا ان الذى يفعلونه مخالف للرسول ، فهم من جنس هؤلاء اليهود ، وهذا يوجد فى كثير من الملاحدة ، ويوجد فى بعض الاشياء فى غيرهم .واما الذين قصدهم أتباع الرسول باطنا وظاهرا ، وغلطوا فيا كتبوه وتأوّلوه فهؤلاء ليسوا من جنسهم ؛ لكن قد وقع بسبب غلطهم ما هو من جنس ذلك الباطل ، كما قيل : إذَا زَلَّ العَالِمُ زَلَّ بِزَلَّتِه عَالَمٌ ، وهذا حال متاوِّلين من هذه الامة .

و إمَّا رجل مُقلِّد اميٌّ لايعرف من الكتاب الا ما يسمعه منهم ، او ما يتلوه هو ، ولا يعرف الا امانى وقد ذمّه الله على ذلك ، فعلم ان الله ذمَّ الذين لا يعرفون معانى القرآن ولا يتدبرونه و لا يعقلونه ، كما صرح القرآن بذمهم فى غير موضع ، فيمتنع مع هذا أن يقال : إنَّ اكثر القرآن او كثيرا منه لا يعلمه احد من الخلق الا امانى ، لاجبريل ولا محمد ولاالصحابة ولا احد من المسلمين ، فان هذا تشبيه لهم بهؤلاء فيا ذمهم الله به .

فان قيل : أفلا يجب على كل مسلم معرفة معنى كل آية ؟

قيل : نعم ، لكن معرفة معانى الجميع فرضٌ على الكفاية ، وعلى كل مسلم

معرفة مالا بُدَّ منه ، وهؤلاء ذَمَّهم الله لأنهم لايعلمون معانى الكتاب الا تلاوة ، وليس عندهم الا الظنّ ، وهذا يشبه قوله : ﴿ وَإِنَّهُمْ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ ﴾[٦٣١].

فان قيل : فقد قال بعض المفسرون : ﴿ إِلاَّ أَمَانِيَّ ﴾ إلا ما يقولونه بافواههم كذبا وباطلا ، وروى هذا عن بعض السلف واختاره الفرّاءُ . وقال : ﴿ الأَمَانِيُّ ﴾ الأكاذيب المفتعلة ، قال بعض العرب لابن دأب ــ وهو يحدث ــ : أهذا شيءٌ رَوَيْتَهُ أمْ تَمَنَّيتَهُ أى افتَعَلْتَهُ ؛ فاراد بالامانى الاشياء التى كتبها علماؤهم من قِبَلِ انفسهم ثم اضافوها الى الله من تغيير صفة محمد ﷺ ، وقال بعضهم : ﴿ الأَمَانِيُّ ﴾ يَتَمَنَّوْنَ على الله الباطل والكذب ، كقولهم : ﴿ لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلاَّ أَيَّامًا مَّعْدُودَةً ﴾[٦٣٢].

وقولهم : ﴿ لَن يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلاَّ مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَى ﴾[٦٣٣].

وقولهم : ﴿ نَحْنُ أَبْنَاءُ اللهِ وَأَحِبَّاؤُهُ ﴾[٦٣٤].

وهذا ايضا يروى عن بعض السلف .

قيل : كلا القولين ضعيف . والصواب الاول ؛ لانه سبحانه قال : ﴿ وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لاَ يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلاَّ أَمَانِيَّ ﴾[٦٣٥].

وهذا الاستثناء اما أن يكون متصلا او منقطعا ، فان كان متصلا لم يجز استثناء الكذب ولا امانى القلب من الكتاب ، وان كان منقطعا فالاستثناء المنقطع انما يكون فيما كان نظير المذكور شبيها له من بعض الوجوه ، فهو من جنسه الذى لم يذكر فى اللفظ : ليس من جنس المذكور ؛ ولهذا لا يصلح المنقطع حيث يصلح الاستثناء المفرغ ، وذلك كقوله : ﴿ لاَ يَذُوقُونَ فِيهَا الْمَوتَ ﴾[٦٣٦].

ثم قال : ﴿ إِلاَّ الْمَوْتَةَ الأُولَى ﴾ .

فهذا منقطع ؛ لانه يحسن ان يقال : ﴿ لاَ يَذُوقُونَ إِلاَّ الْمَوْتَةَ الأُولَى ﴾ .

(٦٣١) سورة فصلت (٤١/٤٥) .
(٦٣٢) سورة البقرة (٢/٨٠) .
(٦٣٣) سورة البقرة (٢/١١١) .
(٦٣٤) سورة المائدة (٥/١٨) .
(٦٣٥) سورة البقرة (٢/٧٨) .
(٦٣٦) سورة الدخان (٤٤/٥٦) .

وكذلك قوله تعالى : ﴿ وَلاَ تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ إِلاَّ أَن تَكُونَ تِجَارَةً عَنْ تَرَاضٍ مِّنْكُمْ ﴾[٦٣٧].

لانه يُحسن ان يقال : لا تاكلوا اموالكم بينكم الا ان تكون تجارة ، وقوله : ﴿ مَا لَهُمْ بِهِ مِن عِلْمٍ إِلاَّ اتِّبَاعَ الظَّنِّ ﴾[٦٣٨].

٥ يصلُحُ ان يقال وما لهم الا اتباع الظن ، فهنا لما قال : ﴿ لاَ يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلاَّ أَمَانِيَّ ﴾ .

يحسن ان يقال لا يعلمونه الا امانى ، فانهم يعلمونه تلاوة يقرأونها ويسمعونها ولا يحسن ان يقال لايعلمون الا ما تتمناه قلوبهم ، او لا يعلمون الا الكذب ، فانهم قد كانوا يعلمون ما هو صدق ايضا . فليس كل ما علموه من ١٠ علمائهم كان كذبا ، بخلاف الذى لايعقل معنى الكتاب ، فانه لايعلم الا تلاوة .

وايضا فهذه الامانى الباطلة التى تمنّوها بقلوبهم وقالوها بالسنتهم . كقوله تعالى : ﴿ تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ ﴾[٦٣٩].

قد اشتركوا فيها كلهم فلا يخصُّ بالذمِّ الأُمّيُّونَ منهم ، وليس لكونهم امّيين مدْخَلٌ فى الذم بهذه ، ولا لنفى العلم بالكتاب مدخل فى الذم بهذه ، بل الذم ١٥ بهذه مما يعلم انها باطل اعظم منْ ذم من لا يعلم انها باطل ، ولهذا لما ذم الله بها ، عمّ ولم يخصّ فقال تعالى : ﴿ وَقَالُوا لَن يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلاَّ مَن كَانَ هُودًا أَو نَصَارَى تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ ﴾ الآية .

وايضا فانه قال : ﴿ وَ إِنْ هُمْ إِلاَّ يَظُنُّونَ ﴾[٦٤٠] فدل على انه ذمّهم على نفى العلم ، وعلى انه ليس معهم الا الظن ، وهذا حال الجاهل بمعانى الكتاب لا حال ٢٠ من يعلم انه يكذب ، فظهر ان هذا الصنف ليس هم الذين يقولون بافواههم الكذب والباطل ، ولو اريد ذلك لقيل لا يقولون الا امانى ، لم يقل لا يعلمون الكتاب الا امانى ، بل ذلك الصنف هم الذين يحرفون الكلم عن مواضعه ، ويلوُون السنتهم بالكتاب لتحسبوه من الكتاب وما هو من الكتاب ، ويقولون هو من عند الله وما هو من عند الله ، ويكتبون الكتاب بايديهم ليشتروا به ثمنا

---

(٦٣٧) سورة النساء (٢٩/٤)

(٦٣٨) سورة النساء (١٥٧/٤) .

(٦٣٩) سورة البقرة (١١١/٢) .

(٦٤٠) سورة البقرة (٧٨/٢) .

قليلا ، فهم يحرفون معانى الكتاب ، وهم يحرفون لفظه لمن لم يعرفه ، ويكذبون فى لفظهم وخطّهم .

وقد ثبت فى الصحيحين[٦٤١] عن النبى ﷺ انه قال : « لَتَتَّبِعُنَّ سُنَنَ مَن كان قبلكم حَذو القُذَّةِ بالقذةِ حتى لو دخلوا جُحْرَ ضَبٍّ لدخلتموه . قالوا : يا رسول الله ! اليهود والنصارى ؟ قال فمن ؟ » .

وفى الصحيحين[٦٤٢] عن النبى ﷺ قال : « لتَأخُذَنَّ أمّتى مأخذ الامَمِ قبلها شبرا بشبر وذراعا بذراع . قالوا يارسول الله ! فارس والروم ؟ قال ومن الناس الا اولئك » .

فهذا دليل على ان ما ذم الله به اهل الكتاب فى هذه الآية يكون فى هذه الامة من يشبههم فيه ، وهذا حق قد شوهد ، قال تعالى : ﴿ سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الآفَاقِ وَ فِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الحَقُّ ، أَوَ لَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ؟ ! ﴾[٦٤٣].

فمن تدبر ما اخبر الله به ورسوله رأى انه قد وقع من ذلك امورٌ كثيرةٌ ؛ بل اكثر الامور ، ودَلّه ذلك على وقوع الباق .

✡ ✡ ✡

---

(٦٤١) رواه البخارى فى الانبياء (١٤٤/٤) وفى الاعتصام (١٥١/٨) من حديث ابى سعيد وفيه « شبرا بشبر وذراعا بذراع » بدل حدو القذة بالقذة .
واخرجه احمد ايضا (٩٤،٨٩،٨٤/٣) .
اما لفظ القذة بالقذة فورد فى حديث مختصر من رواية شداد بن اوس عند احمد (١٢٥/٤) .

(٦٤٢) كذا فى الاصل والحديث تفرد به البخارى عن ابى هريرة (١٥١/٨) وفيه « لاتقوم الساعة حتى تاخذ امتى..... » ..
واخرجه ابن ماجة (١٣٢٢/٢ رقم ٣٩٩٤) واحمد (٥٢٧،٥١١،٤٥٠،٣٢٧/٢) .

(٦٤٣) سورة فصلت (٥٣/٤١) .

فصـــــل

فقـد تبين ان الواجب طلب علم مـا انزل الله على رسولـه ﷺ من الكتـاب والحكمـة ، ومعرفـة مـا اراد بـذلـك كما كان على ذلـك الصحـابـة والتـابعـون لهم باحسان ، ومن سلك سبيلهم ، فكل ما يحتاج الناس اليـه فى دينهم ، فقـد بيَّنـه الله ورسوله بيانا شافيا ، فكيف باصول التوحيد والايمان ؟ ثم اذا عرف ما بيَّنـه الرسول نَظر فى اقوال الناس ، وما ارادوه بهـا ، فعرضت على الكتـاب والسنـة ، والعقل الصريـح دائمـا مـوافـق للرسـول ﷺ لا يخـالفـه قـط ، فـان الميزان مـع الكتـاب ، والله انزل الكتـاب بـالحق والميزان ؛ لكن قـد تقصُرَ عقول النـاس عن معرفة تفصيل ما جاء به ، فيأتيهم الرسول بما عجزوا عن معرفته وحـاروا فيـه ، لا بما يعلمون بعقولهم بطلانه ، فالرسل صلوات الله وسلامـه عليهم تخبر بمحـارات العقول لا تخبر بمحالات العقول ، فهذا سبيل الهـدى والسنـة والعلم ، وامـا سبيل الضلال والبدعة والجهل فعكس ذلك : ان يبتدع بدعة برأى رجال وتأويلاتهم ؛ ثم يجعل ما جاء به الرسول تبعا لها ، ويحـرف الفـاظـه ، ويتـأول على وفق مـا اصلوه .

وهؤلاء تجدهم فى نفس الامر لا يعتمدون على ما جاء به الرسول ، ولا يتلقون الهدى منه ، ولكن ما وافقهم منه قبلوه ، وجعلوه حجّةً لا عمدة ، وما خالفهم تأولوه ، كالذين يحرّفون الكلم عن مواضعه او فوّضوه ، كالذين لا يعلمون الكتاب الا امانى ، وهؤلاء قد لا يعرفون ما جاء به الرسول : اما عجزا واما تفريطا ، فانه يحتاج الى مقدمتين :

ان الرسول قال كذا ، وانه اراد به كذا .

اما الاولى فعامّتهم لا يرتابون فى انه جاء بالقرآن وان كان من غلاة أهل البدع من يرتاب فى بعضه ، لكن الاحاديث عامة اهل البدع جهال بها ، وهم يظنون ان هذه رواها آحاد يُجوّزون عليهم الكذب والخطأ ، ولا يعرفون من كثرة طُرُقها وصفات رجالها ، والاسباب الموجبة للتصديق بها ما يعلمه اهل العلم بالحديث ؛ فان هؤلاء يقطعون قطعا يقينا بعامّة المتون الصحيحة التى فى الصحيحين كما قد بسطناه فى غير هذا الموضع .

واما المقدمة الثانية : فانهم قد لا يعرفون معانى القرآن والحديث ، ومنهم من يقول : الادلة اللفظية لا تفيد اليقين بمراد المتكلم ، وقد بسطنا الكلام على فساد ذلك فى غير هذا الموضع .

وكثير منهم انما ينظر من تفسير القرآن والحديث فيما يقوله موافقوه على المذهب فيتأوّل تأويلاتهم ، فالنصوص التى توافقهم يحتجون بها ، والتى تخالفهم يتأولونها ، وكثير منهم لم يكن عمدتهم فى نفس الامر اتباع نص اصلا ، وهذا فى البدع الكبار مثل الرافضة والجهمية ، فان الذى وضع الرفض كان زنديقا ابتدأ تعمّد الكذب الصريح الذى يعلم انه كذب ، كالذين ذكرهم الله من اليهود الذين يفترون على الله الكذب وهم يعلمون ، ثم جاء من بعدهم من ظنّ صدق ما افتراه اولئك ، وهم فى شك منه ، كما قال تعالى : ﴿ وَ إِنَّ الَّذِينَ أُورِثُوا الْكِتَابَ مِن بَعْدِهِمْ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ ﴾[٦٤٤].

وكذلك الجهمية ليس معهم على نفى الصفات وعلوّ الله على العرش ، ونحو ذلك نص أصلا ، لا آيةٌ ولا حديث ، ولا أثر عن الصحابة ، بل الذى ابتدأ

(٦٤٤) سورة الشورى (١٤/٤٢) وفى الاصل « وان الذين اوتوا العلم » وهو خطأ .

ذلك لم يكن قصده اتباع الانبياء ، بل وضع ذلك كما وضعت عبادة الاوثان ، وغير ذلك من اديان الكفار ، مع علمهم بان ذلك مخالف للرسل ، كما ذكر عن مبدلة اليهود ، ثم فشا ذلك فيمن لم يعرفوا أصل ذلك .

وهذا بخلاف بدعة الخوارج ؛ فان اصلها ما فهموه من القرآن فغلطوا فى فهمه ، ومقصودهم اتباع القرآن باطنا وظاهرا ، ليسوا زنادقة .

وكذلك القدرية اصل مقصودهم تعظيم الامر والنهى والوعد الوعيد الذى جاءت به الرسل ، ويتبعون من القرآن ما دل على ذلك ، فعمرو بن عبيد وامثاله لم يكن أصل مقصودهم معاندة الرسول ﷺ كالذى ابتدع الرفض .

وكذلك الارجاء انما احدثه قوم قصدهم جعل أهل القبلة كلهم مؤمنين ليسوا كفارا ، قابلوا الخوارج والمعتزلة فصاروا فى طرف آخر .

وكذلك التشيع المتوسط ـــ الذى مضمونه تفضيل على وتقديمه على غيره ، ونحو ذلك لم يكن هذا من إحداث الزنادقة ، بخلاف دعوى النص فيه والعصمة ، فان الذى ابتدع ذلك كان منافقا زنديقا ولهذا قال عبد الله بن المبارك ويوسف بن اسباط وغيرهما :

اصول البدع اربعة : الشيعة ، الخوارج ، والقدرية ، والمرجئة . قالوا : والجهمية ليسوا من الثنتين وسبعين فرقة .

وكذلك ذكر ابو عبد الله بن حامد[(٦٤٥)] عن اصحاب احمد فى ذلك قولين ، هذا احدهما . وهذا ارادوا به التجهّم المحض الذى كان عليه « جهم » نفسه ومتبعوه عليه ، وهو نفى الاسماء مع نفى الصفات ، بحيث لا يسمى الله بشيء من اسمائه الحسنى ، ولا يسمّيه شيئا ولا موجودا ولا غير ذلك ، وانما نقل عنه انه كان يسميه قادرا ـــ لأن جميع الاسماء يسمى بها الخلق ، فزعم انه يلزم منها التشبيه ، بخلاف القادر ـــ فانه كان رأس الجبرية ، وعنده ليس للعبد قدرةٌ ولا فعلٌ ، ولا يسمى غير الله قادرًا ؛ فلهذا نقل عنه انه سمى الله قادرا .

---

(٦٤٥) ابو عبد الله الحسن بن حامد بن على بن مروان ، البغدادى ، شيخ الحنابلة ومفتيهم . صنف كتاب « الجامع » فى عشرين مجلدا فى الاختلاف ، وهو اكبر تلامذة ابى بكر غلام الخلال . توفى سنة ٤٠٣ هـ .
راجع ترجمته فى تاريخ بغداد (٣٠٣/٧) طبقات الحنابلة (١٧١/٢ ـ ١٧٧) الوافى (٤١٥/١١) السير (٢٠٣/١٧) تاريخ التراث العربى (٢١٨/٢) .

وشرٌّ منه نفاة الاسماء والصفات ، وهم الملاحدة من الفلاسفة والقرامطة ، ولهذا كان هؤلاء عند الائمة قاطبةملاحدة منافقين ، بل فيهم من الكفر الباطن ما هو اعظم من كفر اليهود والنصارى ، وهؤلاء لاريب انهم ليسوا من الثنتين وسبعين فرقة ، واذا أظهروا الاسلام فغايتهم ان يكونوا منافقين ، كالمنافقين الذين كانوا على عهد رسول الله ﷺ ، واولئك كانوا اقرب الى الاسلام من هؤلاء ، فانهم كانوا يلتزمون شرائع الاسلام الظاهرة ، وهؤلاء قد يقولون برفعها ، فلا صوم ولا صلاة ولا حج ولا زكاة ؛ لكن قد يقال : ان اولئك كانوا قد قامت عليهم الحجة بالرسالة اكثر من هؤلاء .

واما من يقول ببعض التجهم كالمعتزلة ونحوهم الذين يتدينون بدين الاسلام باطنا وظاهرا فهؤلاء من امة محمد ﷺ بلا ريب .

وكذلك من هو خير منهم كالكُلاَّبية والكَرَّامية .

وكذلك الشيعة المفضّلين لعليّ ، ومن كان منهم يقول بالنص والعصمة مع اعتقاده نُبوّة محمد ﷺ باطنا وظاهرا ، وظنه ان ما هو عليه هو دين الاسلام ، فهؤلاء اهل ضلال وجهل ليسوا خارجين عن امة محمد ﷺ ، بل هم من الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا .

وعامّة هؤلاء ممن يتبع ما تشابه من القرآن ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله ، كما ان من المنافقين والكفار من يفعل ذلك ، ولهذا قال طائفة من المفسرين[٦٤٦] : كالربيع بن انس : هم النصارى ، كنصارى نجران ؛ وقالت طائفة كالكلبي : هم اليهود ؛ وقالت طائفة كابن جريج : هم المنافقون . وقالت طائفة كالحسن : هم الخوارج ؛ وقالت طائفة كقتادة : هم الخوارج والشيعة ؛ وكان قتادة اذا قرأ هذه الآية : ﴿ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ ﴾[٦٤٧] .
يقول ان لم يكونوا الحرورية والسبائية[٦٤٨] فلا ادرى من هم ، والسبائية نسبة الى عبد الله بن سبأ رأس الرافضة .

---

(٦٤٦) اى فى تفسير قوله تعالى « فاما الذين فى قلوبهم زيغ » (٣/٧) وراجع اقوالهم فى تفسير ابن الجوزى (١/٣٥٣) وانظر تفسير الطبرى (٣/١٧٧ ـ ١٧٨) .

(٦٤٧) سورةآل عمران (٣/٧) وراجع تفسير الطبرى (٣/١٧٨) .

(٦٤٨) راجع فيها الفرق بين الفرق (٢٢٣ ـ ٢٢٦) والملل والنحل (٢/١١) .

فصـــــل

والمعنى الصحيح الذى هو نفى المثل والشريك والندّ قد دل عليه قوله سبحانه ﴿ أَحَدٌ ﴾ وقوله : ﴿ وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ ﴾ .

وقوله : ﴿ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا ﴾ .[649]

وامثال ذلك فالمعانى الصحيحة ثابتة بالكتاب والسنة ، والعقل يدل على ذلك .

وقول القائل : الأحد أو الصمد او غير ذلك هو الذي لا ينقسم ولا يتفرق ، او ليس بمركب ونحو ذلك . هذه العبارات اذا عُني بها انه لا يقبل التفرق والانقسام فهذا حق ، واما ان عنى به انه لا يشار اليه بحال ، اومن جنس ما يعنون بالجوهر الفرد انه لا يشار الى شيء منه دون شيء ، فهذا عند اكثر العقلاء يمتنع وجوده ، وانما يقدّر فى الذهن تقديرا ، وقد علمنا ان العرب حيث اطلقت لفظ « الواحد » و « الأحد » نفيا واثباتا لم ترد هذا المعنى . فقوله تعالى : ﴿ وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ ﴾.[650]

---

(٦٤٩) سورة مريم (٦٥/١٩)

(٦٥٠) سورة التوبة (٦/٩) .

لم يرد به هذا المعنى الذى فسروا به الواحد والأحد ، وكذلك قوله : ﴿ وَإِنْ كَانَتْ وَاحِدَةً فَلَهَا النِّصْفُ ﴾.[٦٥١]

وكذلك قوله : ﴿ وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ ﴾ .

فان المعنى لم يكن له احد من الآحاد كفوا له ، فان كان الأحد عبارةً عمالا يتميز منه شيء عن شيء ، ولا يشار الى شيء منه دون شيء ، فليس فى الموجودات ما هو احد الا ما يدّعونه من الجوهر الفرد ومن رب العالمين ، وحينئذ لا يكون قد نفى عن شيء من الموجودات ان يكون كفوا للرب ؛ لأنه لم يدخل فى مسمى احد .

وقد بسطنا الكلام على هذا بسطا كثيرا فى المباحث العقلية والسمعية التى يذكرها نفاة الصفات من الجهمية واتباعهم فى كتابنا المسمى (بيان تلبيس الجهمية فى تأسيس بدعهم الكلامية) .

ولهذا لما احتجت الجهمية على السلف ـــ كالامام أحمد وغيره ـــ على نفى الصفات باسم الواحد .

قال أحمد[☆] : قالوا : لا تكونون موحدين أبدا حتى تقولوا قد كان الله ولا شيء ، قلنا نحن نقول كان الله ولا شيء ، ولكن اذا قلنا ان الله لم يزل بصفاته كلها أليس انما نصف الها واحدا ؟ وضربنا لهم فى ذلك مثلا : فقلنا : أخبرونا عن هذه النخلة ، أليس لها جذعٌ وكربٌ وليفٌ وسعفٌ وخوصٌ وجمارٌ واسمها شيء واحد ، وسميت نخلة بجميع صفاتها ؟ فكذلك الله ـــ وله المثل الأعلى ـــ بجميع صفاته إله واحد ، لا نقول : انه قد كان فى وقت من الاوقات ولا قدرة له حتى خلق لنفسه قدرة ، ولا نقول قد كان فى وقت من الاوقات لا يعلم حتى خلق له علما ، ولكن نقول لم يزل عالما قادرا مالكا ، لا متى ولا كيف . ومما يبين هذا ان سبب نزول هذه السورة الذى ذكره المفسرون يدل على ذلك فانهم ذكروا أسبابا .

أحدها : ما تقدم عن ابى بن كعب أن المشركين قالوا لرسول الله ﷺ : أنسب لنا ربّك فنزلت هذه السورة .

(٦٥١) سورة النساء (١١/٤)

☆ الرد على الزنادقة والجهمية ص ٤٧

والثانى : ان عامر بن الطفيل قال للنبى ﷺ : « الى مَ تدعونا اليه يا محمد ؟ قال : الى الله . قال : فصِفْه لى ، أمِنْ ذَهبٍ هو ، أم من فضةٍ ، أم من حديد ؟ فنزلت هذه السورة » وروى ذلك عن ابن عباس[٦٥٢] من طريق ابى ظبيان ، وابى صالح عنه .

٥ والثالث : ان بعض اليهود[٦٥٣] قال ذلك ، قالوا : من أى جنس هو . وممّن ورث الدنيا . ولمن يورثُها ؟ فنزلت هذه السورة ، قاله قتادة والضحاك .

قال الضحاك وقتادة ومقاتل : « جاء ناس من احبار اليهود الى النبى ﷺ فقالوا : يا محمد : صِفْ لنا ربك ، لعلّنا نؤمن بك ، فان الله أنزل نعته فى التوراة ، فأخبرنا به من أى شيء هو ؟ ومن اى جنس هو : أمن ذهب ؟ أم ١٠ من نحاس ، هو أم من صفْرٍ ؟ أم من حديد ؟ أم من فضة ؟ وهل ياكل ويشرب ؟ وممن ورث الدنيا ؟ ولمن يورثها ؟ فانزل الله هذه السورة » وهى نسبة الله خاصة .

والرابع : ما روى عن الضحاك عن ابن عباس أن وفد نجران قدموا على النبى ﷺ بسبعة أساقفة من بنى الحارث بن كعب : منهم السيّد والعاقب ،، ١٥ فقالوا للنبى ﷺ : صفْ لنا ربك من أى شيء هو ؟ قال النبى ﷺ : « ان ربى ليس من شيء ، وهو بائن من الاشياء ، فأنزل الله تعالى : ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴾ .

فهؤلاء سألوا هل هو من جنس من اجناس المخلوقات ؟ وهل هو من مادة ، فبين الله تعالى انه أحدٌ ، ليس من جنس شيء من المخلوقات ، وانه صَمَدٌ ليس ٢٠ من مادة بل هو صمد . لم يلد ولم يولد . واذا نفى عنه ان يكون مولودا من مادة الوالد ؛ فلأن ينفى عنه أن يكون من سائر المواد اولى واحرى ، فان المولود من نظير مادته اكمل من ما خلق من مادة اخرى ، كما خلق آدم من الطين ، فالمادة التى خلق منها اولاده افضل من المادة التى خلق منها هو ، ولهذا كان خلقه أعجب . فاذا نزّه الرب عن المادة العليا فهو عن المادة السفلى أعظم ٢٥ تنزيها ، وهذا كما انه اذا كان منزها عن ان يكون احد كفوًا له ، فلأن يكون منزها عن ان يكون احد افضل منه اولى واحرى .

(٦٥٢) ذكره البغوى والخازن عن ابن عباس بدون سند (٣٢٠/٤) وراجع تفسير ابن الجوزى (٢٦٦/٩) .

(٦٥٣) راجع الطبرى (٣٤٣/٣٠) والدر المنثور (٦٧٠/٨ - ٦٧١) .

وهذا مما يبين ان هذه السورة اشتملت على جميع انواع التنزيه والتحميد ، على النفى والاثبات ، ولهذا كانت تعدل ثلث القرآن ، فالصمدية تُثبتُ الكمال المنافى للنقائص . والأحدية تُثبتُ الانفراد بذلك وكذلك اذا نزه نفسه عن ان يلد فيخرج منه مادة الولد التى هى اشرف المواد ، فلأن ينزه نفسه عن أن يخرج منه مادة غير الولد بطريق الاولى والاحرى . واذا نزه نفسه عن ان يخرج منه مواد للمخلوقات فلأن ينزه عن أن يخرج منه فضلات لا تصلح ان تكون مادة بطريق الاولى والاحرى . والانسان يخرج منه مادة الولد ، ويخرج منه مادة غير الولد ، كما يخلق من عرقه ورطوبته القمّل والدود وغير ذلك . ويخرج منه المخاط والبصاق وغير ذلك . وقد نزه الله أهل الجنة عن ان يخرج منهم شيء من ذلك ، وأخبر الرسول ﷺ انهم لا يبولون[654] ، ولا يتغوّطون ، ولا يبصقون ، ولا يتمخّطون ، وانه يخرج منهم مثل رشح المسك ، وانهم يجامعون بذكر لا يخفى ، وشهوة لا تنقطع ، ولا منّى ، ولا منية ، واذا اشتهى[655] أحدهم الولد كان حمله ووضعه فى زمن يسير .

فقد تضمن تنزيه نفسه عن ان يكون له ولد ، وأن يخرج منه شيء من الاشياء ، كما يخرج من غيره من المخلوقات ، وهذا ايضا من تمام معنى « الصمد » . كما سبق فى تفسيره : انه الذى لا يخرج منه شيء ، وكذلك تنزيه نفسه عن أن يولد ــ فلا يكون من مثله ــ تنزيه له ان يكون من سائر المواد بطريق الأولى والأحرى .

وقد تقدم فى حديث أبى بن كعب أنه ليس شيء يولد إلا سيموت ، وليس شيء يموت إلا يُوْرَث ، والله تعالى لا يموت ولا يورث ، وهذا ردٌ لقول اليهود : ممن ورث الدنيا ، ولمن يورثها ؟ .

وكذلك ما نقل من سؤال النصارى : صفْ لنا ربّك : من أيّ شيء هو ؟ فقال النبى ﷺ : « ان ربى ليس من شيء ، وهو بائن من الاشياء » .

وكذلك سؤال المشركين واليهود : أمن فضة هو ؟ أم من ذهب هو ؟ أم من حديد ؟ .

(٦٥٤) روى بسند ضعيف ـ راجع مجمع الزوائد (٤١٦/١٠ ـ ٤١٧) .

(٦٥٥) اخرجه الترمذى فى صفة الجنة (٦٩٥/٤) وقال حسن غريب ، والدارمى فى الرقاق (ص٧٣٣) وابن ماجه فى الزهد (١٤٥٢/٢ رقم ٤٣٣٧) واحمد (٩/٣) .

وذلك لأن هؤلاء عهدوا الآلهة التي يعبدونها من دون الله يكون لها موادّ صارت منها ، فعُبّاد الاوثان تكون أصنامهم من ذهب وفضة وحديد وغير ذلك .

وعُبّاد البشر سواء كان البشر لم يأمروهم بعبادتهم ، او أمروهم بعبادتهم ، كالذين يعبدون المسيح وعزيرا ، وكقوم فرعون الذين قال لهم ﴿ أَنَا رَبُّكُمُ الأَعْلَى ﴾[656].

و ﴿ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِّنْ إِلَهٍ غَيْرِي ﴾[657].

وقال لموسى : ﴿ لَئِنِ اتَّخَذْتَ إِلَهًا غَيْرِي لأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ ﴾[658].

وكالذى آتاه الله نصيبا من الملك الذى حاجّ ابراهيم فى ربه إذ قال ابراهيم : ربى الذى يحيي ويميت ، قال أنا أحيي وأميت .

وكالدجال الذى يدّعى الالهية ، وما من خلق آدم الى قيام الساعة فتنة أعظم من فتنة الدجال .

وكالذين قالوا : ﴿ لاَ تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَ لاَ تَذَرُنَّ وَدًّا وَ لاَ سُوَاعًا وَلاَ يَغُوثَ وَ يَعُوقَ وَ نَسْرًا ﴾[659].

وقد قال غير واحد من السلف : ان هذه أسماء قوم صالحين كانوا فيهم ، فلما ماتوا عكفوا على قبورهم ، ثم صوّروا تماثيلهم ، ثم بعد ذلك عبدوهم ، وذلك أول ما عبدت الأصنام ، وأن هذه الاصنام صارت الى العرب ، وقد ذكر ذلك البخارى فى صحيحه[660] عن ابن عباس ، قال : صارت الأوثان التى فى قوم نوح فى العرب بعد . أما وَدٌّ فكانت لكلب بدومة الجندل ، واما سُوَاع فكانت لهُذيل ، واما يَغُوث فكانت لمراد ؛ ثم لبنى غطيف بالجرف عند سبأ ، وأما يعوق فكانت لهمدان ، واما نسر فكانت لِحِمْيَرَ لآل ذى الكلاع ؛ اسماء رجال صالحين من قوم نوح ، فلما هلكوا أوحى الشيطان الى قومهم ان انصبوا الى مجالسهم التى كانوا يجلسون فيها انصابا وسمّوها بأسمائهم ففعلوا ، فلم تعبد حتى اذا هلك اولئك ونسخ العلم عبدت .

(٦٥٦) سورة النازعات (٢٤/٧٩) .

(٦٥٧) سورة القصص (٣٨/٢٨) .

(٦٥٨) سورة الشعراء (٢٩/٢٦) .

(٦٥٩) سورة نوح (٢٣/٧١) .

(٦٦٠) فى التفسير (٧٣/٦) .

ونوح عليه السلام أقام فى قومه ألف سنة الا خمسين عاما يدعوهم الى التوحيد ، وهو أول رسول بعثه الله الى أهل الارض ، كما ثبت ذلك فى الصحيح[661] ؛ ومحمد ﷺ خاتم الرسل ، وكِلاَ المرسلَيْنِ بُعثَ الى مشركين يعبدون هذه الاصنام التى صورت على صورالصالحين من البشر ، والمقصود بعبادتها عبادة اولئك الصالحين .

وكذلك المشركون من أهل الكتاب ، ومن مبتدعة هذه الامة و ضُلاَّلها ، هذا غاية شركهم ، فان النصارى يصورون فى الكنائس صور من يعظمونه من الانس غير عيسى وأمّه ؛ مثل مارجرجس وغيره من القداديس ، ويعبدون تلك الصور ، ويسألونها ويدعونها ويقربون لها القرابين ، وينذرون لها النذور ، ويقولون هذه تذكرنا بأولئك الصالحين . والشياطين تضلهم كما كانت تضل المشركين : تارة بان يتمثل الشيطان فى صورة ذلك الشخص الذى يدعى ويُعْبد فيظن داعيه انه قد اتى ، أو يظن ان الله صوَّر ملكا على صورته ، فان النصرانى مثلا يدعو فىالأسْر وغيره مارجرجس او غيره فيراه قد اتاه فى الهواء ، وكذلك آخر غيره ، وقد سالوا بعض بطارقتهم عن هذا كيف يوجد فى هذه الاماكن ، فقال : هذه ملائكة يخلقهم الله على صورته تغيث من يدعوه . وانما تلك شياطين أضلت المشركين .

وهكذايحسب كثيرمنأهل البدع والضلال والشرك المنتسبين الى هذه الامة ، فان أحدهم يدعو ويستغيث بشيخه الذى يعظمه وهو ميت ، أو يستغيث به عند قبره ويسأله ، وقد ينذر له نذرا ونحو ذلك ، ويرى ذلك الشخص قد اتاه فى الهواء ودفع عنه بعض ما يكره ، أو كلَّمه ببعض ما سأله عنه ، ونحو ذلك فيظنُّه الشيخ نفسه أتى ان كان حيًّا . حتى انى اعرف من هؤلاء جماعات يأتون الى الشيخ نفسه الذى استغاثوا به وقد رأوه أتاهم فى الهواء فيذكرون ذلك له ، هؤلاء يأتون الى هذا الشيخ ، وهؤلاء يأتون الى هذا الشيخ ، فتارة يكون الشيخ نفسه لم يكن يعلم بتلك القضية ، فان كان يحب الرياسة سكت وأوهم انه نفسه أتاهم وأغاثهم ، وان كان فيه صدق مع جهل وضلال قال : هذا ملك صوره الله على صورتى ، وجعل هذا من كرامات الصالحين ، وجعله عمدة لمن يستغيث

(٦٦١) فى حديث الشفاعة « ائتوا نوحا فانه اول رسول بعثه الله الى الارض » .
اخرجه البخارى فى التفسير (١٤٧/٥) ومسلم فى الايمان (١٨٠/١) .

بالصالحين ، ويتخذهم اربابا ، وانهم اذا استغاثوا بهم بعث الله ملائكة على صورهم تغيث المستغيث بهم .

ولهذا أعرف غير واحد من الشيوخ الأكابر الذين فيهم صدق وزهد وعبادة لما ظنوا هذا من كرامات الصالحين صار أحدهم يوصى مريديه يقول : اذا كانت لأحدكم حاجة فليستغث بى ، وليستنجدنى وليستوصنى . ويقول : انا افعل بعد موتى ما كنت أفعل فى حياتى ، وهو لايعرف ان تلك شياطين تصورت على صورته لتضلّه ، وتُضِلّ اتباعه ، فتُحْسن لهم الاشراك بالله ، ودعاء غيرالله ، والاستغاثة بغير الله ، وانها قد تلقى فى قلبه انا نفعل بعد موتك باصحابك ما كنا نفعل بهم فى حياتك ، فيظن هذا من خطاب الهى القى فى قلبه ، فيأمر أصحابه بذلك . وأعرف من هؤلاء من كان له شياطين تخدمه فى حياته بانواع الخدم مثل خطاب أصحابه المستغيثين به ، واعانتهم ، وغير ذلك ، فلما مات صاروا يأتون أحدهم فى صورة الشيخ ، ويشعرونه انه لم يمت ، ويرسلون الى اصحابه رسائل بخطاب .

وقد كان يجتمع بى بعض اتباع هذا الشيخ ، وكان فيه زهد وعبادة ، وكان يحبُّنى ويحب هذا الشيخ ، ويظن ان هذا من الكرامات ، وان الشيخ لم يمت ، وذكر لى الكلام الذى ارسله اليه بعد موته فقرأه فاذا هو كلام الشياطين بعينه ، وقد ذكر لى غير واحد ممن اعرفهم انهم استغاثوا بى فرأونى فى الهواء وقد أتيتهم وخلّصتهم من تلك الشدائد ، مثل من احاط به النصارى الارمن لياخذوه ، وآخر قد احاط به العدو ومعه كتب ملطفات من مناصحين لو اطلعوا على ما معه لقتلوه ، ونحو ذلك ، فذكرت لهم انى ما دريت بما جرى أصلا ، وحلفت لهم على ذلك حتى لايظنوا أنى كتمتُ ذلك كما تكتم الكرامات ، وانا قد علمت ان الذى فعلوه ليس بمشروع ، بل هو شرك وبدعة ، ثم تبين لى فيما بعد ، وبينتُ لهم ان هذه شياطين تتصور على صورة المستغاث به .

وحكى لى غير واحد من اصحاب الشيوخ انه جرى لمن استغاث بهم مثل ذلك ، وحكى خلق كثير انهم استغاثوا بأحياء وأموات فرأوا مثل ذلك ، واستفاض هذا حتى عرف ان هذا من الشياطين ، والشياطين تغوى الانسان بحسب الامكان ، فان كان ممن لا يعرف دين الاسلام اوقعته فى الشرك

الظـاهر ، والكفر المحض ، فـأمرتـه أن لا يـذكرالله ، وأن يسجـد للشيطـان ، ويذبح له ، وأمرته ان ياكل الميتة والدم ويفعل الفواحش .

وهـذا يجرى كثيرا فى بـلاد الكفر المحض وبـلاد فيهـا كفر واسـلام ضعيف ، ويجرى فى بعض مـدائن الاسلام فى المواضع التى يضعف ايمان أصحابها ، حتى قد جرى ذلك فى مصر والشـام على انواع يطول وصفهـا ، وهو فى ارض الشرق قبل ظهور الاسلام فى التتار كثير جدا ، وكلما ظهر فيهم الاسلام وعرفوا حقيقته قلت آثار الشياطين فيهم .

وان كان مسلما يختار الفواحش والظلم اعـانتـه على الظلم والفواحش ، وهـذا كثير جدا أكثر من الـذى قبلـه فى البلاد التى فى اهلهـا اسلام وجـاهليـة ، وبر ، وفجور . وان كان إلشيخ فيه اسلام وديانة ولكن عنـده قلـة معرفـة بحقيقـة مـا بعث الله به رسوله ﷺ ، وقد عرف من حيث الجملة ان لأوليـاء الله كرامـات ، وهو لا يعرف كال الولاية ، وانها الايمان والتقوى واتباع الرسل باطنا وظـاهرا ، اولا يعرف ذلـك مجملا ولايعرف من حقـائـق الايـمـان البـاطن وشرائع الاسـلام الظاهرة ما يفرق به بين الأحوال الرحمانية ، وبين النفسانية والشيطانية ، كما ان الرؤيا ثلاثة اقسام . رؤيا من الله ، ورؤيا مما يحدث المرء بـه نفسـه فى اليقظـة فيراه فى المنام ، ورؤيا من الشيطان .

فكذلك الاحوال . فاذا كان عنده قلـة معرفـة بحقيقـة دين محمـد ﷺ أمرتْـهُ الشياطين بأمر لاينكره ، فتارة يحملون أحـدهم فى الهواء ويقفون بـه بعرفـات ثم يعيدونه الى بلـده ، وهو لابس ثيـابـه لم يحرم حين حـاذى المواقيت ، ولا كشف رأسه ، ولا تجرّد عما يتجرد عنه المحرم ، ولا يدعُونـه بعـد الوقوف يطوف طواف الافاضة ويرمى الجمـار ويكمل حجـه ، بل يظن ان مجرد الوقوف ـــ كما فعل ـــ عبادة ، وهـذا من قلـة علمـه بـدين الاسلام ، ولو علم دين الاسلام لعلم ان هـذا الذى فعله ليس عبادة لله ، وانه من استحل هذا فهو مرتد يجب قتله ، بل اتفق المسلمون على انه يجب الاحرام عند الميقـات ، ولا يجوز للانسـان المحرم اللبس فى الاحرام الامن عـذر ، وانـه لا يكتفى بـالوقوف ، بل لابـد من طواف الافـاضـة باتفاق المسلمين ، بل وعليـه ان يفيض الى المشعر الحرام ، ويرمى جمرة العقبـة ، وهـذا ممـا تنُوزع فيـه هل هـو ركن ، او واجب يجبره دم ؟ وعليـه ايضـا رمى

الجمار ايام منى باتفاق المسلمين .

وقد تحمل احدهم الجن فتزوره بيت المقدس وغيره ، وتطير به فى الهواء ، وتمشى به الماء ، وقد تريه أنه قد ذهب به الى مدينة الاولياء ، وربما ارته انه ياكل من ثمار الجنة ، ويشرب من انهارها .

٥ وهذا كله وأمثاله مما أعرفه قد وقع لمن اعرفه ؛ لكن هذا باب طويل ليس هذا موضع بسطه .

وانما المقصود ان اصل الشرك فى العالم كان من عبادة البشر الصالحين ، وعبادة تماثيلهم ، وهم المقصودون . ومن الشرك ما كان اصله عبادة الكواكب، إمّا الشمس وإما القمر وإما غيرهما ، وصورت الاصنام طلاسم لتلك الكواكب ،
١٠ وشرك قوم ابراهيم — والله اعلم — كان من هذا ، او كان بعضه من هذا ؛ ومن الشرك ما كان اصله عبادة الملائكة او الجن ، وضعت الاصنام لأجلهم ، والا فنفس الأصنام الجمادية لم تعبد لذاتها ، بل لأسباب اقتضت ذلك ، وشرك العرب كان اعظمه الأول ، وكان فيه من الجميع .

فان عمرو بن لُحَيّ هو اول من غَيَّرَ دين ابراهيم — عليه السلام — وكان
١٥ قد اتى الشام ورآهم بالبلقاء لهم اصنام يستجلبون بها المنافع ، ويدفعون بها المضار ، فصنع مثل ذلك فى مكة لما كانت خزاعة ولاة البيت قبل قريش ، وكان هو سيد خزاعة .

وفى الصحيحين(٦٦٢) عن النبى ﷺ انه قال : « رأيت عمرو بن لحي بن قمعة بن خندف يَجُرُّ قُصْبَهُ فى النار — اى امعاءه — وهو اول من غيَّر دين ابراهيم ؛
٢٠ وسيَّب السوائب ، وبحَّر البحيرة » .

وكذلك — والله اعلم — شرك قوم نوح ، وان كان مبدؤه من عبادة الصالحين ، فالشيطان يجُرُّ الناس من هذا الى غيره ؛ لكن هذا اقرب الى الناس ؛ لأنهم يعرفون الرجل الصالح وبركته ودعائه ، فيعكفون على قبره ، ويقصدون ذلك منه ، فتارة يسألونه ، وتارة يسألون الله به ، وتارة يصلون ، ويدعون
٢٥ عند قبره ظانين ان الصلاة والدعاء عند قبره افضل منه فى المساجد والبيوت .

(٦٦٢) اخرجه البخارى فى المناقب (١٦٠/٤) وفى التفسير (١٩١/٥) ومسلم فى الجنة (٢١٩١/٣ - ٢١٩٢) واحمد فى مسنده (٢٧٥/٢ - ٣٦٦) وراجع الدر المنثور (٢١٠/٣) .

ولما كان هذا مبدأ الشرك سدّ النبي ﷺ هذا الباب ، كما سد باب الشرك بالكواكب ، ففى صحيح[٦٦٣] مسلم عنه انه قال قبل ان يموت بخمس : « انّ مَنْ كان قبلكم كانوا يَتّخذون القبورَ مساجد ، ألا فلا تتّخذوا القبور مساجدَ ، فإنى أنهاكم عن ذلك » .

وفى الصحيحين[٦٦٤] عنه انه ﷺ ذكر له كنيسة بأرض الحبشة ، وذكر من حسنها وتصاوير فيها فقال : « ان اولئك اذا مات فيهم الرجل الصالح بنوا على قبره مسجدا ، وصوروا فيه تلك الصور ، اولئك هم شرار الخلق عند الله يوم القيامة » .

وفى الصحيحين[٦٦٥] عنه انه قال ﷺ فى مرض موته : « لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور انبيائهم مساجد يُحذّرُ ما فعلوا » قالت عائشة : ولولا ذلك لأُبرزَ قبره ، ولكن كره ان يُتّخذَ مسجدا .

وفى مسند أحمد وصحيح[٦٦٦] ابى حاتم عنه انه قال ﷺ : « ان من شرار الناس من تُدْركهم الساعة وهم احياءٌ ، والذين يتخذون القبور مساجد » .

وفى سنن ابى[٦٦٧] داود وغيره عنه انه قال ﷺ : « لاتتخذوا قبرى عِيدًا وصلوا عَلَيَّ حيث ما كنتم فإن صلاتكم تَبْلُغنِىْ » .

وفى موطأ مالك[٦٦٨] عنه انه قال ﷺ : « اللهم لا تَجْعلْ قبرى وَثَنًا يُعْبدُ ، اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور انبيائهم مساجد » .

وفى صحيح مسلم[٦٦٩] عن ابى الهياج الأسدى قال : قال لى على بن ابى طالب —

(٦٦٣) فى الجنائز من حديث جندب (١/٣٧٧ ـ ٣٧٨) .

(٦٦٤) اخرجه البخارى فى الصلاة (١/١١٠ ـ ١١١) ومسلم فى المساجد (١/٣٧٦) والنسائى (٢/٤٢) .

(٦٦٥) رواه البخارى عن ابن عباس وعائشة وابى هريرة فى الصلاة (١/١١٢) وفى الجنائز (٢/٩٠ ـ ١٠٦) وفى الانبياء (٤/١٤٤) وفى المغازى (٥/١٣٩) ومسلم فى المساجد (١/٣٧٦ ـ ٣٧٧) .
وراجع ابوداود (٣/٥٥٣ رقم ٣٢٢٧) والنسائى (٢/٤١،٤/٩٦) والدارمى (٣٢٧) واحمد (١/٢١٨، ٢/٢٨٤،٢٨٥،٣٦٦،٣٩٦،٤٥٤،٥١٨، ٦/٣٤،٨٠،١٢١،١٤٦،٢٢٩،٢٥٢،٢٥٥،٢٧٤،٢٧٥) .

(٦٦٦) من حديث عبد الله بن مسعود فى المسند (١/٤٠٥،٤٣٧،٤٥٤) .

(٦٦٧) فى المناسك (٢/٥٣٤ رقم ٢٠٤٢) واخرجه احمد فى المسند (٢/٣٦٧) ،

(٦٦٨) اخرجه عن عطاء بن يسار مرسلا (١٧٢) ووصله احمد عن أبى هريرة (٢/٢٤٦) .

(٦٦٩) فى الجنائز (١/٦٦٦) واخرجه ابوداود فى الجنائز (٣/٥٤٨ رقم ٣٢١٨) والترمذى (٣/٣٦٦) والنسائى (٤/٨٨) واحمد (١/٩٦،١٢٩،١٤٥) .

رضى الله عنه ـــ : ألا أبعثُكَ على ما بعثنى عليه رسول الله : أمرنى أن لا أدعَ قبرًا مُشْرِفًا الا سوَّيتَهُ ، ولا تمثالا الا طَمَسْتَهُ » .
فامره بمحو التمثالين : الصورة الممثلة على صورة الميت ، والتمثال الشاخص المشرف فوق قبره ، فان الشرك يحصل بهذا ، وبهذا .

٥ وقد ثبت عن عمر بن[(٦٧٠)] الخطاب ـــ رضى الله عنه ـــ انه كان فى سفر فرأى قوما ينتابون مكانا للصلاة فقال : ما هذا ؟ فقالوا : هذا مكان صلى فيه رسول الله ﷺ ، فقال : انما هلك من كان قبلكم بهذا، انهم اتخذوا آثار انبيائهم مساجد ، من ادركته الصلاة فليصل ، والا فليمض .

وبلغه ان[(٦٧١)] قوما يذهبون الى الشجرة التى بايع النبى ﷺ اصحابه تحتها فامر ١٠ بقطعها .

وارسل اليه[(٦٧٢)] ابو موسى يذكر له انه ظهر بتستر قبر دانيال ، وعنده مصحف فيه اخبار ما سيكون ، قد ذكر فيه اخبار المسلمين ، وانهم اذا اجدبوا كشفوا عن القبر فمطروا ، فأرسل اليه عمر يأمره ان يحفر بالنهار ثلاثة عشر قبرا ، ويدفنه بالليل فى واحد منها لئلا يعرفه الناس ؛لئلا يفتنوا به ، فاتخاذ القبور مساجد ١٥ مما حرمه الله ورسوله ، وان لم يبن عليها مسجدا كان بناء المساجد عليها أعظم .

كذلك قال العلماء : يحرم بناء المساجد على القبور ، ويجب هدم كل مسجد بنى على قبر ، وان كان الميت قد قبر فى مسجد وقد طال مكثه سوى القبر حتى لا تظهر صورته ، فان الشرك انما يحصل اذا ظهرت صورته ، ولهذا كان مسجد[(٦٧٣)] النبى ﷺ اولا مقبرة للمشركين ، وفيها نخل وخرب ، فأمر بالقبور فَنُبِشَتْ ، ٢٠ وبالنخل فقطع وبالخرب فَسُوِّيَتْ ، فخرج عن ان يكون مقبرة ، فصار مسجدا .

(٦٧٠) ذكره ابن حجر فى فتح البارى (٥٦٩/١) .

(٦٧١) اخرجه ابن ابى شيبة فى المصنف . راجع الدر المنثور (٥٢٣/٧) .

(٦٧٢) اخرجه البخارى فى الصلاة (١١١/١) وفى الفضائل المدينة (٢٢٠/٢) ومناقب الانصار (٢٦٦/٤) ومسلم فى المساجد (٣٧٣/١) واخرجه ابوداود (٣١٢/١ رقم ٤٥٣) والنسائى (٤٠/٢) واحمد (٢١٢/٣) .

(٦٧٣) اخرجه البخارى فى باب الصلاة فى مسجد مكة (٥٦/٢ ـ ٥٨) وفى كتاب جزاء الصيد (٢٢٠/٢) وفى الصوم (٢٥٠/٢) ومسلم فى الحج (٩٧٦/١،١٠١٤،١٠١٥) .
واخرجه ابوداود (٥٢٩/٢ رقم ٢٠٣٣) والترمذى (١٤٨/٢) والنسائى (٣٧/٢) وابن ماجه (٤٥٢/١ رقم ١٤٠٩) واحمد (٢٢٤/٢،٢٣٨،٢٧٨،٥٠١ ٧/٣،٢٤،٤٥،٥١،٥٣،٦٤،٧١،٧٧،٧٨) .

ولما كان اتخاذ القبور مساجد ، وبناء المساجد عليها محرما ، ولم يكن شيء من ذلك على عهد الصحابة والتابعين لهم باحسان ، ولم يكن يعرف قط مسجد على قبر ، وكان قبر الخليل عليه السلام فى المغارة التى دفن فيها ، وهى مسدودة لا أحد يدخل اليها □ و لاتشد الصحابة الرحال لا اليه ولا الى غيره من المقابر ؛ لأن فى الصحيحين من حديث ابى هريرة وابى سعيد رضى الله عنهما عن النبى ﷺ انه قال[٦٧٤] : « لا تُشَدُّ الرِّحال إلا إلى ثلاثة مساجد : المسجد الحرام ، والمسجد الاقصى ، ومسجدى هذا » .

فكان يأتى من يأتى منهم الى المسجد الأقصى يصلون فيه ، ثم يرجعون لا يأتون مغارة الخليل ، ولا غيرها وكانت مغارة الخليل مسدودة ، حتى استولى النصارى على الشام فى اواخر المائة الرابعة ، ففتحوا الباب وجعلوا ذلك المكان كنيسة ، ثم لما فتح المسلمون البلاد اتخذه بعض الناس مسجدا ، وأهل العلم ينكرون ذلك .

والذى يرويه بعضهم فى حديث الاسراء انه قيل للنبى[٦٧٥] ﷺ : هذه طَيْبَةً انزل فصل ، فنزل فصلى ، هذا مكان ابيك انزل فصل ، كذب موضوع لم يصل النبى ﷺ تلك الليلة الا فى المسجد الأقصى خاصة ، كما ثبت ذلك فى الصحيح ، و لانزل الا فيه .

ولهذا لما قدم الشام من الصحابة من لا يحصى عددهم الا الله ، وقدمها عمر بن الخطاب لما فتح بيت المقدس ، وبعد فتح الشام لما صالح النصارى على الجزية وشرط عليهم الشروط المعروفة ، وقدمها مرة ثالثة حتى وصل الى سرغ ، ومعه أكابر السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار ، فلم يذهب أحد منهم الى مغارة الخليل ، ولا غيرها من آثار الانبياء التى بالشام ، لاببيت المقدس ، ولا بدمشق ، ولا غير ذلك ، مثل الآثار الثلاثة التى بجبل قاسيون ، فى غربيه الربوة المضافة الى عيسى عليه السلام ، وفى شرقيه المقام المضاف الى الخليل عليه السلام ، وفى وسطه وأعلاه مغارة الدم المضافة الى هابيل لما قتله قابيل ، فهذه البقاع وأمثالها لم يكن السابقون الأولون يقصدونها ، ولا يزورونها ، ولا يرجون منها بركة ، فانها محل الشرك .

(٦٧٤) ذكره السيوطى فى الدر المنثور من رواية النسائى وابن مردويه عن انس (١٨٥/٥) ومن رواية البزار وابن ابى حاتم والطبرانى وابن مردويه والبيهقى فى الدلائل عن شداد بن اوس (١٩٠/٥) وقال الهيثمى فى مجمع الزوائد (٧٣/١ ـ ٧٤) بعد ما عزاه للبزار والطبرانى . وفيه اسحق بن ابراهيم بن العلاء وثقه يحى بن معين وضعفه النسائى .

(٦٧٥) راجع حديث انس فى صحيح مسلم (١٤٥/١) .

ولهذا توجد فيها الشياطين كثيرا ، وقد رآهم غير واحد على صورة الانس ، ويقولون لهم رجال الغيب ، يظنون انهم رجال من الانس غائبين عن الابصار ، وانما هم جن ، والجن يسمون رجالا . كما قال الله تعالى : ﴿ وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ الإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا ﴾[٦٧٦].

والانس سموا انسا لأنهم يؤنسون أى يرون . كما قال تعالى : ﴿ إِنِّي آنَسْتُ نَارًا ﴾[٦٧٧] أى رأيتها .

والجن سموا جنا لاجتنانهم ، يجتنون عن الابصار أى يستترون . كما قال تعالى : ﴿ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ ﴾[٦٧٨] أى استولى عليه فغطاه وستره ، وليس أحد من الانس يستتر دائما عن أبصار الانس ، وانما يقع هذا لبعض الانس فى بعض الأحوال : تارة على وجه الكرامة له . وتارة يكون من باب السحر وعمل الشياطين ، ولبسط الكلام على الفرق بين هذا وبين هذا موضع آخر .

والمقصود ههنا : ان الصحابة والتابعين لهم باحسان لم يبنوا قط على قبر نبى ، ولا رجل صالح مسجدا ، ولا جعلوه مشهدا ومزارا ، ولا على شيء من آثار الأنبياء ، مثل مكان نزل فيه أو صلى فيه أو فعل فيه شيئا من ذلك ، لم يكونوا يقصدون بناء مسجد لأجل آثار الأنبياء والصالحين ، ولم يكن جمهورهم يقصدون الصلاة فى مكان لم يقصد الرسول الصلاة فيه ، بل نزل فيه أو صلى فيه اتفاقا ، بل كان أئمتهم كعمر بن الخطاب وغيره ينهى عن قصد الصلاة فى مكان صلى فيه رسول الله ﷺ اتفاقا لا قصدا ، وانما نقل عن ابن عمر[٦٧٩] خاصة انه كان يتحرى أن يسير حيث سار رسول الله ﷺ ، وينزل حيث نزل ، ويصلى حيث صلى ، وان كان النبى ﷺ لم يقصد تلك البقعة لذلك الفعل ، بل حصل اتفاقا ، وكان ابن عمر رضى الله عنهما رجلا صالحا شديد الاتباع ، فرأى هذا من الاتباع ، وأما أبوه وسائر الصحابة من الخلفاء الراشدين عثمان وعلى وسائر

(٦٧٦) سورة الجن (٦/٧٢) .

(٦٧٧) سورة النمل (٧/٢٧) .

(٦٧٨) سورة الانعام (٧٧/٦) .

(٦٧٩) اخرج ابن سعد فى طبقاته (١٤٥/٤) عن عائشة قالت :
ماكان احد يتبع آثار النبى ﷺ فى منازله كما كان يتبعه ابن عمر .
راجع الحلية (٣١٠/١) وانظر باب المساجد التى على طرق المدينة والمواضع التى صلى فيها النبى ﷺ من صحيح البخارى - (فتح البارى ٥٦٧/١ - ٥٧١) .

العشرة وغيرهم ، مثل ابن مسعود ومعاذ بن جبل وأبى بن كعب فلم يكونوا يفعلون ما فعل ابن عمر ، وقول الجمهور أصح .

وذلك ان المتابعة ان يفعل مثل ما فعل ، على الوجه الذى فعل ، لأجل انه فعل . فاذا قصد الصلاة والعبادة فى مكان معين كان قصد الصلاة والعبادة فى ذلك المكان متابعة له ، وأما إذا لم يقصد تلك البقعة فان قصدها يكون مخالفة لا متابعة له .

مثال الاول لما قصد الوقوف والذكر والدعاء بعرفة ومزدلفة وبين الجمرتين كان قصد تلك البقاع متابعة له ، وكذلك لما طاف وصلى خلف المقام ركعتين كان فعل ذلك متابعة له ، وكذلك لما صعد على الصفا والمروة للذكر والدعاء كان قصد ذلك متابعة له ، وقد كان سلمة بن الأكوع[680] يتحرى الصلاة عند الاسطوانة ، قال : (لأنى رأيت رسول الله ﷺ يتحرى الصلاة عندها) فلما رآه يقصد تلك البقعة لأجل الصلاة كان ذلك القصد للصلاة متابعة .

وكذلك لما أراد عتبان بن مالك[681] أن يبنى مسجدا لما عمى فأرسل الى رسول الله ﷺ قال له : (انى احب ان تأتينى تصلى فى منزلى فاتخذه مصلى) — وفى رواية فقال : (تعال فخط لى مسجدا) فأتى النبي ﷺ ومن شاء من اصحابه ، وفى رواية : « فغدا على رسول الله ﷺ وابوبكر الصديق خين ارتفع النهار ، فاستأذن رسول الله ﷺ فاذنت له ، فلم يجلس حتى دخل البيت ، فقال : اين تحب أن أصلى من بيتك ؟ فاشرت له الى ناحية من البيت ، فقام رسول الله ﷺ فقمنا وراءه فصلى ركعتين ، ثم سلم » الحديث .

فإنه قصد ان يبنى مسجدا وأحب أن يكون أول من يصلى فيه النبي ﷺ ، وأن يبنيه فى الموضع الذى صلى فيه ، فالمقصود كان بناء المسجد ، وأراد أن يصلى النبي ﷺ فى المكان الذى يبنيه ، فكانت الصلاة مقصودة لأجل المسجد ، لم يكن بناء المسجد مقصودا لأجل كونه صلى فيه اتفاقا ، وهذا المكان مكان قصد النبي ﷺ الصلاة فيه ليكون مسجدا فصار قصد الصلوة فيه متابعة له ، بخلاف ما اتفق انه صلى فيه بغير قصد ، وكذلك قصد يوم الاثنين والخميس

(٦٨٠) اخرجه البخارى فى الصلاة (١٢٧/١) ومسلم (٣٦٤/١ ـ ٣٦٥) وابن ماجه (٤٥٩/١ رقم ١٤٣٠) واحمد (٤٨/٤) .

(٦٨١) راجع البخارى فى الصلاة (١١٠/١) ومسلم فى الايمان (٦٢/١) وابن ماجه فى المساجد (٢٤٩/١ رقم ٧٥٤) .

بالصوم متابعة لأنه قصد صوم هذين اليومين ، وقال فى الحديث الصحيح[٦٨٢] « انه تفتح ابواب الجنة فى كل خميس وإثنين فيغفر لكل عبد لا يشرك بالله شيئا إلا رجلا كان بينه وبين أخيه شحناء فيقال أنظروا هذين حتى يصطلحا » .

وكذلك قصد اتيان مسجد قباء متابعة له ، فانه قد ثبت عنه فى الصحيحين[٦٨٣] : (انه كان يأتى قباء كل سبت راكبا وماشيا) .

وذلك ان الله انزل عليه : (لمسجد أسس على التقوى من اول يوم أحق أن تقوم فيه) وكان مسجده هو الأحق بهذا الوصف ، وقد ثبت فى الصحيح[٦٨٤] أنه سئل عن المسجد الموسس على التقوى فقال : « هو مسجدى هذا » يريد انه اكمل فى هذا الوصف من مسجد قباء ، ومسجد قباء ايضا أسس على التقوى ، وبسببه نزلت الآية ؛ ولهذا[٦٨٥] قال : ﴿ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ ﴾ .

وكان أهل قباء مع الوضوء والغسل يستنجون بالماء . تعلموا ذلك من جيرانهم اليهود ، ولم تكن العرب تفعل ذلك ، فاراد النبى ﷺ وآله وسلم ان لا يظن ظان ان ذاك هو الذى أسس على التقوى دون مسجده ، فذكر ان مسجده أحق بان يكون هو المؤسس على التقوى ، فقوله : (لمسجد أسس على التقوى) يتناول مسجده ومسجد قباء ، ويتناول كل مسجد أسس على التقوى ، بخلاف مساجد الضرار .

ولهذا كان السلف يكرهون الصلاة فيما يشبه ذلك ، ويرون العتيق أفضل من الجديد ؛ لان العتيق أبعد عن أن يكون بُنِى ضرارامن الجديد الذى يخاف

---

(٦٨٢) اخرجه مسلم فى البر من حديث ابى هريرة (١٩٨٧/٢) .
واخرجه ايضا ابوداود فى الادب (٢١٦/٥ رقم ٤٩١٦) والترمذى فى البر (٣٧٣/٤ رقم ٢٠٢٣) واحمد (٢٦٨/٢، ٣٧٩، ٤٠٠، ٤٦٥) .
وانظر شعب الايمان للبيهقى .

(٦٨٣) اخرجه البخارى فى كتاب فضل الصلاة فى مسجد مكة والمدينة (٥٧/٢) ومسلم فى الحج فى باب فضل مسجد قباء (١٠١٦/١) والنسائى فى المساجد (٣٧/٢) .

(٦٨٤) راجع مسلم فى الحج (١٠١٥/١) .
واخرجه ايضا الترمذى (٢٨٠/٥) والنسائى (٣٦/٢) واحمد فى المسند (٨/٣، ١١٦/٥، ٣٣١، ٣٣٥) وانظر الدر المنثور (٢٨٧/٤) .

(٦٨٥) اخرجه الترمذى (٢٨٠/٥) وابوداود (٣٩/١ رقم ٤٤) وابن ماجه (١٢٨/١ رقم٣٥٧) وانظر الدر المنثور (٢٨٩/٤) .

ذلك فيه ، وعتق المسجد مما يحمد به ؛ ولهذا قال : ﴿ ثُمَّ مَحِلُّهَا إِلَى الْبَيْتِ الْعَتِيقِ ﴾[٦٨٦].

وقال : ﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ ﴾[٦٨٧].

فان قدمه يقتضي كثرة العبادة فيه ايضا ، وذلك يقتضي زيادة فضله ، ولهذا لم يستحب علماء السلف من أهل المدينة وغيرها قصد شيء من المساجد والمزارات التي بالمدينة وما حولها بعد مسجد النبي ﷺ وآله وسلم الا مسجد قباء ؛ لأن النبي ﷺ لم يقصد مسجدا بعينه يذهب اليه إلا هو . وقد كان بالمدينة مساجد كثيرة لكل قبيلة من الانصار مسجد ، لكن ليس في قصده دون امثاله فضيلة ، بخلاف مسجد قباء ، فانه اول مسجد بني بالمدينة على الاطلاق ، وقد قصده الرسول ﷺ بالذهاب اليه . وصح عنه ﷺ انه قال[٦٨٨] : « من توضأ في بيته ثم أتى مسجد قباء لا يريد الا الصلاة فيه كان كعمرة » .

ومع هذا فلا يسافر اليه : لكن اذا كان الانسان بالمدينة أتاه ، ولا يقصده انشاء السفر اليه بل يقصد انشاء السفر الى المساجد الثلاثة لقوله ﷺ[٦٨٩] « لاتشد الرحال إلا الى ثلاثة مساجد : المسجد الحرام ، والمسجد الاقصى ، ومسجدى هذا » .

ولهذا لو نذر السفر الى مسجد قباء لم يوف بنذره عند الائمة الاربعة وغيرهم ، بخلاف المسجد الحرام فانه يجب الوفاء بالنذر اليه باتفاقهم ، وكذلك مسجد المدينة ، وبيت المقدس ، في أصح قوليهم . وهو مذهب مالك وأحمد والشافعي في أحد قوليه ، وفي الآخر وهو قول ابي حنيفة ليس عليه ذلك ؛ لكنه جائز ومستحب ، لأن من أصله انه لا يجب بالنذر إلا ما كان واجبا بالشرع ، والاكثرون يقولون يجب بالنذر كل ما كان طاعة لله ، كما ثبت في صحيح البخاري[٦٩٠] عن عائشة عن النبي ﷺ انه قال : « من نذر ان يطيع الله فليطعه ومن نذر أن يعصي الله فلا يعصه » .

---

(٦٨٦) سورة الحج (٢٢/٣٣) .　　(٦٨٧) سورة آل عمران (٣/٩٦) .

(٦٨٨) رواه ابن ماجه (١/٤٥٣ رقم ١٤١٢) والنسائي (٢/٣٧) والبيهقي في السنن الكبرى (٥/٢٤٨) ورواه احمد والحاكم ايضا .

(٦٨٩) قد مر قريبا .

(٦٩٠) في كتاب الايمان والنذور (٧/٢٣٣ ـ ٢٣٤) .
واخرجه ايضا ابوداود (٣/٥٩٣ رقم ٣٢٨٩) والترمذي (٤/١٠٤ رقم ١٥٢٦) والنسائي (٧/١٧) وابن ماجه (١/٦٨٧ رقم ٢١٢٦) .

ويستحب ايضا زيارة قبور أهل البقيع ، وشهداء أحد ؛ للدعاء لهم والاستغفار ؛ لأن النبي ﷺ كان يقصد ذلك ، مع أن هذا مشروع لجميع موتى المسلمين ، كما يستحب السلام عليهم والدعاء لهم ، والاستغفار . وزيارة القبور بهذا القصد مستحبة ، وسواء فى ذلك قبور الانبياء والصالحين وغيرهم ، وكان عبد الله بن عمر اذا دخل المسجد يقول : السلام عليك يارسول الله ، السلام عليك ياابابكر ، السلام عليك يا أبت ثم ينصرف .

وأما زيارة قبور الانبياء والصالحين لاجل طلب الحاجات منهم ، أو دعائهم والاقسام بهم على الله ، أو ظن ان الدعاء أو الصلاة عند قبورهم أفضل منه فى المساجد والبيوت ، فهذا ضلال وشرك وبدعة باتفاق ائمة المسلمين ، ولم يكن أحد من الصحابة يفعل ذلك ، ولا كانوا اذا سلموا على النبي ﷺ يقفون يدعون لأنفسهم ، ولهذا كره ذلك مالك وغيره من العلماء ، وقالوا انه من البدع التى لم يفعلها السلف ، واتفق العلماء الاربعة وغيرهم من السلف على انه اذا اراد ان يدعو يستقبل القبلة ، ولايستقبل قبر النبي ﷺ ، وأما اذا سلم عليه فأكثرهم قالوا : يستقبل القبر ، قاله مالك والشافعى وأحمد ، وقال ابو حنيفة : بل يستقبل القبلة ايضا ، ويكون القبر عن يساره ، وقيل : بل يستدبر القبلة .

ومما يبين هذا الأصل ان رسول الله ﷺ لما هاجر[(٦٦٢)] هو وابوبكر ذهباالى الغار الذى بجبل ثور ، ولم يكن على طريقهما بالمدينة ، فانه من ناحية اليمن ، والمدينة من ناحية الشام ، ولكن اختبأ فيه ثلاثا لينقطع خبرهما عن المشركين ، فلا يعرفون اين ذهبا ، فان المشركين كانوا طالبين لهما ، وقد بذلوا فى كل واحد منهما ديته لمن يأتى به ، وكانوا يقصدون منع النبي ﷺ ان يصل الى أصحابه بالمدينة ، وان لا يخرج من مكة ، بل لما عجزوا عن قتله ارادوا حبسه بمكة ، فلو سلك الطريق ابتداء لأدركوه ، فاقام بالغار ثلاثا لأجل ذلك ، فلو اراد المسافر من مكة الى المدينة ان يذهب الى الغار ، ثم يرجع لم يكن ذلك مستحبا بل مكروها ، والنبي ﷺ فى الهجرة سلك طريق الساحل وهى طويلة ، وفيها دورة ، وأما فى عمره وحجته فكان يسلك الوسط ، وهو اقرب الى مكة ، فسلك

(٦٦١) اخرجه البيهقى فى سننه (٢٤٥/٥) .

(٦٦٢) انظر قصة الهجرة فى صحيح البخارى كتاب مناقب الانصار (٢٥٤/٤ ـ ٢٥٨) .
وراجع دلائل النبوة للبيهقى (٤٧١/٢ ـ ٤٨٢) .

فى الهجرة طريق الساحل ؛ لأنها كانت ابعد عن قصد المشركين ، فان الطريق الوسطى كانت اقرب الى المدينة ، فيظنون انه سلكها ، كما كان اذا اراد غزوة وَرَّى بغيرها .

وهو ﷺ لما قسم غنائم حنين بالجعرانة اعتمر منها[٦٩٣] ، ولما صده المشركون عن مكة حل بالحديبية ، وكان قد انشأ الاحرام بالعمرة من ميقات المدينة ذى الحليفة ، ولما اعتمر من العام القابل عمرة القضية اعتمر من ذىالحليفة ، ولم يدخل الكعبة فى عمره ولاحجته وانما دخلها عام الفتح ، وكان بها صورة مصورة فلم يدخلها حتى محيت[٦٩٤] تلك الصور ، وصلى بها ركعتين[٦٩٥] ، وصلى يوم الفتح ثمان ركعات وقت الضحى ، كما روت ذلك أم هانى[٦٩٦] ، ولم يكن يقصد الصلاة وقت الضحى الا لسبب مثل ان يقدم من سفر[٦٩٧] ، فيدخل المسجد فيصلى فيه ركعتين ، ومثل ان يشغله نوم[٦٩٨] أو مرض عن قيام الليل فيصلى بالنهار ثنتى عشرة ركعة ، وكان يصلى بالليل احدى عشرة ركعة ، فصلىثنتى عشرة ركعة شفعا لفوات وقت الوتر ، فانه ﷺ قال[٦٩٩] : « المغرب وتر صلاة النهار ، فاوتروا صلاة الليل » .

وقال : « اجعلوا آخر صلاتكم بالليل وترا »[٧٠٠] .

وقال : « صلاة الليل مثنى مثنى ، فاذا خفت الصبح فاوتر بركعة »[٧٠١] .

---

(٦٩٣) راجع دلائل النبوة (٢٠١/٥) .

(٦٩٤) راجع البخارى فى الحج (١٦١/٢) وانظر دلائل النبوة (٧٢/٥ ـ ٧٣) .

(٦٩٥) احرجه البخارى ى الصلاة . راجع فتح البارى (٥٠٠/١ رقم ٣٩٧) .

(٦٩٦) اخرجه البخارى فى الصلاة (٩٤/١) ومسلم فى كتاب صلاة المسافرين (٤٩٨/١) .
وراجع دلائل النبوة (٨٠/٥ ـ ٨١) والسنن الكبرى للبيهقى (٤٨/٣) .

(٦٩٧) روى ذلك فى حديث اخرجه مسلم (٤٩٦/١) وابوداود (٦٤/٢) .

(٦٩٨) راجع مسلم فى صلاة المسافرين (٥١٥/١) .

(٦٩٩) رواه احمد عن ابن عمر (٣٠/٢،٤١،٨٣،١٥٤) وكذا الطبرانى ى الكبير والاوسط .
وقال الالبانى : صحيح راجع صحيح الجامع الصغير (٥٦٩٦) .

(٧٠٠) رواه البخارى (١٢١/١) ومسلم (٥١٧/١) واحمد (٣٩/٢،١٥٠) عن ابن عمر .

(٧٠١) روى عن ابن عمر وعيره من الصحابة . وحديث ابن عمر اخرجه البخارى فى الوتر (١٢/٢) وفى التهجد (٤٥/٢) ومسلم فى صلاة المسافرين (٥١٦/١) وابوداود فى التطوع (٨٠/٢ رقم ١٣٢٦) والترمذى (٢٠١/٢ رقم ٤٣٧) والدارمى (٣٤٠) والنسائى (٢٢٧/٣ ـ ٢٣٣) ومالك فى الموطا (١٢٣) واحمد فى مسنده (١٠/٢،٣٠،٣٣،٤٠،٤٤،٤٩،٥٨،٦٦،٧١،٧٦،٧٧،٧٩،٨١،٨٣،١١٩،١٣٣،١٣٤،١٤١،١٤٨،١٥٥) .

والمأثور عن السلف انهم اذا ناموا عن الوتر كانوا يوترون قبل صلاة الفجر ، ولا يؤخرونه الى ما بعد الصلاة .

وفى الصحيحين عن[٧٠٢] عائشة ـــ رضى الله عنها ـــ انها قالت : ما صلى رسول الله ﷺ سبحة الضحى قط ، وانى لا سبحها ، وان كان ليدع العمل ، وهو يحب ان يعمل به خشية ان يعمل به الناس فيفرض عليهم .

وقد ثبت عنه فى الصحيح[٧٠٣] انه أوصى بركعتى الضحى لأبى هريرة ، ولأبى الدرداء ، وفيها أحاديث ، لكن صلاته ثمان ركعات يوم الفتح جعلها بعض العلماء صلاة الضحى .

وقال آخرون : لم يصلها الا يوم الفتح ، فعلم انه صلاها لأجل الفتح ، وكانوا يستحبون عند فتح مدينة ان يصلى الامام ثمانى ركعات شكرا لله ، ويسمونها صلاة الفتح ، قالوا : لان الاتباع يعتبر فيه القصد والنبى ﷺ لم يقصد الصلاة لأجل الوقت ، ولو قصد ذلك لصلى كل يوم ، أو غالب الايام ، كما كان يصلى ركعتى الفجر كل يوم ، وكذلك كان يصلى بعد الظهر ركعتين ، وقبلها ركعتين او اربعا ولما فاتته الركعتان بعد الظهر قضاهما بعد العصر ، وهو ﷺ لما نام هو واصحابه عن صلاة الفجر فى غزوة خيبر[٧٠٤] فصلوا بعد طلوع الشمس ركعتين ، ثم ركعتين، لم يقل أحد ان هذه الصلاة فى هذا الوقت سنة دائما ؛ لأنهم انما صلوها قضاء ، لكونهم ناموا عن الصلاة ، ولما فاتته العصر فى بعض ايام الخندق فصلاها بعد ما غربت الشمس[٧٠٥] ، وروى[٧٠٦] ان الظهر فاتته ايضا فصلى الظهر ، ثم العصر ، ثم المغرب ، لم يقل احد انه يستحب ان يصلى بين العشاءين احد عشر ركعة ، لأن ذلك كان قضاء ، بل ولا نقل عنه أحد انه خص ما بين العشاءين بصلاة .

---

(٧٠٢) اخرجه البخارى فى التهجد (٤٣/٢، ٥٣، ٥٤) ومسلم فى صلاة المسافرين (٤٩٧/١) واحمد (٣١/٦، ٨٥) .

(٧٠٣) راجع البخارى (٥٤) ومسلم (٤٩٩/١) .

(٧٠٤) رواه مسلم (٤٧١/١) وانظر دلائل النبوة (٢٧٣/٤) .

(٧٠٥) انظر البخارى فى المغازى (٤٩/٥) وفى المواقيت (١٤٧/١ ـ ١٤٨) وفى الاذان (١٥٧/١) ومسلم (٤٣٨/١) والترمذى (٣٣٨/١ ـ ٣٣٩) .

(٧٠٦) رواه الترمذى (٣٣٧/١) واحمد (٣٧٥/١ ـ ٤٢٣) .

وقوله تعالى:[٧٠٧] ﴿ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ ﴾ عند أكثر العلماء هو اذا قام الرجل بعد نوم ليس هو اول الليل ، وهذا هو الصواب ؛ لأن النبي ﷺ هكذا كان يصلى ، والأحاديث بذلك متواترة[٧٠٨] عنه كان يقوم بعد النوم لم يكن يقوم بين العشاءين ..

وكذلك اكله ما كان يجد من الطعام ، ولبسه الذى يوجد بمدينته طيبة مخلوقا فيها ، ومجلوبا اليها من اليمن وغيرها ، لانه هو الذى يسره الله له ، فأكله التمر ، وخبز الشعير ، وفاكهته الرطب والبطيخ الأخضر والقثاء ، ولبس ثياب اليمن ، لأن ذلك هو كان أيسر فى بلده من الطعام والثياب ، لا لخصوص ذلك ، فمن كان ببلد آخر وقوتهم البُرّ والذُّرة، وفاكهتهم العنب والرمأن ، ونحو ذلك ، وثيابهم مما ينسج بغير اليمن القز لم يكن اذا قصد ان يتكلف من القوت والفاكهة واللباس ما ليس فى بلده — بل يتعسر عليهم — متبعا للرسول ﷺ ، وان كان ذلك الذى يتكلفه تمرا او رطبا أو خبز شعير .فعلم انه لا بد فى المتابعة للنبي ﷺ من اعتبار القصد والنية :[٧٠٩] « فانما الاعمال بالنيات وانما لكل امرئ ما نوى » .

فعلم ان الذى عليه جمهور الصحابة وأكابرهم هو الصحيح ، ومع هذا فابن عمر رضى الله عنهما لم يكن يقصد ان يصلى الا فى مكان صلى فيه النبي ﷺ ، لم يكن يقصد الصلاة فى موضع نزوله ومقامه ، ولا كان أحد من الصحابة يذهب الى الغار المذكور فى القرآن للزيارة والصلاة فيه — وان كان النبي ﷺ وصاحبه أقاما به ثلاثا يصلون فيه الصلوات الخمس — ولا كانوا ايضا يذهبون الى حراء وهو المكان الذى كان يتعبد فيه قبل النبوة وفيه نزل عليه الوحى اولا ، وكان هذا مكانا يتعبدون فيه قبل الاسلام فان حراء أعلى جبل كان هناك ، فلما جاء الاسلام ذهب النبي ﷺ الى مكة مرات بعد أن أقام بها قبل الهجرة بضع عشرة سنة ، ومع هذا فلم يكن هو ولا اصحابه يذهبون الى حراء .

---

(٧٠٧) سورة المزمل (٦/٧٣) .

(٧٠٨) راجع البخارى كتاب التهجد (٤٧/٢) ومسلم كتاب صلاة المسافرين (٥١٠/١) واحمد (١٠٢/٦ ـ ٢٥٣) .

(٧٠٩) اخرجه البخارى فى بدء الوحى (٢/١) وفى الايمان (٢٠/١) وفى مواضع اخرى من صحيحه ومسلم فى الامارة (١٥١٥/٢) كما اخرجه ابوداود فى الطلاق (٦٥١/٢ رقم ٢٢٠١) والترمذى (١٧٩/٤ رقم ١٦٤٧) والنسائى (١٥٨/٦) وابن ماجه (١٤١٣/٢ رقم ٤٢٢٧) واحمد (٢٥/١ ـ ٤٣) .

ولما حج النبي ﷺ استلم الركنين اليمانيين ، ولم يستلم الشاميين ؛ لانهما لم يبنيا على قواعد ابراهيم ، فان أكثر الحجر من البيت ، والحجر الاسود استلمه وقبله ، واليماني استلمه ولم يقبله ، وصلى بمقام ابراهيم ولم يستلمه ، ولم يقبله ، فدل ذلك على ان التمسح بحيطان الكعبة غير الركنين اليمانيين وتقبيل شيء منها غير الحجر الاسود ليس بسنة ، ودل على ان استلام مقام ابراهيم وتقبيله ليس بسنة ، واذا كان هذا نفس الكعبة ، ونفس مقام ابراهيم بها ، فمعلوم ان جميع المساجد حرمتها دون الكعبة ، وان مقام ابراهيم بالشام وغيرها وسائر مقامات الأنبياء دون المقام الذى قال الله فيه : ﴿ وَاتَّخِذُوا مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى ﴾[710].

فعلم ان سائر المقامات لا تقصد للصلاة فيها ، كما لا يحج الى سائر المشاهد ، ولا يتمسح بها . ولا يقبل شيء من مقامات الأنبياء ولا المساجد ولا الصخرة ولا غيرها ، ولا يقبل ما على وجه الأرض إلا الحجر الاسود .

وايضا فالنبي ﷺ لم يصل بمسجد بمكة إلا المسجد الحرام ، ولم يأت للعبادات الا المشاعر : منى ، مزدلفة ، وعرفة فلهذا كان أئمة العلماء على انه لا يستحب ان يقصد مسجدا بمكة للصلاة غير المسجد الحرام ، ولا تقصد بقعة للزيارة غير المشاعر التى قصدها رسول الله ﷺ ، واذا كان هذا فى آثارهم ، فكيف بالمقابر التى لعن رسول الله ﷺ من اتخذها مساجد ، واخبر انهم شرار الخلق عند الله يوم القيامة ؟! .

ودين الاسلام انه لا تقصد بقعة للصلاة الا ان تكون مسجدا فقط ، ولهذا مشاعر الحج غير المسجد الحرام تقصد للنسك ، لا للصلاة فلا صلاة بعرفة ، وانما صلى النبي ﷺ الظهر والعصر يوم عرفة بعرفة خطب بها ثم صلى ، ثم بعد الصلاة ذهب الى عرفات ، فوقف بها ، وكذلك يذكر الله ويدعى بعرفات وبمزدلفة على قزح ، وبالصفا والمروة ، وبين الجمرات ، وعند الرمى ، ولا تقصد هذه البقاع للصلاة . وأما غير المساجد ومشاعر الحج فلا تقصد بقعة لا للصلاة ، ولا للذكر ، ولا للدعاء ، بل يصلى المسلم حيث أدركته الصلاة ، الا حيث

---

(710) سورة البقرة (2/125) .

نهى ، ويذكر الله ويدعوه حيث تيسر من غير قصد تخصيص بقعة بذلك ، واذا اتخذ بقعة لذلك كالمشاهد نهى عن ذلك ، كما نهى عن الصلاة فى المقبرة ، الا ما يفعله الرجل عند السلام على الميت من الدعاء له وللمسلمين ، كما يفعل مثل ذلك فى الصلاة على الجنازة ، فان زيارة قبر المومن من جنس الصلاة على جنازته ، يفعل فى هذا من جنس ما يفعل فى هذا ، ويقصد بالدعاء هنا ما يقصد بالدعاء هنا .

ومما يشبه هذا ان الانصار بايعوا النبى ﷺ ليلة العقبة بالوادى الذى وراء جمرة العقبة ؛ لانه مكان منخفض قريب من منى ، يستر من فيه ، فان السبعين الانصار كانوا قد حجوا مع قومهم المشركين ، وما زال الناس يحجون الى مكة قبل الاسلام وبعده ، فجاءوا مع قومهم الى منى ؛ لأجل الحج ؛ ثم ذهبوا بالليل الى ذلك المكان لقربه وستره لالفضيلة فيه ، ولم يقصدوه لفضيلة تخصه بعينه .

ولهذا لما حج النبى ﷺ هو واصحابه لم يذهبوا اليه ، ولا زاروه ، وقد بنى هناك مسجد ، وهو محدث ، وكل مسجد بمكة وما حولها غير المسجد الحرام محدث ، ومنى نفسها لم يكن بها على عهد النبى ﷺ مسجد مبنى ، ولكن قال منى مناخ لمن سبق[(٧١١)] ، فنزل بها المسلمون ، وكان يصلى بالمسلمين بمنى ، وغير منى ، وكذلك خلفاؤه من بعده ، واجتماع الحجاج بمنى أكثر من اجتماعهم بغيرها ، فانهم يقيمون بها اربعا ، وكان النبى ﷺ وابوبكر وعمر يصلون بالناس بمنى وغير منى ، وكانوا يقصرون الصلاة بمنى وعرفة ومزدلفة ، ويجمعون بين الظهر والعصر بعرفة ، وبين المغرب والعشاء بمزدلفة ، ويصلى بصلاتهم جميع الحجاج من اهل مكة وغير أهل مكة ، وكلهم يقصرون الصلاة بالمشاعر ، وكلهم يجمعون بعرفة ومزدلفة .

وقد تنازع العلماء فى اهل مكة ونحوهم هل يقصرون او يجمعون فقيل : لا يقصرون ، ولا يجمعون ، كما يقول ذلك من يقوله من اصحاب الشافعى وأحمد ، وقيل يجمعون ولا يقصرون ، كما يقول ذلك ابو حنيفة وأحمد ومن وافقه من أصحابه وأصحاب الشافعى ، وقيل يجمعون ويقصرون كما قال ذلك مالك وابن عيينة واسحق بن راهويه وبعض اصحاب أحمد وغيرهم ، وهذا هو الصواب

(٧١١) اخرجه ابوداود فى المناسك (٥٢٢/٢ رقم ٢٠١٩) والترمذى (٢٢٨/٣ رقم ٨٨١) وابن ماجة (١٠٠٠/٢ رقم ٣٠٠٦) والدارمى (٤٦٩) واحمد (١٨٧/٦، ٢٠٧) .

بلا ريب ، فانه الذى فعله أهل مكة خلف النبى ﷺ بلا ريب ، ولم يقل النبى ﷺ قط ولا ابوبكر ولا عمر بمنى ولا عرفة ولا مزدلفة: يا أهل مكة اتموا صلاتكم ، فانا قوم سفر ، ولكن ثبت[712] ان عمر قال ذلك فى جوف مكة .

وكذلك فى السنن[713] عن النبى ﷺ انه قال ذلك فى جوف مكة فى غزوة الفتح ، وهذا من أقوى الادلة على ان القصر مشروع لكل مسافر ، ولو كان سفره بريدا . فان عرفة من مكة بريد : اربع فراسخ .

ولم يصلّ النبى ﷺ ولا خلفاؤه بمكة صلاة عيد ؛ بل ولا صلى فى اسفاره قط صلاة العيد ، ولا صلى بهم فى اسفاره صلاة جمعة يخطب ثم يصلى ركعتين ، بل كان يصلى يوم الجمعة فى السفر ركعتين ، كما يصلى فى سائر الايام .

وكذلك لما صلى بهم الظهر والعصر بعرفة صلى ركعتين ، كصلاته فى سائر الايام ، ولم ينقل احد انه جهر بالقراءة يوم الجمعة فى السفر .

فعلم ان الصواب ما عليه سلف الامة وجماهيرها من الائمة الاربعة وغيرهم ، من ان المسافر لا يصلى جمعة ولا غيرها ، وجهورهم ايضا على انه لا يصلى عيدا ، وهو قول مالك وابى حنيفة وأحمد فى احدى الروايتين ، وهذا هو الصواب ايضا ، فان النبى ﷺ وخلفاؤه لم يكونوا يصلون العيد الا فى المقام ، لا فى السفر ، ولم يكن يصلى صلاة العيد الا فى مكان واحد مع الامام يخرج بهم الى الصحراء فيصلى هناك ، فيصلى المسلمون كلهم خلفه صلاة العيد ، كما يصلون الجمعة ولم يكن أحد من المسلمين يصلى صلاة عيد فى مسجد قبيلته ولا بيته ، كما لم يكونوا يصلون جمعة فى مساجد القبائل ، ولا كان أحد منهم بمكة يوم النحر يصلى صلاة عيد على عهد النبى ﷺ وخلفائه بل عيدهم بمنى بعد افاضتهم من المشعر الحرام ، ورمى جمرة العقبة لهم كصلاة العيد لسائر أهل الامصار يرمون ثم ينحرون وسائر أهل الأمصار يصلون ثم ينحرون ، والنبى ﷺ لما أفاض من منى نزل بالمحصب ، فاختلف اصحابه هل التحصيب سنة لاختلافهم فى قصده هل قصد النزول به او نزل به لانه كان اسمح لخروجه . وهذا مما يبين ان المقاصد كانت معتبرة عندهم فى المتابعة .

(712) اخرجه مالك فى الموطا (١٤٩،٤٠٢) والبيهقى فى سننه (١٥٧/٣) .

(713) اخرجه ابوداود (٢٤/٢ رقم ١٢٢٩) والبيهقى فى سننه (١٥٧/٣) .

ولما اعتمر عمرة القضية وكانت مكة مع المشركين لم تفتح بعد ، وكان المشركون قد قالوا : يقدم عليكم قوم قد وهنتهم حمى يثرب ، وقعد المشركون خلف قعيقعان ، وهو جبل المروة ينظرون اليهم ، فامر النبي ﷺ اصحابه ان يرملوا[714] ثلاثة اشواط من الطواف ، ليرى المشركون جلدهم وقوتهم ، وروى انه دعا لمن فعل ذلك ، ولم يرملوا بين الركنين ؛ لأن المشركين لم يكونوا يرونهم من ذلك الجانب ، فكان المقصود بالرمل اذ ذاك من جنس المقصود بالجهاد . فظن بعض المتقدمين انه ليس من النسك ، لأنه فعل لقصد وزال ؛ لكن ثبت في الصحيح[715] : (ان النبي ﷺ واصحابه لما حجوا رملوا من الحجر الاسود الى الحجر الاسود فكملوا الرمل بين الركنين) .

وهذا قدر زائد على ما فعلوه في عمرة القضية ، وفعل ذلك في حجة الوداع مع الأمن العام ، فانه لم يحج معه الا مؤمن ، فدل ذلك على ان الرمل صار من سنة الحج ، فانه فعل اولا لمقصود الجهاد ، ثم شرع نسكا كما روى في سعي هاجر ، وفي رمي الجمار ، وفي ذبح الكبش : انه فعل اولا لمقصود ، ثم شرعه الله نسكا وعبادة ، لكن هذا يكون اذا شرع الله ذلك ، وأمر به ، وليس لأحد ان يشرع مالم يشرعه الله ، كما لو قال قائل : انا استحب الطواف بالصخرة سبعا ، كما يطاف بالكعبة ، او استحب ان اتخذ من مقام موسى وعيسى مصلى ، كما امر الله ان يتخذ من مقام ابراهيم مصلى ، ونحو ذلك ، لم يكن له ذلك ، لأن الله تعالى يختص ما يختصه من الأعيان والأفعال بأحكام تخصه يمتنع معها قياس غيره عليه ، اما لمعنى يختص به لا يوجد بغيره على قول أكثر أهل العلم ، وإما لمحض تخصيص المشيئة على قول بعضهم ، كما خص الكعبة بأن يحج اليها ويطاف بها ، وكما خص عرفات بالوقوف بها ، وكما خص منى برمي الجمار بها ، وكما خص الاشهر الحرم بتحريمها ، وكما خص شهر رمضان بصيامه ، وقيامه ، الى امثال ذلك .

---

(٧١٤) اخرجه البخاري في كتاب الحج (١٦١/٢) وفي المغازي (٨٦/٥) ومسلم (٩٢٣/١) وابوداود (٤٤٥/٢ ـ ٤٤٦ رقم ١٨٨٥ ـ ١٨٨٦) وابن ماجة (٩٨٤/٢ رقم ٢٩٥٣) واحمد (٢٢٩/١، ٢٣٣، ٢٩٠، ٢٩٥، ٢٩٧، ٣٠٦، ٣١٤، ٣٥٦، ٣٧٣) وانظر دلائل النبوة (٣٢٥/٤ ـ ٣٢٧) .

(٧١٥) راجع البخاري (١٦١/٢) ومسلم (٩٢٢/١ ـ ٩٢٣) كما اخرجه ابوداود (٤٤٥/٢) والترمذي (٢١١/٣ ـ ٢١٢ رقم ٨٥٦ ـ ٨٥٧) والنسائي (٢٣٠/٥) وابن ماجة (٩٨٣/٢ رقم ٢٩٥١) ومالك في الموطا (٣٦٤) واحمد في المسند (٤٠/٢، ٥٩، ٧١، ١٠٠، ١١٤، ١٢٣، ١٥٥، ١٥٧)

وابراهيم ومحمد كل منهما خليل الله ، فانه قد ثبت فى الصحاح من غير وجه عن النبي ﷺ انه قال : « ان الله اتخذنى خليلا كما اتخذ ابراهيم خليلا »[716].

وقد ثبت فى الصحيح[717]: « ان رجلا قال للنبى ﷺ : ياخير البرية ! قال : « ذاك ابراهيم » .

فابراهيم أفضل الخلق بعد محمد ﷺ . وقوله : « ذاك ابراهيم » تواضع منه ، فانه قد ثبت عنه ﷺ فى الصحيح انه قال : « انا سيد ولد آدم ولا فخر ، آدم فمن دونه تحت لوائى يوم القيامة ولا فخر »[718].

الى غير ذلك من النصوص المبينة انه افضل الخلق ، وأكرمهم على ربه ، وابراهيم هو الامام الذى قال الله تعالى فيه : ﴿ إِنِّى جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ﴾[719].

وهو الامة اى القدوة الذى قال الله تعالى فيه : ﴿ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا ﴾[720].

وهو الذى بوأه الله مكان البيت ، وأمره ان يؤذن فى الناس بالحج اليه ، وقد حرم الله الحرم على لسانه ، واسماعيل بناه معه ، وهو الذبيح الذى بذل نفسه لله وصبر على المحنة ، كما بينا ذلك بالدلائل الكثيرة فى غير هذا الموضع ، وامه هاجر هى التى أطاعت الله ورسوله ابراهيم فى مقامها مع ابنها فى ذلك الوادى الذى لم يكن به أنيس ، كما قال الخليل : ﴿ رَبَّنَا إِنِّى أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِى بِوَادٍ غَيْرِ ذِى زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ ﴾[721].

وكان لابراهيم ولآل ابراهيم من محبة الله وعبادته والايمان به وطاعته ما لم يكن لغيرهم ، فخصهم الله بأن جعل لبيته الذى بنوه له خصائص لا توجد

(716) جاء فى مسلم بلفظ ان صاحبكم خليل الله ــ و « قد اتخذ الله صاحبكم خليلا ». فى فضائل الصحابة (١٨٥٥/٢) وانظر دلائل النبوة (٤٨٥/٥) .

(717) اخرجه مسلم فى الفضائل (١٨٣٩/٢) وابوداود فى السنة (٥٤/٥ رقم (٤٦٧٢) والترمذى (٢٤٦/٥ رقم (٣٣٥٢) واحمد (١٧٨/٣ - ١٨٤) .

(718) لم يرد فى الصحيح بهذا اللفظ انما اخرجه احمد (٢٢/٣) والترمذى (٥٨٧/٥) وابن ماجة فى الزهد (١٤٤٠/٢ رقم ٤٣٠٨) وروى ابن حبان بنحوه (٢١٢٧ موارد) وله شواهد راجع الصحيحة (١٥٧١) .

(719) سورة البقرة (١٢٤/٢) .

(720) سورة النحل (١٢٠/١٦) .

(721) سورة ابراهيم (٣٧/١٤) .

لغيره ، وجعل ما جعله من افعالهم قدوة للناس وعبادة يتبعونهم فيها ، ولا ريب ان الله شرع لابراهيم السعى ورمى الجمار والوقوف بعرفات بعد ما كان من امر هاجر واسماعيل وقصة الذبح وغير ذلك ما كان ، كما شرع لمحمد الرمل فى الطواف حيث امره ان ينادى فى الناس بحج البيت ، والحج مبناه على الذل والخضوع لله ، ولهذا خص باسم النسك ، و « النسك » فى اللغة العبادة . ٥

قال الجوهرى[٧٢٢] : النسك العبادة ، والناسك العابد ، وقد نسك وتنسك أى تعبد ، ونَسُكَ بالضم أى صار ناسكا ، ثم خص الحج باسم النسك لأنه أدخل فى العبادة والذل لله من غيره ، ولهذا كان فيه من الأفعال مالا يقصد فيه الا مجرد الذل لله ، والعبادة له ، كالسعى ورمى الجمار . قال النبى ﷺ : « انما جعل رمى الجمار والسعى بين الصفا والمروة لاقامة ذكر الله » رواه الترمذى[٧٢٣]. ١٠

وخص بذلك الذبح الفداء ايضا دون مطلق الذبح ؛ لأن اراقة الدم لله ابلغ فى الخضوع والعبادة له ، ولهذا كان من كان قبلنا لا يأكلون القربان ؛ بل تأتى نار من السماء فتأكله ، ولهذا قال تعالى : ﴿ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ عَهِدَ إِلَيْنَا أَلَّا نُؤْمِنَ لِرَسُولٍ حَتَّى يَأْتِيَنَا بِقُرْبَانٍ تَأْكُلُهُ النَّارُ قُلْ قَدْ جَاءَكُمْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِي بِالْبَيِّنَاتِ وَبِالَّذِي قُلْتُمْ فَلِمَ قَتَلْتُمُوهُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴾[٧٢٤]. ١٥

وكذلك كانوا اذا غنموا غنيمة جمعوها ثم جاءت النار فأكلتها ليكون قتالهم محضا لله لا للمغنم ، ويكون ذبحهم عبادة محضة لله لا لأجل أكلهم ، وأمة محمد ﷺ وسع الله عليهم لكمال يقينهم واخلاصهم ، وانهم يقاتلون لله ولو أكلوا المغنم ، ويذبحون لله ولو أكلوا القربان ، ولهذا كان عباد الشياطين والأصنام يذبحون لها الذبائح ايضا ، فالذبح للمعبود غاية الذل والخضوع له . ٢٠

ولهذا لم يجز الذبح لغير الله ،ولا ان يسمى غير الله على الذبائح ، وحرم سبحانه ما ذبح على النصب ، وهو ما ذبح لغير الله ، وما سمى عليه غير اسم الله ، وان قصد به اللحم لا القربان ، ولعن النبى ﷺ من ذبح لغيرالله ، ونهى عن ذبائح الجن ، وكانوا يذبحون للجن ، بل حرم الله ما لم يذكر اسم الله عليه مطلقا كما دل على ذلك الكتاب والسنة فى غير موضع . ٢٥

---

(٧٢٢) راجع اللسان « نسك » . (٧٢٣) فى الحج (٢٤٦/٣) ورواه ابوداود (٤٤٧/٢ رقم ١٨٨٨) والدارمى (٤٤٦) .

(٧٢٤) سورة آل عمران (١٨٣/٣) .

وقد قال تعالى[٧٢٥]: ﴿ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ ﴾ أى انحر لربك ، كما قال الخليل[٧٢٦]: ﴿ إِنَّ صَلَاتِي وَ نُسُكِي وَ مَحْيَايَ وَ مَمَاتِي لِلهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ .

وقد قال هو واسماعيل اذ يرفعان القواعد من البيت[٧٢٧]: ﴿ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ، رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَ مِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ وَ أَرِنَا مَنَا سِكَنَا ﴾ .

فالمناسك هنا مشاعر الحج كلها . كما قال تعالى[٧٢٨]: ﴿ لِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنْسَكاً هُمْ نَاسِكُوهُ ﴾ .

وقال تعالى[٧٢٩]: ﴿ وَ لِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنْسَكاً لِيَذْكُرُوا اسْمَ اللهِ عَلَى مَا رَزَقَهُمْ مِّن بَهِيمَةِ الأَنْعَامِ ﴾ .

وقال[٧٣٠]: ﴿ لَنْ يَنَالَ اللهَ لُحُومُهَا وَلاَ دِمَاؤُهَا وَلَكِنْ يَنَالُهُ التَّقْوَى مِنْكُمْ ﴾ .

كما قال تعالى : ﴿ وَ مَن يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ ﴾[٧٣١] .

فالمقصود تقوى القلوب لله وهو عبادتها له وحده دون ما سواه بغاية العبودية له ، والعبودية فيها غاية المحبة وغاية الذل والاخلاص ، وهذه ملة ابراهيم الخليل ، وهذا كله مما يبين ان عبادة القلوب هى الأصل ، كما قال ﷺ[٧٣٢]:
« ان فى الجسد مضغة اذا صلحت صلح الجسد كله واذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهى القلب » .

والنية والقصد هما عمل القلب ، فلا بد فى المتابعة للرسول ﷺ من اعتبار النية والقصد .

---

(٧٢٥) سورة الكوثر (٢/١٠٨)

(٧٢٦) سورة الانعام (١٦٣/٦)

(٧٢٧) سورة البقرة (١٢٧/٢ ـ ١٢٨)

(٧٢٨) سورة الحج (٦٧/٢٢)

(٧٢٩) سورة الحج(٣٤/٢٢)

(٧٣٠) سورة الحج (٣٧/٢٢)

(٧٣١) سورة الحج (٣٢/٢٢)

(٧٣٢) رواه البخارى فى الايمان (١٩/١) ومسلم فى المساقاة (١٢٢٠/٢) عن النعمان بن بشير كما اخرجه ابن ماجة (١٣١٨/٢ رقم ٣٩٨٤) والدارمى (٦٤١) واحمد (٢٧٠/٤ ـ ٢٧٤)

ومن هذا الباب ان النبى ﷺ لما احتجم وأمر بالحجامة . وقال فى الحديث الصحيح : « شفاء امتى فى شرطة محجم ، او شربة عسل ، او كية بنار ، وما أحب أن اكتوى »[(٧٣٣)] ؛

كان معلوما ان المقصود بالحجامة اخراج الدم الزائد الذى يضر البدن ، فهذا هو المقصود ، وخص الحجامة لأن البلاد الحارة يخرج الدم فيها الى سطح البدن فيخرج بالحجامة ، فلهذا كانت الحجامة فى الحجاز ونحوه من البلاد الحارة يحصل بها مقصود استفراغ الدم ، وأما البلاد الباردة فالدم يغور فيها الى العروق فيحتاجون الى قطع العروق بالفصاد ، وهذا أمر معروف بالحس والتجربة ، فانه فى زمان البرد تسخن الأجواف وتبرد الظواهر ، لأن شبيه الشيء منجذب اليه ، فاذا برد الهواء برد ما يلاقيه من الابدان والأرض ، فيهرب الحر الذى فيها من البرد المضاد له الى الأجواف فيسخن باطن الأرض ، وأجواف الحيوان ، ويأوى الحيوان الى الأكنان الدافئة . ولقوة الحرارة فى باطن الانسان يأكل فى الشتاء وفى البلاد الباردة أكثر مما يأكل فى الصيف وفى البلاد الحارة ؛ لأن الحرارة تطبخ الطعام وتصرفه ، ويكون الماء النابع فى الشتاء سخنا لسخونة جوف الارض ، والدم سخن فيكون فى جوف العروق لا فى سطح الجلد ، فلوا احتجم لم ينفعه ذلك بل قد يضره ، وفى الصيف والبلاد الحارة تسخن الظواهر فتكون البواطن باردة فلا ينهضم الطعام فيها كما ينهضم فى الشتاء ، ويكون الماء النابع باردا لبرودة باطن الأرض ، وتظهر الحيوانات الى البرارى لسخونة الهواء ، فهؤلاء قدلا ينفعهم الفصاد ، بل قد يضرهم ، والحجامة أنفع لهم .

وقوله : « شفاء امتى » اشارة الى من كان حينئذ من امته وهم كانوا بالحجاز ، كما قال :[(٧٣٤)] « ما بين المشرق والمغرب قبلة » لأن هذا كان قبلة أمتى حينئذ : لأنهم كانوا بالمدينة وما حولها ، وهذا كما انه فى آخر الأمر بعد ان فرض الحج سنة تسع أو سنة عشر وقت ثلاث مواقيت للمدينة ولنجد وللشام ، ولما

---

(٧٣٣) رواه البخارى فى الطب عن ابن عباس (٧ـ١٢) ولفظه « الشفاء فى ثلاث » .
واخرجه ايضا ابن ماجة (١١٥٥/٢ رقم ٣٤٩١) واحمد (٢٤٥/١ ـ ٢٤٦) .
وله شاهد من حديث جابر اخرجه البخارى (١٢/٧، ١٥، ١٦) ومسلم (١٧٢٩/٢) واحمد (٣٤٣/٣) وراجع الصحيحة للالبانى رقم (١١٥٤) .

(٧٣٤) اخرجه الترمذى فى الصلاة (١٧٣/٢ رقم ٣٤٤) وقال : حسن صحيح ، واخرجه ايضا النسائى فى الصيام (١٧٢/٤) وابن ماجة فى الاقامة (٣٢٣/١ رقم ١٠١١) .

فتح اليمن وقت لهم يلملم ، ثم وقت ذات عرق لأهل العراق ، وهذا كما انه فرض[٧٣٥] صدقة الفطر صاعا من تمر أو صاعا من شعير عن كل صغير وكبير ذكرا وانثى من المسلمين ، وكان هذا هو الفرض على أهل المدينة ؛ لأن الشعير والتمر كان قوتهم ، ولهذا كان جماهير العلماء على انه من اقتات الأرز والذرة ونحو ذلك يخرج من قوته ، وهو احدى الروايتين عن أحمد ، وهل يجزيه ان يخرج التمر والشعير اذا لم يكن يقتاته ، فيه قولان للعلماء .

وكان الصحابة يرمون بالقوس العربية الطويلة التى تشبه قوس الندف ، وفتح الله لهم بها البلاد ، وقد رويت آثار فى كراهة الرمى بالقوس الفارسية عن بعض السلف لكونها كانت شعار الكفار ، فاما بعد ان اعتادها المسلمون وكثرت فيهم وهى فى انفسها أنفع فى الجهاد من تلك القوس ، فلا تكره فى اظهر قولى العلماء ، أو قول أكثرهم ؛ لأن الله تعالى قال : ﴿ وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ ﴾[٧٣٦] .

والقوة فى هذا أبلغ بلا ريب . والصحابة لم تكن هذه عندهم فعدلوا عنها الى تلك ؛ بل لم يكن لهم غيرها ، فينظر فى قصدهم بالرمى أكان لحاجة اليها اذ ليس لهم غيرها ؟ أم كان لمعنى فيها ؟ ومن كره الرمى بها كرهه لمعنى لازم ، كما يكره الكفر وما يستلزم الكفر ، أم كرهها لكونها من شعائر الكفار فكره التشبه بهم ؟ .

وهذا كما أن الكفار من اليهود والنصارى اذا لبسوا ثوب الغيار من أصفر وأزرق نهى عن لباسه لما فيه من التشبه بهم ، وان كان لو خلا عن ذلك لم يكره ، وفى بلاد لا يلبس هذه الملابس عندهم الا الكفار فنهى عن لبسها ، والذين اعتادوا ذلك من المسلمين لا مفسدة عندهم فى لبسها .

ولهذا كره أحمد وغيره لباس السواد لما كان فى لباسه تشبه بمن يظلم أو يعين على الظلم ، وكره بيعه لمن يستعين بلبسه على الظلم ، فاما اذا لم يكن فيه مفسدة لم ينه عنه .

---

(٧٣٥) راجع البخارى (١٣٨/١) ومسلم (٦٧٧/١) والترمذى (٦١/٣) والنسائى (٤٦/٥) واحمد (٦٣/٢) والبيهقى فى سننه (١٦١/٤ - ١٦٢) .

(٧٣٦) سورة الانفال (٦٠/٨) .

وكره من كره من الصحابة والتابعين بيع الأرض الخراجية ، لأن المسلم المشترى لها اذا أدى الخراج عنها أشبه أهل الذمة فى التزام الجزية ، فان الخراج جزية الأرض ، وان لم يؤدها ظلم المسلمين باسقاط حقهم من الأرض ، لم يكرهوا بيعها لكونها وقفا ، فان الوقف انما منع من بيعه لأن ذلك يبطل الوقف ، ولهذا لا يباع ولا يوهب ولا يورث ، والأرض الخراجية تنتقل الى الوارث باتفاق العلماء ، وتجوز هبتها ، والمتهب المشترى يقوم فيها مقام البائع فيؤدى ما كان عليه من الخراج ، وليس فى بيعها مضرة لمستحقى الخراج كما فى بيع الوقف . وقد غلط كثير من الفقهاء فظنوا أنهم كرهوا بيعها لكونها وقفا ، واشتبه عليهم الأمر ، لأنهم رأوا الآثار مروية فى كراهة بيعها ، وقد عرفوا ان عمر جعلها فيئا لم يقسمها قط ، وذلك فى معنى الوقف ، فظنوا ان بيعها مكروه لهذا المعنى ، ولم يتأملوا حق التأمل فيرون أن هذا البيع ليس هو من جنس البيع المنهى عنه فى الوقف ، فان هذه يصرف مغلّها الى مستحقها قبل البيع وبعده ، وعلى حد واحد ، ليست كالدار التى اذا بيعت تعطل نفعها عن أهل الوقف وصارت للمشترى .

وأعجب من ذلك أن طائفة من هؤلاء قالوا : مكة انما كره بيع رباعها لكونها فتحت عنوة ، ولم تقسم ايضا ، وهم قد قالوا مع جميع الناس ان الأرض العنوة التى جعلت ارضا فيئا يجوز بيع مساكنها ، والخراج انما جعل على المزارع لا على المساكن ، فلو كانت مكة قد جعلت أرضها للمسلمين ، وجعل عليها خراج لم يمتنع بيع مساكنها لذلك ، فكيف ومكة أقرّها النبى ﷺ بيد أهلها على ما كانت عليه مساكنها ومزارعها ولم يقسمها ولم يضرب عليها خراجا ؛ ولهذا قال من قال : انها فتحت صلحا ، ولا ريب انها فتحت عنوة كما تدل عليه الأحاديث الصحيحة المتواترة ، لكن النبى ﷺ أطلق أهلها جميعهم فلم يقتل الا من قاتله ، ولم يسب لهم ذرية ، ولا غنم لهم مالا ، ولهذا سمو الطلقاء .

وأحمد وغيره من السلف انما عللوا ذلك بكونها فتحت عنوة مع كونها مشتركة بين المسلمين . كما قال تعالى : ﴿ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ الَّذِى جَعَلْنَاهُ لِلنَّاسِ سَوَاءً الْعَاكِفُ فِيهِ وَالْبَادِ ﴾[٧٣٧].

---

(٧٣٧) سورة الحج (٢٢/٢٥)

وهذه هى العلة التى اختصت بها مكة دون سائر الامصار ، فان الله أوجب حجها على جميع الناس ، وشرع اعتمارها دائما فجعلها مشتركة بين جميع عباده . كما قال : (سواء العاكف فيه والباد) ولهذا كانت منى وغيرها من المشاعر من سبق الى مكان فهو أحق به حتى ينتقل عنه ، كالمساجد ، ومكة نفسها من سبق الى مكان فهو أحق به ، والانسان أحق بسكنه مادام محتاجا اليه وما استغنى عنه المنافع فعليه بذله بلا عوض لغيره من الحجيج ، وغيرهم ، ولهذا كانت الأقوال فى اجارة دورها وبيع رباعها ثلاثة .

قيل : لا يجوز لا هذا ، ولا هذا . وقيل : يجوز الأمران . والصحيح انه يجوز بيع رباعها ، ولا يجوز اجارتها ، وعلى هذا تدل الآثار المنقولة فى ذلك عن النبى ﷺ وعن الصحابة رضى الله عنهم ، فان الصحابة كانوا يتبايعون دورها ، والدور تورث وتوهب ، واذا كانت تورث وتوهب جاز ان تباع بخلاف الوقف ، فانه لايباع ولا يورث ولا يوهب . وكذلك أم الولد من لم يجوز بيعها لم يجوز هبتها ولا أن تورث .

وأما اجارتها فقد كانت تدعى السوائب ـــ على عهد النبى ﷺ ، وابى بكر ، وعمر رضى الله عنهما من احتاج سكن ، ومن استغنى أسكن ؛ لأن المسلمين كلهم محتاجون الى المنافع ، فصارت كمنافع الأسواق والمساجد والطرقات التى يحتاج اليها المسلمون ، فمن سبق الى شيء منها فهو أحق به ، وما استغنى عنه أخذه غيره بلا عوض ، وكذلك المباحات التى يشترك فيها الناس ، ويكون المشترى لها استفاد بذلك أنه أحق من غيره مادام محتاجا ، واذا باعها الانسان قطع اختصاصه بها وتوريثه اياها ، وغير ذلك من تصرفاته ، ولهذا له أن لايبذله الا بعوض ، والنبى ﷺ منّ على أهل مكة ، فان الأسير يجوز المن عليه للمصلحة ، وأعطاهم مع ذلك ذراريهم وأموالهم ، كما من على هوازن لما جاءوا مسلمين باحدى الطائفتين : السبى أو المال ، فاختاروا السبىفأعطاهم السبي وكان ذلك بعد القسمة ، فعوض عن نصيبه من لم يرض بأخذه منهم ، وكان قد قسم المال فلم يرده عليهم ، وقريش لم تحاربه كما حاربته هوازن ، وهو انما من على من لم يقاتله منهم كما قال[٧٣٨] : « من اغلق بابه فهو آمن ، ومن القى سلاحه فهو آمن ، ومن دخل المسجد فهو آمن » .

(٧٣٨) رواه مسلم فى الجهاد (١٤٠٧/٢) وابوداود (٤١٨/٣ رقم٣٠٢٤) واحمد (٢٩٢/٢، ٥٣٨) .

فلما كف جمهورهم عن قتـالـه ، وعرف انهم مسلمون أطلقهم ، ولم يغنم أموالهم ولا حريمهم ، ولم يضرب الرق لا عليهم ولا على أولادهم بـل سماهم الطلقـاء من قريش ، بخلاف ثقيف فـانهم سموا العتقـاء ، فـانـه أعتق أولادهم بعـد الاسترقـاق والقسمة ، وكان فى هذا مـا دل على ان الامـام يفعل بـالأموال والرجـال والعقـار والمنقول مـا هو أصلـح ، فـان النبي ﷺ فتـح خيبر فقسمهـا بين المسلمين ، وسبى ٥
بعض نسـائهـا ، وأقر سـائرهم مع ذراريهم حتى أجلوا بعـد ذلـك ، فلم يسترقهم ، ومكة فتحها عنوة ولم يقسمها لأجل المصلحة .

وقد تنـازع العلمـاء فى الأرض اذا فتحت عنوة هل يجب قسمهـا كخيبر لأنهـا مغنم ، أو تصير فيئـا كما دلت عليـه سورة الحشر ، وليست الأرض من المغنم ، أو يخير الامام فيما بين هذا وهذا على ثلاثة أقوال ، وأكثر العلمـاء على التخيير ، وهو ١٠
الصحيح ، وهو مذهب ابى حنيفة وأحمد فى المشهور عنه وغيرهما .

ولو فتح الإمام بلدا وغلب على ظنه ان اهلـه يسلمون ويجـاهـدون جـاز أن يمن عليهم بـأنفسهم وأمـوالهم وأولادهم ، كما فعـل النبي ﷺ بـأهـل مكـة ، فـانهم أسلموا كلهم بلا خلاف ، بخلاف أهل خيبر فانه لم يسلم منهم أحد ، فأولئـك قسم أرضهم لأنهم كانـوا كفـارا مصرين على الكفر ، وهـؤلاء تركهـا لهم لأنهم كلهم ١٥
صاروا مسلمين ، والمقصود بالجهـاد ان تكون كلمـة الله هى العليـا ، وان يكون الدين كله لله ، وقد كان النبي ﷺ يعطى المؤلفة قلوبهم ليتـألفهم على الاسلام ، فكيف لا يتألفهم بابقاء ديارهم وأموالهم .

وهم لما حضروا معه حنينا اعطاهم من غنائم حنين ما تألفهم بـه ، حتى عتب بعض الأنصـار ، كما فى الصحيحين[٧٣٩] عن انس بن مـالـك « ان نـاسا من الأنصـار ٢٠
قـالوا يوم حنين حين أفـاء الله على رسولـه من اموال هـوازن مـا أفـاء ، فطفـق رسول الله ﷺ يعطى رجـالا من قريش المـائـة من الابل . فقـالـوا : يغفر الله لرسول الله يعطى قريشـا ويتركنـا وسيوفنـا تقطر من دمـائهم ــ قـال أنس : فحدث ذلك النبي ﷺ من قولهم ، فـأرسل رسول الله ﷺ الى الأنصـار فجمعهم فى قبة من أدم ، فلما اجتمعوا جاءهم رسول الله ﷺ فقـال : (مـا حـديث بلغنى ٢٥

(٧٣٩) رواه البخـارى فى الخمس (٥٩/٤) وفى المغـازى (١٠٤/٥) ومسلم فى الزكاة (٧٣٤/١ ـ ٧٣٦) كما اخرجـه احمـد فى مسنده (١٦٦/٣) .

عنكم ؟ !) فقال له فقهاء الانصار : أما ذوورأينا يارسول الله فلم يقولوا شيئا ، وأما أناس منا حديثة اسنانهم فقالوا : يغفر الله لرسول الله يعطى قريشا ويتركنا وسيوفنا تقطر من دمائهم .

فقال رسول الله ﷺ (فانى أعطى رجالا حديثى عهد بكفر أتألفهم ، أفلا ترضون أن يذهب الناس بالأموال وترجعون الى رحالكم برسول الله ؟ ! فوالله لما تنقلبون به خير مما ينقلبون به) قالوا بلى يارسول الله ! قد رضينا .

قال : فانكم ستجدون بعدى أثرة شديدة فاصبروا حتى تلقوا الله ورسوله ، فانى على الحوض قالوا : سنصبر — .

وفى رواية — لوسلك الناس واديا أو شعبا وسلكت الأنصار واديا أو شعبا لسلكت وادى الأنصار وشعبهم ، الناس دثار ، والأنصار شعار ، ولولا الهجرة لكنت أمرءاً من الانصار ، وحدثهم حتى بكوا رضى الله تعالى عنهم » .

فهذا كله بذل وعطاء لأجل اسلام الناس ، وهو المقصود بالجهاد .

ومن قال : ان الامام يجب عليه قسمة العقار والمنقول مطلقا ، فقوله فى غاية الضعف مخالف لكتاب الله وسنة رسوله المنقولة بالتواتر ، وليس معه حجة واحدة توجب ذلك ، فان قسمة النبى ﷺ خيبر تدل على جواز ما فعل ، لا تدل على وجوبه ، اذ الفعل لا يدل بنفسه على الوجوب ، وهو لم يقسم مكة ولا شك انها فتحت عنوة ، وهذا يعلمه ضرورة من تدبر الأحاديث ، وكذلك المنقول : من قال : انه يجب قسمه كله بالسوية بين الغانمين فى كل غزاة فقوله ضعيف ، بل يجوز فيه التفضيل للمصلحة ، كما كان النبى ﷺ يفضل فى كثير من المغازى .

والمؤلفة قلوبهم الذين اعطاهم النبى ﷺ من غنائم خيبر فيما أعطاهم قولان : أحدهما أنه من الخمس ، والثانى أنه من أصل الغنيمة ، وهذا اظهر . فان الذى أعطاهم اياه هو شيء كثير لا يحتمله الخمس ، ومن قال العطاء كان من خمس الخمس فلم يدر كيف وقع الأمر ، ولم يقل هذا أحد من المتقدمين ، هذا مع قوله :[٧٤٠] « ليس لى مما أفاء الله عليكم الا الخمس ، والخمس مردود عليكم » وهذا

---

(٧٤٠) اخرجه مالك فى الموطا مرسلا (٤٥٨) ورواه النسائى فى الفئ (١٣١/٧) واحمد فى مسنده (٣١٦/٥،٣١٩،٣٢٦) عن عبادة بن الصامت .

لأن المؤلفة قلوبهم كانوا من العسكر ، ففضلهم فى العطاء للمصلحة كما كان يفضلهم فيما يقسمه من الفيء للمصلحة .

وهذا دليل على ان الغنيمة للامام ان يقسمها باجتهاده كما يقسم الفيء باجتهاده ، اذا كان امام عدل قسمها بعلم وعدل ، ليس قسمتها بين الغانمين كقسمة الميراث بين الورثة ، وقسمة الصدقات فى الأصناف الثانية ، ولهذا قال فى الصدقات : « ان الله لم يرض فيها بقسمة نبي ولا غيره ، ولكن جعلها ثمانية أصناف ، فان كنت من تلك الأصناف أعطيتك »[٧٤١].

فعلم ان ما أفاء الله من الكفار بخلاف ذلك ، وقد قسم النبي ﷺ من خيبر لأهل السفينة الذين قدموا مع جعفر ، ولم يقسم لأحد غاب عنها غيرهم ، وقسم من غنائم بدر لطلحة والزبير ولعثمان ، وكان قد اقام بالمدينة ، وهؤلاء الذين كانوا يريدون القتال وكانوا مشغولين ببعض مصالح المسلمين الذين هم فيها فى جهاد .

وأيضا أهل السفينة وطلحة والزبير وعثمان لم يكونوا كغيرهم ، والقتال لم يكن لأجل الغنيمة ، فليست الغنيمة كمباح اشترك فيه ناس مثل الاحتشاش والاحتطاب والاصطياد ، فان ذلك الفعل مقصوده هو اكتساب المال ، بخلاف الغنيمة ، بل من قاتل فيها لأجل المال لم يكن مجاهدا فى سبيل الله ، ولهذا لم تبح الغنائم لمن قبلنا وابيحت لنا معونة على مصلحة الدين .

فالغنائم ابيحت لمصلحة الدين وأهله ، فمن كان قد نفع المجاهدين بنفع استعانوا به على تمام جهادهم جعل منهم وان لم يحضر ، ولهذا قال النبي ﷺ « المسلمون يد واحدة يسعى بذمتهم ادناهم ، ويرد متسريهم على قاعدهم »[٧٤٢] فان المتسرى انما تسرى بقوة القاعد ، فالمعاونون للمجاهدين من المجاهدين ، ولبسط هذه الامور موصع احر .

والمقصود هنا : ذكر متابعة النبي ﷺ ، وهو انه يعتبر فيه متابعة فى قصده ، فاذا قصد مكانا للعبادة فيه كان قصده لتلك العبادة سنة ، واما اذا صلى فيه اتفاقا من غير قصد لم يكن قصده للعبادة سنة ، ولهذا لم يكن جمهور

(٧٤١) رواه ابوداود عن زياد بن الحارث الصدائى (٢٨٣/٢ رقم ١٦٣٠) وذكره الالبانى فى ضعيف الجامع الصغير (١٦٤٢) .

(٧٤٢) اخرجه ابوداود من حديث عمرو بن شعيب عن ابيه عن جده (٦٧٠/٤ رقم ٤٥٣١) . واخرجه ابن ماجة بنحوه (٨٩٥/٢ رقم ٢٦٨٥) .

الصحابة يقصدون مشابهته فى ذلك ، وابن عمر رضى الله عنهما مع انه كان يحب مشابهته فى ظاهر الفعل لم يكن يقصد الصلاة إلا فى الموضع الذى صلى فيه لا فى كل موضع نزل به ، ولهذا رخص أحمد بن حنبل فى ذلك اذا كان شيئا يسيرا ، كما فعله ابن عمر ونهى عنه رضى الله عنه اذا كثر لأنه يفضى الى المفسدة ، وهى اتخاذ آثار الانبياء مساجد وهى التى تسمى المشاهد .

وما أحدث فى الاسلام من المساجد والمشاهد على القبور والآثار فهو من البدع المحدثة فى الاسلام ، من فعل من لم يعرف شريعة الاسلام ، وما بعث الله به محمدا ﷺ من كمال التوحيد واخلاص الدين لله وسد ابواب الشرك التى يفتحها الشيطان لبنى آدم ، ولهذا يوجد من كان أبعد عن التوحيد واخلاص الدين لله ومعرفة دين الاسلام هم اكثر تعظيما لمواضع الشرك ، فالعارفون بسنة رسول الله ﷺ وحديثه اولى بالتوحيد واخلاص الدين لله ، وأهل الجهل بذلك أقرب الى الشرك والبدع .

ولهذا يوجد ذلك فى الرافضة اكثر مما يوجد فى غيرهم ، لأنهم أجهل من غيرهم ، واكثر شركا وبدعا ، ولهذا يعظمون المشاهد أعظم من غيرهم ، ويخربون المساجد اكثر من غيرهم ، فالمساجد لا يصلون فيها جمعة ولا جماعة ، ولا يصلون فيها ان صلوا الا أفذاذا ، وأما المشاهد فيعظمونها اكثر من المساجد ، حتى قد يرون أن زيارتها أولى من حج بيت الله الحرام ، ويسمونها الحج الاكبر ، وصنف ابن المفيد[(٧٤٣)] منهم كتابا سماه « مناسك حج المشاهد » وذكر فيه من الأكاذيب والأقوال مالا يوجد فى سائر الطوائف ، وان كان فى غيرهم ايضا نوع من الشرك والكذب والبدع ؛ لكن هو فيهم اكثر ، وكلما كان الرجل اتبع لمحمد ﷺ كان أعظم توحيدا لله واخلاصا له فى الدين ، واذا بعد عن متابعته نقص من دينه بحسب ذلك ، فاذا كثر بعده عنه ظهر فيه من الشرك والبدع مالا يظهر فيمن هو اقرب منه الى اتباع الرسول .

---

(٧٤٣) ابو عبد الله محمد بن محمد بن النعمان بن عبد السلام العكبرى ، يعرف بابن المعلم ، محقق امامى ، انتهت اليه رئاسة الشيعة فى وقته ، كثير التصانيف فى الاصول والكلام والفقه . توفى سنة ٤١٣ هـ .
انظر تاريخ بغداد (٢٣١/٣) الميزان (٣٠/٤) السير (٣٤٤/١٧) الوافى (١١٦/١) اعيان الشيعة (٢٠/٤٦ ـ ٢٦) الاعلام (٢١/٧) معجم المؤلفين (٣٠٦/١١) .

فبين الله تعالى ان المشركين ما كان لهم عمارة مساجد الله مع شهادتهم على أنفسهم بالكفر ، وبين انما يعمرها من آمن بالله واليوم الآخر وأقام الصلاة وآتى الزكوة ولم يخش الا الله ، وهذه صفة أهل التوحيد واخلاص الدين لله الذين لا يخشون الا الله ، ولا يرجون سواه ، ولا يستعينون الا به ، ولا يدعون الا اياه ، وعمار المشاهد يخافون غير الله ، ويرجون غيره ، ويدعون غيره ، وهو سبحانه لم يقل انما يعمر مشاهد الله ، فان المشاهد ليست بيوت الله ، انما هى بيوت الشرك ، ولهذا ليس فى القرآن آية فيها مدح المشاهد ، ولا عن النبى ﷺ فى ذلك حديث ، وانما ذكره الله عمن كان قبلنا انهم بنوا مسجدا على قبر أهل الكهف ، وهؤلاء من الذين نهانا الله أن نتشبه بهم حيث قال ﷺ فى الحديث الصحيح[٧٥٠] : « ان من كان قبلكم كانوا يتخذون القبور مساجد الا فلا تتخذوا القبور مساجد فانى أنهاكم عن ذلك » .

ففى هذا الحديث ذم أهل المشاهد ، وكذلك سائر الأحاديث الصحيحة ، كما قال : « لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور انبيائهم مساجد يحذر ما فعلوا » . وقال : « اولئك اذا مات فيهم الرجل الصالح بنوا على قبره مسجدا وصوروا فيه تلك الصور ، اولئك شرار الخلق عند الله يوم القيامة » .
ثم أهل المشاهد كثير من مشاهدهم او اكثرها كذب ، فان الشرك مقرون بالكذب فى كتاب الله كثيرا . قال تعالى : ﴿ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ حُنَفَاءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِ ﴾[٧٥١] .
وقال النبى ﷺ : « عدلت شهادة الزور الاشراك بالله »[٧٥٢] قالها ثلاثا .
وذلك كالمشهد الذى بنى بالقاهرة على رأس الحسين ، وهو كذب باتفاق أهل العلم ، ورأس الحسين لم يحمل الى هناك أصلا ، وأصله من عسقلان . وقد قيل انه كان رأس راهب ، ورأس الحسين لم يكن بعسقلان ، وانما أحدث هذا فى اواخر دولة الملاحدة بنى عبيد .

---

(٧٥٠) راجع ص بهذه الاحاديث .

(٧٥١) سورة الحج (٣١/٢٢) .

(٧٥٢) اخرجه الترمذى فى الشهادات(٥٤٧/٤) عن ايمن بن خريم وعن خريم بن فاتك . وقال هذا اصح . واخرجه ابن ماجة (٧٩٤/٢ رقم ٢٣٧٢) وابوداود (٢٤/٤ رقم ٣٥٩٩) واحمد (١٧٨/٤،٣٢١،٢٣٣،٣٢٢) .

وكذلك مشهد على ـ رضى الله عنه ـ انما أحدث فى دولة بنى بويه ، وقال محمد بن عبد الله مُطَيّن الحافظ[753] وغيره : انما هو قبر المغيرة بن شعبة رضى الله عنه ، وعلى رضى الله عنه انما دفن بقصر الامارة بالكوفة ، ودفن معاوية بقصر الامارة بدمشق ، ودفن عمرو بن العاص بقصر الامارة بمصر ، خوفا عليهم اذا دفنوا فى المقابر البارزة ان ينبشهم الخوارج المارقون ، فان الخوارج كانوا تعاهدوا على قتل الثلاثة ، فقتل ابن ملجم عليا ، وجرح صاحبه معاوية ، وعمرو كان استخلف رجلا اسمه خارجة فقتله الخارجى . وقال : اردت عمرا وأراد الله خارجة . فسارت مثلا .

فالمقصود ان هذا المشهد انما أحدث فى دولة الملاحدة دولة بنى عبيد ، وكان فيهم من الجهل والضلال ومعاضدة الملاحدة وأهل البدع من المعتزلة والرافضة أمور كثيرة ، ولهذا كان فى زمنهم قد تضعضع الاسلام تضعضعا كثيرا ، ودخلت النصارى الى الشام ، فان بنى عبيد ملاحدة منافقون ليس لهم غرض فى الايمان بالله ورسوله ، ولا فى الجهاد فى سبيل الله ، بل فى الكفر والشرك ومعاداة الاسلام بحسب الامكان ، واتباعهم كلهم أهل بدع وضلال ، فاستولت النصارى فى دولتهم على اكثر الشام ، ثم قيض الله من ملوك السنة مثل : نور الدين ، وصلاح الدين ، واخوته واتباعهم ففتحوا بلاد الاسلام ، وجاهدوا الكفار والمنافقين .

ونهى النبى ﷺ عن الصلاة عند طلوع الشمس ، وعند غروبها ، لأن المشركين يسجدون للشمس حينئذ ، والشيطان يقارنها ، وان كان المسلم المصلى لا يقصد السجود لها ، لكن سد الذريعة لئلا يتشبه بالمشركين فى بعض الامور التى يختصون بها فيفضى الى ما هو شرك ؛ ولهذا نهى عن تحرى الصلاة فى هذين الوقتين ، هذا لفظ ابن عمر الذى فى الصحيحين[754] . فقصد الصلاة فيها منهى عنه .

وأما اذا حدث سبب تشرع الصلاة لأجله : مثل تحية المسجد ، وصلاة

(753) ابو جعفر محمد بن عبد الله بن سليمان الحضرمى ، الملقب بمطيّن .
الحافظ ، الصدوق ، محدث الكوفة . توفى سنة ٢٩٧ هـ .
ترجمته فى طبقات الحنابلة (٣٠٠/١ ـ ٣٠١) التذكرة (٦٦٢/٢) السير (٤١/١٤) الوافى (٣٤٥/٣) تاريخ التراث (٣١٩/١) .

(754) اخرجه البخارى فى المواقيت (١٤٥/١ ـ ١٤٦) ومسلم فى صلاة المسافرين (٥٦٧/١ ـ ٥٦٨) واخرجه ايضا احمد فى مسنده (١٣/٢،١٩،٣٣،٣٦،٦٣،١٠٦) وهو عند مالك فى الموطا (٢٢٠) .

١١ ـ **تفسير الطبرى :**
مصطفى البابى الحلبى ط٣ ــ القاهرة .
١٢ ـ **تفسير ابن كثير :**
المكتبة التجارية الكبرى .
١٣ ـ **زاد المسير فى علم التفسير لابن الجوزى :**
المكتب الاسلامى / بيروت .
١٤ ـ **تفسير القرطبى :**
دار احياء التراث العربى / بيروت ١٩٦٧ .
١٥ ـ **تفسير البغوى على هامش تفسير الخازن .**
١٦ ـ **تفسير الخازن :**
دار الفكر / بيروت .
١٧ ـ **سلسلة الاحاديث الصحيحة للالبانى .**
١٨ ـ **سلسلة الاحاديث الضعيفة للالبانى .**
١٩ ـ **تقريب التهذيب لابن حجر :**
دار المعرفة / بيروت .
٢٠ ـ **تهذيب التهذيب لابن حجر :**
حيدرآباد .
٢١ ـ **سير اعلام النبلاء للذهبى :**
مؤسسة الرسالة / بيروت .
٢٢ ـ **الوافى بالوفيات للصفدى :**
المـانيـا .
٢٣ ـ **تاريخ التراث العربى لفواد سزكين (الترجمة العربية) :**
جامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية الرياض .
٢٤ ـ **تاريخ الادب العربى لبروكلمن (الترجمة العربية) :**
دار المعارف بمصـر .
٢٥ ـ **الاعلام للزركلى :**
دار العلم للملايين / بيروت .

٢٦ ـ معجم المؤلفين لعمر رضا كحاله :
دار احياء التراث / بيروت .
٢٧ ـ كشف الظنون لحاجى خليفة :
دار العلوم الحديث / بيروت .
٢٨ ـ ميزان الاعتدال للذهبي :
دار المعرفة / بيروت .
٢٩ ـ شعب الايمان للبيهقى (بتحقيقنا) .
٣٠ ـ طبقات الحنابلة لابن ابى يعلى :
دار المعرفة / بيروت .
٣١ ـ الملل والنحل للشهرستانى .
٣٢ ـ الفصل فى الملل والاهواء والنحل لابن حزم :
دار الفكر / بيروت .
٣٣ ـ الفرق بين الفرق :
دار الآفاق الجديدة / بيروت ١٤٠٠هـ .
٣٤ـ الرد على الزنادقة والجهمية : للامام احمد بن حنبل
الدار السلفية للنشر ـ الكويت ١٤٠٣ هـ

☆ ☆ ☆

الصفحة : السطر :

الصفحة	السطر		
٥١	١	في النسختين	« وهذا الاسناد »
٥١	٧	« »	« بشّار »
٥٣	١٠	« »	« ابي الشعثـــاء بن أنس » وهـو خطأ .
٥٤	٤	« »	« الحلم ، أوقال : الكرم »
٥٥	١٣	كذا في النسختين وهو الصواب . وفي الفتاوى : رجل صمّ . وفي اللسان : رجل صَمَم ، وصِمِم ، وصِمصَام ، وصِمصَامة ، وصُمصِم ، وصُماصِم ، مصمّم . قال ابو عبيد : الصمصم (بالكسر) الغليظ من الرجال . وكذا قال ابن الاثير في النهايـة . والصّمم من أسماء الاسد . والصّمّة : الرجل الشجاع .	
٥٦	٣	في النسختين	« مقصود له واليه » .
٥٦	٥	»	« يعلق »
٥٧	١٢	»	« كما قيل في السديد » .
٥٨	٢	»	« في الاكثر من المواضع » .
٥٨	١٠	»	« في ان الصمت السكوت» .
٥٨	١٣	»	« البُهم» وهو خطأ . راجع اللسـان « صمت » .
٥٩	١	»	« ومـا ينـاسب هـذه المعـاني معنى « الصبر » .
٦١	٤	قوله « الا الله تعالى » سقط من السختين .	
٦١	٥	في النسختين :	« ماجاءني احد الا اكرمته » .
٦١	٧	»	« احدى عشر » .
٦٨	٢٠	»	« دين المسلمين »
٦٩	٩	الجملـة من قولـه « وهم يقولـون » ــ الى قـولـه ــ « مـايمتنـع عليه»سقطت من النسختين .	

الصفحة : السطر :

الصفحة	السطر		
٧٠	٧	فى الطبعتين :	« مما تقوله القدرية » .
٧٠	٩	»	« وان المخلوق ينقلب من جنس آخر » .
٧٠	١٢	»	« وهى بعينها باقية » .
٧٦	٨	»	« يخلق فى هذه الدار ثانيا امثالهم » .
٧٧	٢	»	« بخلقكم للبعث بعد الموت » .
٧٧	٧	»	« الذى يربيه الله » .
٧٩	٥	»	« بخلاف ما اذا فعل ثانيا » .
٧٩	٢١	»	« لأنّ الجسد الثانى مباين » .
٧٩	٢٢	»	« ولأنّ النشأة الثانية » .
٧٩	٢٥	وفى الفتاوى :	« نبات آخر اكله انسان » .
٨٠	١٦	فى النسختين :	« ينزل الى المعدة طعام وشراب » .
٨٢	٨	»	« شهد على غيره من الاموال » .
٨٦	٦	»	« التقيا وبينهما مادة » .
٨٦	١٠	»	« نقصت احداهما » .
٨٦	٢٢	»	« فان النار تحلّ » .
٨٨	٧	»	« كانقلاب الماء علقة » .
٨٩	٢٢	»	« كما جعلوا له ولدا بأيّ معنى » .
٩٠	١	فى الطبعة المنيرية :	« فصل فى قول اليهودوالنصارى فى الرب جلّ وعزّ » .
٩٠	٩	فى النسختين :	« جميع انواع الاتخاذات لأاصطفاؤه » .
٩٥	١	فى المنيرية :	« فصل فى عقائد العرب فى الرب وتحقيق عقائد النصارى فيه جلّ وعزّ » .

الصفحة . السطر :

الصفحة	السطر		
١٤٧	١٨	فى النسختين :	« سمّوها مفارقات ومجردات لمفارقتها المادة التى هى عندهم الجسم ، وهذه المفارقات عندهم ما لا يكون جسماً » .
١٤٧	٢٥	»	« فمن جعل الملائكة والارواح ونحو ذلك جسما بالمعنى اللغوى » . ولعلّ الصواب ما اثبتناه .
١٤٨	١٧	»	« اصله من الدار » .
١٤٩	٢٦	»	« بدعة فى الشرع باطلا فى الشرع » .
١٥٦	٢	سقط من النسختين من الحديث قوله « فأعلمهم ان الله قد افترض عليهم خمس صلوات فى اليوم والليلة ، فان هم اطاعوا لك بذلك » .	
١٦٠	٤	فى النسختين:	« معنى هذه النصوص.... » .
١٦١	١٩	سقط قوله « إلا الله » من النسختين .	
١٦٣	٧	فى النسختين:	« يتمسكون بما يحدثونه فى كلام الائمة » .
١٦٤	٢٠	»	التأويل » مكان « الطعام » ولعله الصواب .
١٦٦	١٢	»	« لابلغة العرب » .
١٧٢	٢	»	« فالكيفية هى التأويل » .
١٧٢	٢٠	هذه الآية غير موجودة فى النسختين .	
١٧٥	١٩	فى النسختين :	« لكن الذي ثبت منه » .
١٧٦	١٥	« التعليق » .	
١٧٩	١	سقطت من النسختين العبارة من قوله « واما ترك الانكار مطلقا » ــ الى قوله ــ « ويحشر المكره على نيته » .	

الصفحة	:السطر :	
١٨٢	٧	فى الفتاوى « ليس بشيء » مكان « وليس بالضبى » وهو خطأ .
١٨٢	١٦	سقط من النسختين « واما التفسير الوالبى عن ابن عباس » .
١٨٤	٢	فى النسختين : « فى موضعين معينين » .
١٨٥	٢١	فى الفتاوى : « وليس معناه قاطع » والتصحيح من النسختين .
١٨٩	٦	فى النسختين : « ليتفقهن اولئك فقها » .
١٨٩	٨	» « قال بقية استهدى ابن عيينة » .
١٩٦	٦	» « كان ترك هذا الوصف اقرب فى ذمهم من غيره » .
١٩٧	١٠	هذا سقط كبير فى النسختين ففيهما : ان الراسخين فى العلم لا يعلمون تأويل المتشابه ، بل الثابت عن الصحابة ان المتشابه يعلمه الراسخون . وما ذكر من قراءة ابن مسعود وابى بن كعب ليس لها اسناد » .
١٩٨	١	فى النسختين : « رواه الناس عامة اهل الحديث والتفسير » .
١٩٨	١٩	سقطت كلمة « تقتضى » من النسختين .
١٩٩	٣	تعليق : « عبد الله بن ابى نجيح المكى . روى التفسير عن مجاهد قال الذهبي : هو من اخص الناس بمجاهد رمى بالقدر و هو من الائمة الاثبات قال على بن المدينى : اما التفسير فهو فيه ثقة يعلمه قد قفز القنطرة واحتج به ارباب الصحاح . قال الذهبي : ولعله رجع عن البدعة . وقد رأى القدر جماعة من الثقات واخطأوا . نسأل الله العفو راجع سير اعلام النبلاء(١٢٦/٦)
٢٠٠	٦	فى النسختين : « فأىّ شيء من هذا مما يدل » .
٢٠١	٣	» « مما ينصرون به المتشابه » .

الصفحة	:السطر	
٢٢٨	٢٠	سقط من النسختين : « لانقول أنه قد كان فى وقت من الاوقات ولاقدرة له حتى خلق لنفسه قدرة » .
٢٣١	٢٥	فى النسختين : « انعت لنا ربك » . ولكن لفظ الحديث عند احمد والترمذى « أنسب » .
٢٣٤	١١	» « كالرجل » مكان « كالدجال » وهو تصحيف .
٢٣٦	٩	» « خطاب الحىّ القى اليه » .
٢٣٧	١٣	فى الفتاوى : « ويعرف من حقائق الايمان الباطن » . والصواب « لا يعرف » كما فى النسختين .
٢٣٧	٢٣	فى النسخيتين : « والا من استحل هذا » .
٢٣٨	٢٤	سقط من النسختين قوله « وتارة يصلون » .
٢٤٠	١٢	سقط من النسختين « قد ذكر اخبار المسلمين » .
٢٤١	٣	وفى النسختين : « وكان الخليل عليه السلام فى المغارة » .

٢٤٤ يضاف فى التعليق (٦٨٢) : وروى ابن ماجة عن ابى هريرة ان النبى ﷺ كان يصوم الاثنين فقيل يارسول الله ! انك تصوم الاثنين والخميس ؟ فقال ان يوم الاثنين والخميس يغفر الله فيهما لكل مسلم الا متهاجرين يقول دعهما حتى يصطلحا (٥٥٣/١ رقم ١٧٤٠) .

وقال فى الزوائد : اسناده صحيح ، غريب . ومحمد بن رفاعة ذكره ابن حبان فى الثقات ، تفرد بالرواية عنه الضحاك بن مخلد ، وباقى اسناده على شرط الشيخين .

وله شاهد من حديث اسامة بن زيد رواه ابوداود (٨١٤/٢ رقم ٢٤٢٦) والنسائى (٢٠٢/٤) .

(قلت) لفظ الحديث عند النسائى :

الصفحة :السطر :

قال اسامة بن زيد : قلت يارسول الله ! انك تصوم حتى لاتكاد تفطر ، وتفطر حتى لاتكاد ان صتصوم الاّ يومين ان دخلا فى صيامك ، والاصمتها ؟ قال ايّ يومين ؟

قلت : يوم الاثنين والخميس .

قال : ذانك يومان تعرض فيهما الاعمال على رب العالمين ، فأحب ان يعرض عملى وانا صائم .

٢٤٥	٧	فى النسختين :	« لم يقصد مسجدا بعينه يذهب اليه هو » . وظاهر انه خطأ .
٢٤٦	١	»	« ويستحب زيارة قبور البقيع » .
٢٥٠	١٢	»	« ولا يقبل وجه الارض » .
٢٥٢	١١	»	« يوم الجمعة فى السفر لا بعرفة ولا بغيرها ، ولا انه خطب بغير عرفة يوم الجمعة فى السفر » .
٢٥٥	٢٤	حديث « لعن النبي ﷺ من ذبح لغير الله » اخرجه مسلم فى كتاب الاضاحى (١٥٦٧/٢) والنسائى فى الضحايا (٢٣٢/٧) واحمد فى مسنده (١٥٢،١١٨،١٠٨/١) من حديث على بن ابى طالب ، ولفظه « لعن الله من ذبح لغير الله » . كما اخرجه احمد من مسند ابن عباس (٣١٧،٣٠٩/١) .	
٢٥٥	٢٥	حديث « نهى النبي ﷺ عن ذبائح الجن » اخرجه البيهقى فى سننه (٣١٤/٩) من حديث ابى هريرة . وذكره ابن الجوزى فى الموضوعات ، و وافقه عليه الالبانى . راجع الضعيفة رقم (٢٤٠) .	
٢٥٦	١٥	فى النسختين وهذه مسألة ابراهيم .	
٢٥٧	١٨	»	« وتظهر الحيوانات الى البرّ أى لسخونة الهواء » .
٢٦٤	١٦	وفى الفتاوى :	« افراداً » .

فهرس المباحث